مجلة جامعة خاتم المرسلين ﷺ العالمية

ISSN :2811-3225

مجلة علمية محكمة متعددة التخصصات

العدد السابع
الجزء الأول

لشهر ديسمبر 2025
جمادي الآخر/ رجب 1447

تصدر عن جامعة خاتم المرسلين العالمية

تصدر باللغة العربية وتقبل نشر الأبحاث باللغة الأجنبية

للتواصل مع المجلة

وانساب رئيس التحرير

د. سمير عواودة

٠٠٩٧٢٥٩٩٣٠٣٥١٦

وانساب مدير التحرير

د. عزة رحمة

٠٠٢٠١٠٦١٤٣٥٦٥٤

ايميل المجلة

khatamalmorsaleen@gmail.com

رابط المجلة على الانترنت

المجلة العلمية – جامعة خاتم المرسلين العالمية

جامعة خاتم المرسلين العالمية
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
مجلة جامعة خاتم المرسلين العالمية المحكمة

المشرف العام

معالي رئيس الجامعة أ.د. رجب الإدريسي الحسني

رئيس التحرير

أ.د. سمير محمد جمعة عواودة

مدير التحرير

أ.د.م. عزة يوسف رحمة

أعضاء هيئة التحرير

م	الاسم	التخصص
١	د. رشا مختار عبد الرحمن	الإعلام والتسويق والنشر
٢	د. محمد مرزوق عامر	المراجعة والتدقيق اللغوي
٣	د. محمود الفقي	المراجعة والتدقيق اللغوي
٤	د. أماني حسن	المراجعة والتدقيق اللغوي

الهيئة الاستشارية للمجلة

م	الاسم	التخصص
١	أ.د. رجب محمد الإدريسي الحسني	رئيس جامعة خاتم المرسلين العالمية
٢	أ.د. أحمد شكري شابسوغ	التفسير والقراءات
٣	أ.د. عبد القادر عبد الله يوسف الأنصاري	العقيدة الإسلامية
٤	أ.د. فوزية شحادة أحمد البراوي	التفسير وعلوم القرآن الكريم
٥	أ.د. محمد مطلق عساف	الفقه الإسلامي وأصوله
٦	أ.د. نجوى قراقيش	الفقه الإسلامي وأصوله
٧	د. أسيد إسماعيل عواودة	الحقوق
٨	د. تقى عبد الباسط التميمي	النحو والصرف
٩	د. محمود فطافطة	الإعلام
١٠	د. منال عبد الجليل عواودة	الإعلام التربوي
١١	د. أنس زاهر المصري	الاقتصاد والمصارف الإسلامية
١٢	د. عبد الرحمن أبو المجد علي	العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلمة هيئة تحرير المجلة

الحمد للّه الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، وفضَّله بالعلم والمعرفة، وسخَّر له سُبل البحث والاكتشاف، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ ﷺ ، خير من علَّم وأدَّب وربَّى، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يطيب لهيئة تحرير مجلة خاتم المرسلين العالمية المحكمة، الصادرة عن جامعة خاتم المرسلين العالمية الموقرة، أن تقدم للباحثين والأكاديميين العدد السابع من المجلة، وهو العدد الثاني من العام ٢٠٢٥، استمرارًا لمسيرتها العلمية الرصينة في دعم النشر الأكاديمي، وإثراء ميادين البحث والمعرفة، وتعزيز مكانة المجلة كمنصة علمية جادة تُعنى بنشر البحوث الأصيلة والمتميزة.

يأتي هذا العدد تتويجًا لجهودٍ علميةٍ متواصلةٍ من الباحثين والمحكّمين وهيئة التحرير، حيث اشتمل على مجموعةٍ من الأبحاث المحكمة التي تناولت موضوعات متنوعة في مجالات العلوم الشرعية، والتربوية، والنفسية، والاجتماعية، وعددها (١٥)، عكست في مجملها تنوعًا معرفيًا ومنهجيًا، واستجابةً لقضايا علمية ومجتمعية معاصرة. وقد خضعت جميع البحوث المنشورة لعمليات تحكيم علمي دقيق ومراجعة لغوية وفنية شاملة، وفق أعلى المعايير الأكاديمية المتبعة في النشر العلمي.

وفي إطار سعي المجلة الدائم نحو تعزيز حضورها العربي والدولي، تواصل نشر أعدادها ضمن قواعد البيانات العلمية المعروفة مثل قاعدة البيانات العربية الرقمية "معرفة"، إضافة إلى قاعدة بيانات "دار المنظومة"، وكذلك فقد تم إدراج المجلة ضمن قاعدة معامل التأثير (Impact factor) ، بما يسهم في توسيع دائرة انتشارها وزيادة تأثيرها الأكاديمي وانتشارها في الأوساط البحثية.

وإيمانًا من المجلة بأن البحث العلمي هو أساس التطوير والنهضة، فإن هيئة التحرير تؤكد استمرار التزامها بدعم الباحثين وتشجيع النشر النوعي الذي يخدم المجتمع العلمي، ويثري ميادين المعرفة الأصيلة والمعاصرة على حد سواء.

في هذا المقام، تتوجه هيئة التحرير بجزيل الشكر إلى الباحثين الكرام الذين أثروا صفحات هذا العدد بجهودهم، وإلى المحكّمين الأفاضل الذين أسهموا بعلمهم في رفع جودة الأعمال المنشورة، كما نتوجه بالشكر إلى القراء الكرام الذين يشكل تفاعلهم المستمر دافعًا للمزيد من التطوير والتميز.

نسأل اللّه أن يبارك هذه الجهود، وأن يجعل هذا الإصدار لبنةً جديدة في صرح البحث العلمي الرصين، ونقطة انطلاق نحو مزيدٍ من الإبداع والإسهام العلمي الهادف.

تقبلوا تحيات قيادة الجامعة وفريق عمل المجلة، مع وعدٍ متجددٍ بالاستمرار في خدمة العلم وأهله.

واللّه ولي التوفيق.

د. سمير عواودة

رئيس تحرير مجلة خاتم المرسلين العالمية

مجلة نصف سنوية تصدر في الشهر ٦، ١٢ م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية ،ويمكن إصدار أعداد خاصة ، وهي مجلة في مختلف مجالات العلوم الإنسانية المختلفة ، وملتزمة بعقيدة أهل السنة والجماعة ، وتقدم خدماتها في التحكيم أو التحكيم والنشر لجميع البحوث الواردة إليها من مختلف بلدان العالم ، ونرجو من أصحاب الفضيلة والسعادة الالتزام بالمواصفات العلمية والفنية في بحوثهم المباركة بإذن الله تعالى.

مواصفات البحث وقواعد النشر

١. تستقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغة العربية، او باللغة الإنجليزية مع ترجمة معتمدة باللغة العربية.

٢. ترسل البحوث بصيغة PDF لغايات التحكيم إلى البريد الإلكتروني للمجلة:

khatamalmorsaleen@gmail.com

أو على واتساب:

✓رئيس التحرير د. سمير عواودة ٠٠٩٧٢٥٩٩٣٠٣٥١٦

✓مدير التحرير د. عزة رحمة ٠٠٢٠١٠٦١٤٣٥٦٥٤

٣. ترسل البحوث التي اجتازت التحكيم وتم تعديلها بشكل تام وبعد موافقة (تحرير المجلة) بصيغة PDFوبصيغة.WORD

٤. يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (٣٠) صفحة ولا يقل عن (٢٠) صفحة.

٥. يجب أن يتصف البحث بالأصالة والعمق وألا يكون مسبوقًا أو قد نشر في مجلة علمية أخرى.

٦. تنأى المجلة عن الموضوعات الحزبية والسياسية وتعتذر عن تحكيم ونشر ما فيه تعرض للأشخاص والهيئات بخلاف النقد العلمي والعقدي البناء.

٧. <u>أن يراعي الباحث قواعد البحث العلمي ومنهجيته:</u>

أ. مسافة ١,٥ درجة بين السطور مع هوامش ٢,٥ من جميع الجوانب.

ب. نوع الخط: simplified Arabic

- بنط المتن حجم ١٤ والهوامش ١٢.
- بنط العناوين الرئيس ١٦ والفرعية ١٤.

ج. يقدم الباحث ملخصًا باللغة العربية بحدود (١٥٠ كلمة) ترجمة له باللغة الإنجليزية مع الكلمات المفتاحية باللغتين.

د. في العلوم الشرعية وعلوم الآداب يتم توثيق المراجع بطريقة كلية عند ذكرها لأول مرة، ثم يشار إليها باختصار في الهامش أسفل المتن.

ه. للباحث في العلوم الأخرى اختيار طريقة APA وفقًا لأسلوب الجمعية العلمية السيكولوجية الأمريكية ضمن المتن أو بشكل هامشي سفلي أو بالشكل الختامي.

٨. ينبغي الالتزام بالعناصر الواجب توفرها في البحث بشكل متسلسل: وهي:

أ. المقدمة وتتضمن الإطار النظري للبحث والدراسات السابقة.

ب. مشكلة الدراسة وأسئلتها أو فرضياتها.

ج. أهمية الدراسة.

د. محددات البحث إن وجدت.

ه. التعريف بالمصطلحات.

و. الطريقة وإجراءات الدراسة خاص العلوم التربوية والتطبيقية: (المجتمع والعينة – أفراد الدراسة – أداة الدراسة – إجراءات الدراسة – منهج الدراسة).

ز. في نهاية البحث يجب تقديم خاتمة علمية بالنتائج والتوصيات والمراجع وبتوثيقها الكامل.

٩. يقدم البحث مع إرفاق ملف منفصل عن سيرة الباحث الذاتية متضمنة العنوان والتخصص والبريد الإلكتروني.

١٠. يوقع الباحث على نموذج تعهد خاص يفيد بأن البحث لم ينشر سابقًا، ولم يقدم للنشر في مجلة أخرى أو ضمن أوراق مؤتمر علمي.

١١. يرفق مع البحث صورة عن الإيصال المالي لرسوم التحكيم والنشر رسوم التحكيم والنشر ١٠٠ $. ورسوم التحكيم فقط ٦٠ $ (العدد الأول مجانًا لمنسوبي الجامعة).

١٢. تخضع البحوث للتحكيم العلمي السري، علمًا بأن البحث المنشور يعبر عن رأي صاحبه.

١٣. للمجلة الحق أن تطلب من المؤلف حذف أو تعديل صياغة بحثه بما يتناسب وطبيعة المجلة.

١٤. المجلة إلكترونية؛ لذا لا تلتزم بإرسال مستلات من البحوث للباحثين.

١٥. ترحب الجامعة بالبحوث المستلة من الرسائل الجامعية لأصحاب السعادة أعضاء هيئة التدريس في الجامعة.

١٦. يمكن لطلاب الدراسات العليا نشر بحوثهم المستلة من رسائلهم الجامعية؛ شرط إرفاق ما يلي:

(صورة من جواز السفر للباحث – كتاب من جامعته يفيد بإذن الجامعة بالنشر – خطاب من رئيس قسمه الأكاديمي بذلك – صورة من صفحات دليل الدراسات العليا في جامعته يفيد بإلزام الطالب بنشر جزء من رسالته كإجراء من إجراءات التخرج-تعهد خطي من الطالب وفق نموذج خاص).

فهـــــــــرس العدد السابع

ديسمبر ٢٠٢٥م

الجزء الأول

م	عنوان البحث	الباحث/الباحثين	رقم الصفحة
١	أثر القراءات القرآنية المتواترة في اتساع الدلالات دراسة استقرائية تحليلية– سورة مريم أنموذجًا.	د. سامح عبد الله عبد الهادي	١
٢	المنهج النّفسي في أشعار عليّة بنت المهدي دراسة في الصراع النّفسي والتّمرد الأنثوي	إبراهيم أحمد إبراهيم خساتي أ.د. عبد الخالق عيسى	٣١
٣	دور الجامعات البحثية في مصر كمحركات للابتكار والتقدم	د. رشا مختار عبد الرحمن	٦٣
٤	بيع الكالئ بالكالئ : صوره ومقاصده وحكمه	أ/ همسة فؤاد يوسف دراوشة أ.د. محمد مطلق عساف	١١٧
٥	جهود فرديناند دي سوسور في علم الدلالة	د. سعيد شواهنة أ/ عمر سميح عيّاش	١٤٢
٦	البيوع المنهي عنها لعدم مالية المبيع : استدلالاً وتقصيداً	أ/ همسة فؤاد يوسف دراوشة أ.د. محمد مطلق عساف	١٦١
٧	القرآنيون وحجية السنة النبوية دراسة أصولية فقهية	د. مروان إبراهيم طلب ابحيص	١٨٧
٨	أثر إدارة الجودة الشاملة في تسويق الخدمات المصرفية تطبيقاً على قطاع المصارف السودانية (٢٠١٤-٢٠٢٤م)	د.فهد عبد الوهاب محمد أحمد	٢٢٧

أثر القراءات القرآنية المتواترة في اتساع الدلالات
دراسة استقرائية تحليلية

–سورة مريم أنموذجًا–

The Impact of Consecutive Quranic Readings on the Expansion of Meanings: An Analytical Inductive Study

Surat Maryam an example–

الدكتور سامح عبد الله عبد الهادي

Sameh Abdelellah Abdel-Hadi

s.abdelhade@gmail.com

١٤٤٧هـ–٢٠٢٥م

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٦/٢٥م

تاريخ انتهاء التحكيم وإجازته للنشر ٢٠٢٥/٧/٧م

أثر القراءات القرآنية المتواترة في اتساع الدلالات
دراسة استقرائية تحليلية
-سورة مريم أنموذجًا-

د. سامح عبد الله عبد الهادي

المُستخلص

إن توجيه القراءات له أهمية بالغة في إظهار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، كما أنه من العلوم المهمة التي تنفي عنه تهمة الاضطراب والتناقض، وتبرز ما فيه من معانٍ يكمل بعضها بعضاً، وقد خلص البحث إلى نتائج عديدة، منها أن علوم النحو والصرف والبلاغة من أهم العلوم التي يحتاجها الباحث عند توجيه القراءات، وأن القراءات المتواترة ليس بينها ترجيح، فكلها من عند الله، وليس فيها بليغ وأبلغ، بل هي كلها بليغة، وبعضها أظهر في البلاغة من بعض.

كلمات مفتاحية: إعجاز، بلاغة، مريم، سورة، قراءات.

Abstract

The interpretation of the Qur'anic readings is of paramount importance in demonstrating the rhetorical miracle of the Holy Qur'an. It is also an important science that eliminates the accusation of confusion and contradiction, highlighting its complementary meanings. The research has reached numerous conclusions, including that the sciences of grammar, morphology, and rhetoric are among the most important sciences a researcher needs when interpreting the Qur'anic readings. Furthermore, there is no preference among the transmitted readings, as they are all from Allah. None of them is more eloquent than others. Rather, they are all eloquent, with some more eloquent than others.

Keywords: Miracle, eloquence, Maryam, Surah, Quranic readings.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، أما بعد: فإن لعلم القراءات أهمية بالغة في التفسير، وإظهار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، كما أنه من أهم العلوم التي تكشف تناقض العابثين في التفسير، والشبهات التي يثيرونها حول تناقض القرآن واضطرابه.

وقد أولى العلماء هذا العلم عناية بالغة، وخدموه خدمة عظيمة، فقاموا بجمع القراءات وتحريرها، وتمييز متواترها من الشاذِّ فيها، وبذلوا جهداً عظيما في توجيهها واستخراج معانيها، غير أن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب معانيه، ولا تنتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد أحببت أن تكون لي مشاركة، أوجه فيها القراءات المتواترة في سورة مريم حسب أصول التوجيه المعتبرة، أظهر من خلالها بعض المعاني الجميلة التي احتوت عليها هذه السورة العظيمة.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة في كونها تعنى بتوجيه القراءات المتواترة التي لها أثر في المعنى في سورة مريم، وإظهار دور كل قراءة في إثراء المعاني للآية الواحدة.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي: ما التوجيه المناسب للقراءات المتواترة في سورة مريم؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى الآتي:

١. حصر القراءات المتواترة التي لها أثر في المعنى في سورة مريم.

٢. توجيه هذه القراءات وإظهار ما فيها من معان يكمل بعضها بعضاً.

الدراسات السابقة

هناك عدد من الدراسات التوجيهية التي عنيت بسورة مريم، منها:

١. رسالة ماجستير بعنوان: القراءات الواردة في سورة مريم دراسة نحوية صرفية، للباحث عيسى الأمين حارن، نشرتها جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا عام ١٤٣٥هـ، وقام

بالإشراف عليها الدكتور فضل الله نور علي، وهي رسالة تعنى التوجيه النحوي والصرفي.

٢. رسالة ماجستير بعنوان: توجيه القراءات الشاذة في سورة مريم وأثره في تغاير المعنى، للباحث حمزة عدي، نشرتها جامعة أبو بكر بلقايد عام ١٤٣٥هـ، وقام بالإشراف عليها الدكتور خير الدين سيب، وهي رسالة تعنى بشواذ القراءات الواردة في سورة مريم، وليس هذا محل البحث في دراستي.

٣. بحث بعنوان: الاختلاف الفرشي في سورة مريم دراسة تحليلية، للباحثين: أميرة أحمد زين، والأستاذ الدكتور بدري نجيب زبير، وقد نشرتها الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام ١٤٣٩هـ، وهي دراسة تعنى ببلاغة فرش القراءات الواردة في سورة مريم، وقد فات هذه الدراسة بعض الكلمات[١].

وتتميز هذه الدراسة بما يلي:

١. تعنى هذه الدراسة بجوانب التوجيه المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ومعان لغوية، بحسب الحاجة لكل منها.

٢. حوت الدراسة جميع القراءات التي تصلح للتوجيه، مما له أثر يعود على المعنى.

٣. قد تذكر بعض القراءات التي ليس لها أثر في المعنى، لأسباب، منها: أن يكون العلماء قد اختلفوا في عدِّ القراءة من اختلاف اللهجات أو غير ذلك، كاختلافهم في قراءة {وُلداً}؛ حيث عدّها بعضهم من اختلاف اللهجات، وبعضهم عدها جمعاً لكلمة {ولد}، وقد تذكر القراءة لبيان وإظهار كون الاختلاف فيها غير مؤثر، كاختلاف القراءة في {يكاد} و{تكاد} فالتذكير والتأنيث ليس له أثر في المعنى، وقد بينت الدراسة ذلك، وهذه القراءة وإن كانت موجودة في الدراسة إلا أنها قليلة جداً.

٤. خلت هذه الدراسة من القراءات الشاذة، واقتصرت على المتواتر منها، واعتمد كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري كتاباً رئيسياً عند توثيقها.

---

١ كقراءة {يرثني ويرث} بالجزم والرفع، و{خلقتك} بالتاء والنون، و{لأهب} بالهمزة والياء، وغير ذلك.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والوصفي، فقد تم استقراء جميع القراءات المتواترة، واختيار ما يصلح منها للتوجيه مما له أثر في المعنى، ثم قامت الدراسة على تحليل هذه القراءات من الناحية النحوية والصرفية والبلاغية بحسب الحاجة، ومقارنتها ببعضها، وإظهار الفروق البديعة بينها.

خطة البحث

قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة عشر مطلباً، وخاتمة، على النحو الآتي:

مقدمة

المطلب الأول: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ} من قوله: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم: ٦].

المطلب الثاني: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {خلقتك} من قوله: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: ٩].

المطلب الثالث: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {لأهب} من قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩].

المطلب الرابع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مِنْ تَحْتِهَا} من قوله: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم: ٢٤].

المطلب الخامس: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {تُسَاقِطْ} من قوله: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم: ٢٥].

المطلب السادس: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {قَوْلَ الْحَقِّ} من قوله: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} [مريم: ٣٤].

المطلب السابع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} من قوله: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم: ٣٦].

المطلب الثامن: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ من قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

المطلب التاسع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مخلصاً} من قوله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم ٥١].

المطلب العاشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يدخلون} من قوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم ٦٠].

المطلب الحادي عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {نُورِثُ} من قوله: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٣].

المطلب الثاني عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يَذْكُرُ} من قوله: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} [مريم: ٦٧].

المطلب الثالث عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مَقَامًا} من قوله: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم: ٧٣].

المطلب الرابع عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {وَلَدًا} من قوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم: ٧٧]، وقوله {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} [مريم: ٨٨]، وقوله سبحانه {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: ٩١ -٩٢].

المطلب الخامس عشر: توجيه القراءات المتواترة في قوله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم: ٩٠].

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات:

وهذا أوان الشروع في التوجيه

المطلب الأول: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ} من قوله: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم: ٦].

أولاً: القراءة

قرأ أبو عمرو والكسائي {يَرِثُنِي وَيَرِثُ} بجزم الفعلين، وقرأ الباقون برفعهما[١].

ثانياً: توجيه القراءات

جزم الفعلين {يرثْني ويرثْ} في قراءة أبي عمرو والكسائي على أنهما جواب للطلب {الدعاء}، ويكون التقدير: هبْ لي ولياً، فإنك إن تهبه يرثْني[٢].

---

١ انظر: ابن الجزري، محمد (٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (٣١٧/٢)، ومحيسن، محمد(١٤٢٢هـ)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٢٩/٣).

٢ انظر: ابن خالويه، الحسين(٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبعة، د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ، ص٢٣٥، وابن زنجلة، عبد الرحمن(٤٠٣هـ)، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٥، ١٤١٨هـ، ص٤٣٨، ومكي، ابن أبي طالب القيسي(٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، (٨٤/٢).

ورفع الفعلين {يرثُني ويرثُ} في قراءة الباقين على أنهما صفة للولي، ويكون التقدير: فهبْ لي ولياً وارثاً[1].

وذكر ابن خالويه وجهاً آخر، وهو أن تكون {يرثني} حالاً حلَّ محل اسم الفاعل {وارثاً}[2]، والتقدير: فهبْ لي ولياً حاله أنه وارث لنبوتي وعلمي في حياتي.

ورُجحت قراءة الرفع على قراءة الجزم لأن {ولياً} نكرة، فجعلوا {يرثني} صفة لها، وقالوا إن {ولياً} رأس آية، فاستغنى الكلام عن الجواب، وزكريا عليه السلام إنما سأل الله ولياً موصوفاً بالوراثة لعلمه ونبوته في حياته؛ لئلا تكون الإجابة في الولد دون الوصف المرجو، فلا يحصل المقصود من الطلب، وعلى قراءة الجزم قد يهبه الولد ولا يرث[3]، ورجح النحاس قراءة الرفع على الجزم؛ لأن جواب الأمر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة، واحتج أيضاً بردِّ أبي عبيد لقراءة الجزم؛ لأن معناه "إن وهبته لي ورثني"، فكيف يخبر الله جلّ وعزّ بهذا وهو أعلم به منه[4]؟!

وصُوِّبت قراءة الجزم؛ لأن معنى الشرط موجود فيها، ولأن {ولياً} رأس آية، مستغنٍ عن أن يكون ما بعده صفة له[5]، وقدّر الولي في الآية بمعنى الولي الوارث، من باب وضع العام {ولياً} موضع الخاص {ولياً وارثاً}، ويكون التقدير: فهب لي ولياً وارثاً، فإنك إن وهبتني وليّاً وارثاً يرثْني[6].

والترجيح الذي يميل إليه الباحث أن يقال بأن كلتا القراءتين ثابتتان، فهما قراءتان متواترتان، وكل قراءة تكمل الأخرى، ولعل قراءة الجزم تظهر شدة رغبة نبي الله زكريا عليه السلام وتشوُّفه لأن يهبه الله وارثاً يرثه، مما جعله يطلب الولي الوارث، ثم يخبر اللهَ عز وجل بأن وراثة النبوة والعلم لن يتحققا إلا بحصول ذلك، لتوقف حصول جواب الشرط على تحقق

---

١ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٨٣، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٨٤/٢)، وأبو حيان، محمد (٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، (٢٤١/٧)،

٢ انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، (٢٣٥/١).

٣ انظر: الفارسي، الحسن (٣٧٧هـ)، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ، (٤٨٦/٣-٤٨٧)، وابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٨٣، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٨٤/٢)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٤١/٧).

٤ انظر: النحاس، أحمد (٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٥/٣).

٥ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٨٤/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٢٩/٣).

٦ انظر: الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، (٤٨٧/٣)، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، (٨٤/٢).

فعله[1]، وقد بني الأمر في هذه القراءة على الطلب، وليس هناك جزم وقطع بتحقق الجزاء، فالأمر موكول إلى مشيئة الله تعالى:[2]، وهذا فيه مبالغة من زكريا عليه السلام في ذكر ما يريده ويهدف له، ويفتقر إليه من ولد وارث يرث نبوته ويحمل علمه، وفي دعائه بهذه الصورة إظهار لمدى عمق اتصاله بربه، وشدة إقباله وتضرعه إلى الله عز وجل.

وأما قراءة الرفع فتفيد أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يهبه ولياً يتصف بوراثة علمه ونبوته في حياته، وهذه القراءة تحمل في طياتها الرجاء في تحقق المطلوب، فكأن نفس زكريا عليه السلام قد اطمأنت ووثقت بأن الله سبحانه لا يخيب من رجاه ولا يرد من دعاه، فكأنه تيقن حصول الولد، ولما تيقن من حصول الولد قال يا رب اجعله موصوفا بكذا وكذا[3].

وقراءة الجزم من حيث الوجود متقدمة في الزمن وفي الحدوث، ففيها أن زكريا عليه السلام قد طلب حدوث الولد، وبعد أن ناجى ربه في هذا النداء الخفي المتبتل إلى ربه عز وجل، ووثقت نفسه بالمطلوب، بينت هذا الوثوق القراءة الأخرى برفع الفعل، وما عطف عليه[4].

المطلب الثاني: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {خلقتك} من قوله: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: ٩].

أولاً: القراءة

قرأ حمزة والكسائي {وَقَدْ خَلَقناكَ}، بالنون والألف على لفظ الجمع، وقرأ الباقون {وَقَدْ خَلَقْتُكَ}، بالتاء مضمومة من غير ألف[5].

ثانياً: توجيه القراءات

قرأ الكسائي وحمزة {خلقناك} بنون مفتوحة، وألف بعدها؛ على إسناد الفعل إلى ضمير العظمة؛ لمناسبة قوله تعالى قبل: {يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ}، أو لأن العرب تخبر عن العظيم

---

١ تحقق جواب الشرط متوقف على تحقق فعل الشرط، فإذا حصل الشرط حصل ما تعلق عليه. انظر: عباس، حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥، (٤/٤٢٣).

٢ أفاده فضيلة الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، حفظه الله وجزاه عنا خير الجزاء.

تعريف بالأستاذ الدكتور: هو فضيلة الأستاذ الدكتور حاتم جلال التميمي، رئيس دائرة القرآن والدراسات الإسلامية في جامعة القدس، الواقعة في أبو ديس/ فلسطين، مجاز بالقراءات العشر، وأحد أعضاء التحكيم في المسابقات العالمية لحفظ القرآن، ومحكّم للأبحاث والترقيات العلمية في عدد من الجامعات العالمية والمحلية. انظر: صفحة جامعة القدس على الرابط: https://www.alquds.edu/ar/faculty-team/

٣ أفاده فضيلة الأستاذ الدكتور حاتم جلال نفعنا الله به في الدارين.

٤ أفاده فضيلة الأستاذ الدكتور حاتم جلال رفع الله قدره وزاده علماً وعملاً.

٥ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/٣١٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣١).

القدر بلفظ الجمع؛ على إرادة التعظيم له، ولا عظيم أعظم من الله سبحانه وتعالى، فتأتي هذه القراءة للتعبير عن القدرة، وفيها معنى التعظيم[1].

وقرأ الباقون: {خلقتك} بالتاء المضمومة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلّم؛ لمناسبة قوله تعالى: {قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} قبلها على الإفراد، ولم يقل: {علينا}[2]، فجرى الكلام على لفظه وسياقه، ويراد بهذه القراءة مطلق الإخبار.

وخلاصة القول: إن كلتا القراءتين من إخبار الله عز وجل عن نفسه؛ فالتاء المضمومة والنون التي بعدها ألف، كلاهما ضميران استخدما للتعبير عن المتكلم المفرد[3]، إلا أن قراءة الجمع تعبر عن قدرة الله المطلقة، وفيها معنى التعظيم، والله أعلم.

المطلب الثالث: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {لأَهَبَ} من قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩].

أولاً: القراءة

قرأ ورش، وأبو عمرو، ويعقوب، وقالون بخُلْفٍ[4] عنه: {لِيَهَبَ} بالياء بعد اللام، وقرأ الباقون: {لأَهَبَ} بالهمزة[5].

ثانياً: توجيه القراءات

أسند الفعل في قراءة: {لأَهَبَ لك} إلى المتكلم الذي خاطب مريم البتول؛ وهو جبريل عليه السلام[6].

---

١ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٣٩، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٥/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣١/٣).

٢ انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، (٢٣٦/١)، وابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٠، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣١/٣).

٣وضع للمتكلم ضميران يدلان على ستة معان، فالتاء مشترك بين اثنين: المفرد المذكر والمؤنث، والنون التي بعدها ألف مشترك بين أربعة: المثنى المذكر والمؤنث، والمجموع المذكر والمؤنث، وقد يقول المعظم فَعلْنا، ونحن، وإيانا. انظر: الاستراباذي، رضي الدين (٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق د. يحيى مصري، نشر الإدارة العامة لجامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ، (١٢١/١-١٢٢).

٤ تعني كلمة: "بخلف عنه" أن للقارئ وجهان يقرأ بهما.

٥ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٧/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣١/٣).

٦ انظر: الفارسي، الحجة في علل القراءات، (٤٩١/٣).

وهذه القراءة إما أن تكون على الحكاية بقولٍ محذوف [أي حكاية جبريل عليه السلام عن الله تعالى] على تأويل: إنما أنا رسول ربك وهو يقول: لأهب لك[1]، وإما أن يكون الكلام من قول جبريل عليه السلام، والتقدير: "إنما أنا رسول ربِّك لأهب أنا لك غلاماً بأمر ربك"[2]، وتقدير القراءة على الحكاية بعيد؛ لأنه إذا استقام المعنى بغير تقدير كان أولى بالتقديم، ووجه التقدير الثاني أن جبريل كان سبباً في هبة الغلام بالنفخ في مريم، وكان الإعلام من قبله، فأسنَد الفعل إليه، والرسول قد يسند هذا ونحوه إلى نفسه، وإن كان الفعل على الحقيقة من المرسِل، للعلم بذلك، وأن الرسول مترجم عنه[3]، والإسناد على هذه القراءة مجازي، من إسناد الفعل إلى سببه المباشر؛ لأن جبريل هو الذي باشر النفخ[4].

ويستفاد من هذه القراءة أن الهبة كانت من الله عز وجل بفعل المَلَك خاصة.

وأما قراءة: {لِيَهَبَ} بالياء بعد اللام فيُحتمل أن تكون الهمزة خففت وأُبدِلت ياءً؛ لانكسار ما قبلها[5]، فتكون القراءة بذلك كالقراءة بالهمز في المعنى[6].

وإما أن تكون الياء للغائب؛ أي إلى ضمير: {ربِّك}، فيكون الإخبار من الرب سبحانه، ويكون التقدير: إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاماً، والإسناد على هذه القراءة حقيقي؛ لأن الواهب في الحقيقة هو الربّ عزّ وجلّ، دلَّ عليه ضمير الغائب، الذي يعدُّ نصاً في تعيين الفاعل، فلا يلتبس بالذي قدِّر الفعل على يده، وهو جبريل[7].

---

١ انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، (٢٣٦/١)، والزمخشري، محمود (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، (١٠/٣)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٤٩/٧).

٢ مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٦/٢).

٣ انظر: الفارسي، الحجة في علل القراءات، (٤٩١/٣)، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٦/٢)، وابن أبي مريم، نصر(٥٦٥هـ)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق د. عمر الكبيسي، مكة، ط١، ١٤١٤هـ، (٨١٥/٢)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٤٩/٧).

٤ انظر: محيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣١/٣).

٥ انظر تخفيف الهمزة في: ابن الحاجب، عثمان (٦٤٦هـ)، الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري)، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط١، ١٤١٥هـ، ص٨٨.

٦ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٦/٢)، والسمين الحلبي، أحمد (٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، (٥٧٨/٧).

٧ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٦/٢)، والإستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، (١١٢/١)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣١/٣).

والخلاصة أن قراءة: {لِيَهَبَ} بينت أن الفاعل هو الله عز وجل على الحقيقة، وأما قراءة: {لأَهَبَ} فبينت أن الهبة التي قضاها الله كانت بواسطة الملك جبريل، فهو الذي جرت الهبة على يديه من فعله بالنفخ.

المطلب الرابع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مِنْ تَحْتِهَا} من قوله: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم: ٢٤]

أولاً: القراءة

قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، وروح: {مِنْ تَحْتِهَا} بكسر الميم، وخفض التاء، وقرأ الباقون: {مَنْ تَحْتَهَا} بفتح الميم، ونصب التاء[١].

ثانياً: توجيه القراءات

{من} في قراءة: {مِنْ تَحْتِهَا} حرف جر، وهذه القراءة تقتضي أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً[٢]، والجار والمجرور {مِنْ تَحْتِهَا} إما أنه متعلق بالنداء {فناداها}، أي: جاء النداء مِنْ هذه الجهة، وإما أن يكون الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حالٍ من الفاعل، أي: فناداها وهو تحتَها، فالإعراب الأول يدل على أن جهة النداء كانت في مكان أسفل منها، والإعراب الثاني يدل على أن المنادي كان في ذلك الموضع عند ندائه لمريم[٣].

وأما {مَن} بفتح الميم في قراءة: {مَنْ تَحْتَهَا} فهو اسم عيسى عليه السلام موصول[٤]، وهو فاعل {نادى}، و{تَحتَها} ظرف مكاني متعلق بمحذوف صلة، ومتضمن لجثة الوليد، والوليد مستقرٌّ فيه، فيكون المعنى أن عيسى عليه السلام كلمها من تحتها من موضع ولادته[٥].

والخلاصة أن قراءة: {مِنْ تَحْتِهَا} تأخذ الأنظار إلى مكان النداء، وأما قراءة: {مَنْ تَحْتَهَا} فتنبِّه على مصدر النداء، وهو الوليد عيسى عليه السلام.

---

١ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٨/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٢/٣).

٢ ورجح كثير من أهل العلم أنه عيسى بن مريم، وليس جبريل، ووجه الترجيح أن الآيات التي قبلها كانت تتحدث عن الحمل، فلما أتى فعل النداء بعد ذكر الحمل، ناسب أن يكون المتكلم عيسى، وأنه مستتر في فعله، وقالوا إن ذلك أبين لها، وأعظم في زوال وحشتها لتسكين نفسها. انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٢، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٦/٢-٨٧)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٣/٧).

٣ انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٣/٧)، والدرويش، محيي الدين (١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص –سورية، دار اليمامة –دمشق –بيروت، دار ابن كثير –دمشق – بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ، (٨٦/٦).

٤ الاختيار أن المنادي عيسى عليه السلام، وقد مرَّ وجه الترجيح في الحاشية قريباً.

٥ انظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، (٢٣٧/١)، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٧/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٣/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٢/٣).

المطلب الخامس: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {تُسَاقِطْ} من قوله: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم: ٢٥].

أولاً: القراءة

قرأ حفص: {تُساقِط} بضم التاء، وتخفيف السين، وكسر القاف، وقرأ حمزة: {تَساقَط} بفتح التاء والقاف، وتخفيف السين، وقرأ يعقوب: {يَسّاقَط} بالياء التحتية مفتوحة على التذكير، وتشديد السين، وفتح القاف، وشعبة له قراءتان: الأولى مثل قراءة: {يعقوب}، والثانية: {تَسّاقَط} بفتح التاء، وتشديد السين، وفتح القاف، وبهذه القراءة قرأ باقي القرّاء[١].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت الآية على أربعة وجوه:

قرئت: {تُساقِط} بضم التاء، وتخفيف السين، وكسر القاف، وهي مضارع {ساقط} وهو فعل متعدٍّ، من (فاعل)، والفاعل ضمير مستتر تقديره: {هي} يعود على {النخلة}، ويجوز أن يكون الفاعل الجذع، ويكون تأنيثه لأنه ملتبس بالنخلة، وهذا المعنى أخذ من الإضافة[٢]، و{رطبًا} مفعول به، و{جنيًّا} صفة[٣].

وأما القراءات الأخرى فكلها يعود أصلها إلى {تساقط}، وهو فعل لازم، من (تفاعل):

- فقراءة: {تَساقَط} بفتح التاء والقاف، وتخفيف السين، وهي مضارع {تساقط}، وأصل المضارع {تتساقط}، فحذفت إحدى تاءيه تخفيفًا، والفاعل ضمير مستتر يعود على {النخلة}[٤]، والمفعول به مضمر تقديره: تساقط النخلة عليك تمرها، و{رطبًا} حال، و{جنيًّا} صفة[٥].

- وقراءة: {يَسّاقَط} بالياء التحتية مفتوحة على التذكير، وتشديد السين، وفتح القاف، وهي مضارع {تساقط}، وأصل المضارع: {يتساقط}، فأدغمت التاء في السين تخفيفًا، والفاعل ضمير مستتر تقديره: {هو} يعود على {الجذع} والمفعول به محذوف، والتقدير: يسّاقط الجذع عليك تمرا، و{رطبًا} حال، و{جنيًّا} صفة[٦].

---

١ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٨/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٣/٣-٣٤).

٢ انظر: الغلاييني، مصطفى (١٣٦٤هـ)، جامع الدروس العربية، ضبطه د.عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤، (١٦٣/٣).

٣ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٨/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٧/٧-٥٨٨)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٣/٣).

٤ يجوز إسناد الفعل إلى النخلة، أو إلى الجذع في كل القراءات، غير أن النخلة هنا أولى لتناسب التأنيث في (تساقط)، ومثل ذلك يقال في كل القراءات لهذه الكلمة. انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٨/٢).

٥ انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٧/٧-٥٨٨)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٣/٣).

٦ انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٥٨٧/٧-٥٨٨)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٣/٣).

– وقراءة: {تَسّاقَط} بفتح التاء، وتشديد السين، وفتح القاف، وهي مضارع: {تساقط}، وأصل المضارع: {تتساقط}، فأدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على: {النخلة}، و{رطباً} حال، و{جنياً} صفة[1].

والملاحظ من القراءات كلها أن الفاعل فيها هو النخلة؛ فهي التي تساقط منها التمر بأمر ربها، وأما الرطب فعلى القراءة الأولى تكون مفعولاً به، وعلى باقي القراءات فإنها تكون حالا؛ أي أنَّ ثمرها عند سقوطه كان على حالة رطب طرية.

والتذكير والتأنيث، ومثله الحذف والإدغام في كلمة: {تساقَط} بفتح القاف، ليس له أثر في المعنى، فقراءة: {تَساقَط} و{تَسَّاقَط} أصلهما واحد، وهو{تتساقط}، وماضيهما واحد أيضاً، وهو {تساقط}، والفاعل فيهما يعود على شيء واحد وهو النخلة، وأما قراءة: {يَسّاقَط} فأصلها {يتساقط}، وماضيها {تساقط} كالقراءتين السابقتين، والفاعل فيها يعود على جذع النخلة، وبهذا تكون القراءات الثلاث الآنفة بمعنى واحد، وليس للتذكير، أو التأنيث، أو الحذف، أو الإدغام، أثر في المعنى.

وفي قراءتي: {تُساقِط}، و{تَساقَط} اختلاف في الصيغة الصرفية، فالأولى التي ضمَّت فيها التاء وكسرت فيها القاف مضارعٌ من {ساقط}، على وزن (فاعل) وهو ثلاثي مزيد بحرف، وهذه الصيغة تفيد المشاركة بين اثنين غالباً، بمعنى أني فعلت به ذلك، وفعل بي مثله[2]، وعند إسقاط معنى المشاركة على المعنى يمكن أن يقال بأن مريم لما أسقطت يدها على النخلة، أسقطت النخلة عليها تلك الرطب، وأن إسقاط الرطب كان يحتاج لتلك المفاعلة، وأنه بغير ذلك لن تسقط الرطب عليها لتأكل منها، وقد كانت سابقاً تأكل من رزق الله بغير فعل منها، فتكون هذه المفاعلة إرشاداً إلهياً لمريم، وتعليماً لها بأن الرزق ينال ببذل أسبابه[3]، والله أعلم.

---

١ انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٧/٥٨٧-٥٨٨)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٣).

٢ انظر: سيبويه، عمرو (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، (٤/٦٨)، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١/١٦٣).

٣ استدل بعض أهل العلم بهذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما فإن الله تعالى: قد هيأ له الأسباب لأنه سبحانه أمر مريم بهز الجذع لترى الآية، وكان بمقدور الله أن يأتي بالآية من غير هز للجذع. انظر: ابن عطية، عبد الحق (٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، (٤/١٢).

ومن المعاني التي ذكرت لصيغة (فاعل) الموالاة[1]، فيفيد ذلك معنى آخر يضاف إلى الأول، وهو أن الرطب لما نزلت على مريم البتول، نزلت متوالية يتبع بعضها بعضاً، فلم يكن سقوطها دفعة واحدة، مما يدلُّ على تكرر الفعل منها[2].

وذكروا أن صيغة (فاعل) تنقل الفعل من اللزوم[3]، فتجعله متعدياً، وهذا ما فعلته صيغة {تُسَاقِط}، إذ نصبت الرطب على المفعولية.

وأما القراءة الثانية: {تَسَاقَط} بفتح التاء والقاف، فهي مضارع من {تساقط}، على وزن (تفاعل)، وهو ثلاثي مزيد بحرفين، ولعل أنسب معاني هذه الصيغة للآية هو حصول الشيء تدريجياً[4]، فيستفاد منه أن سقوط الرطب حصل متدرجاً، ولم يكن مرة واحدة.

والخلاصة أن قراءة: {تُسَاقِط}، تفيد معنى المشاركة؛ لأن النخلة أسقطت الرطب لما أسقطت مريم يدها عليها وهزتها، كما تفيد الموالاة، فلم تسقط الرطب مرة واحدة؛ بل متوالية يتبع بعضها بعضاً، وتفيد التعدية، إذ نقلت الفعل من اللزوم إلى التعدي، ونصبت الرطب على المفعولية، وأما قراءة {تَسَاقَط}، فتفيد التدرج في سقوط الرطب، فلم يكن سقوطها مرة واحدة، والله أعلم.

المطلب السادس: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {قَوْلَ الْحَقِّ} من قوله: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} [مريم: ٣٤].

أولاً: القراءة

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: {قَوْلَ الْحَقِّ} بنصب اللام، وقرأ الباقون: {قَوْلُ الْحَقِّ} برفعها[5].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {قَوْلَ الْحَقِّ} بنصب اللام، فيجوز أن يكون: {قَوْلَ} مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة التي سبقته، وعامله محذوف تقديره: أقول، والتقدير: أقول قول الحق، والحق هو الصدق، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته[6].

---

١ انظر: الحملاوي، أحمد (١٣٥١هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد، الرياض، ص٣٠.

٢ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٢.

٣ انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣١.

٤ صيغة تفاعل الصيغة المشاركة بين اثنين غالباً، بمعنى تسابق الرجلان، والتظاهر بالفعل دون حقيقته، ومطاوعة فاعَل، وحصول الشيء تدريجيا، انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣٤.

٥ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٨/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣-٣٥).

٦ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٣، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٠/٧)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٩٨/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

ويجوز أن يكون: {الحق} اسماً من أسماء الله تعالى، فيكون نصب: {قولَ} على المدح، أي على أنه مفعول لفعل محذوف، تقديره: أمدح قول الحق، أي: قول الله وكلمته، الذي هو عيسى عليه السلام[1].

وهذه القراءة تفيد التوكيد لمضمون الجملة التي سبقتها، فعيسى عليه السلام هو ابن مريم البتول وحدها من غير أب، وهذا القول أحق الحق، وأصدق الصدق، وهذا المعنى يستفاد إذا أعرب {قولَ} مصدراً[2].

فإن أُعرب مفعولاً أفاد المدح لكلمة الله، الذي هو عيسى بن مريم[3].

وقرأ الباقون: {قَوْلُ} برفع اللام، فيجوز أن يكون رفعه على أنه خبر بعد خبر؛ أي أن {ذلك} يكون مبتدأ، و{عيسى} خبر، و{قولُ الحق} خبره، والحقّ يحتمل أن يكون معناه الصدق، أو اسم من أسمائه تعالى[4].

ويجوز أن يكون بدلاً[5]، وهو ضعيف؛ لأنه كالموضح لحقيقة عيسى ابن مريم.

ويجوز أن يكون عطف بيان، وهو أقوى من القول بأنه بدل؛ لأن الأهمية منصبة عليه، ولأنه موضح لما قبله.

ويجوز أن يكون نعتاً[6]، لكنه ضعيف؛ لأن {قولُ} اسم جامد[7]، والأصل في النعت أن يكون اسماً مشتقاً[8].

---

١ انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٠/٧)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٩٨/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

٢ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٣، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٠/٧)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٩٨/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

٣ انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٠/٧)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٩٨/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

٤ انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

٥ انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣).

٦ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٣.

٧ (قول) مصدر غير ميمي، لفعل ثلاثي مجرّد، لذلك عده العلماء من الأسماء الجامدة، كعِلم، وضرْب، وقراءة. انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (٥/٢).

٨ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٧٠/٣).

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: {هو}، "أي نسبته إلى أمه فقط قول الحق، فتتفق إذ ذاك قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى"[1]، ويضعف هذا أن القول إذا استقام بغير تقدير فلا داعي له.

وأقوى هذه الإعرابات بعد العرض والنقد هو أن تعرب: {قولُ} خبراً بعد خبر، أو عطف بيانٍ.

وهذه القراءة إن أعربت خبراً أفادت الثبوت والدوام والاستمرار[2]، بمعنى أن قول الحق ثابت لا يتبدل ولا يتغير على مرِّ الزمان، وإن شكك فيه المشككون، وكذَّبه المكذبون، ويدعم هذا أن المصدر اسم منفك عن الزمان، لا كالأفعال، وإن أعربت: {قولُ} عطف بيان أفادت الإيضاح لمتبوعه؛ لأن متبوعه: {عيسى بن مريم} معرفة[3]، فهو توضيح وكشف عن كونه كلمةَ الله التي بها خلق من غير أب.

والخلاصة أن قراءة: {قَوْلَ الْحَقِّ} بفتح اللام إن أعربت مصدراً أفادت التوكيد لمضمون الجملة التي سبقتها؛ فعيسى عليه السلام هو ابن مريم البتول وحدها من غير أب، وإن أعربت مفعولاً أفادت المدح لكلمة الله؛ الذي هو عيسى بن مريم، وأما قراءة: {قَوْلُ الْحَقِّ} بضم اللام، فإن أعربت خبراً أفادت الثبوت والدوام والاستمرار، بمعنى أن قول الحق ثابت لا يتبدل ولا يتغير على مرِّ الزمان، وإن أعربت عطف بيان أفادت الإيضاح والكشف عن كون عيسى بن مريم كلمةَ الله التي بها خلق من غير أب.

المطلب السابع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} من قوله: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [مريم: ٣٦].

أولاً: القراءة

قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر)، وابن عامر، وروح: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: {وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي} بفتحها[4].

---

١ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٠/٧)، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٦/٣).

٢ لأن الخبر جملة اسمية، تفيد الثبوت والدوام والاستمرار. انظر: عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٣٦.

٣ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٨٢/٣).

٤ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٨/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٥/٣).

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} بكسر الهمزة، على الاستئناف، ويدل عليه أن الذي قبل قوله: {وإنّ} رأس آية، وقد تم الكلام على ذلك، ثم وقع الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس الآية[1].

ويجوز أن يكون كسر الهمزة عطفا على قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} والمعنى: قال إني عبد الله... وإن الله ربي وربكم فاعبدوه[2]، وهذا القول ضعيف؛ لكثرة الفواصل بين المتعاطفين.

ويجوز أن يكون قوله: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} عطفاً على قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ}، فيكون بقية لكلام جرى على لسان نبي الله عيسى تأييداً لبراءة أمه، وما بينهما يكون اعتراضاً، والتقدير: قال إني عبد الله ... وإن الله ربي وربكم فاعبدوه[3]، وهذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين.

وتفيد هذه القراءة توكيد ربوبية الله على الخلق، واستفيد معنى التوكيد من حرف {إنَّ}.

وقرئت: {وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي} بفتح الهمزة، على الجر بلام محذوفة، والجار والمجرور متعلّقان بالفعل بعده: {فاعبدوه}، والتقدير: ولأنَّ اللهَ ربي وربُّكم فاعبُدوه، فيكون المعنى: ولوحدانيته تعالى: في الربوبية اعبدوه وأطيعوه[4]، وهذا هو **الوجه الأول.**

والوجه الثاني: أنه معطوف على الصلاة، والمعنى: وأوصاني بالصلاة، والزكاة، وبأنّ الله ربي وربكم، أي باعتقاد ذلك، وضعّف هذا القول لكثرة الفواصل بين المتعاطفين[5]، وقد مر نحو ذلك في القراءة الأولى.

والوجه الثالث: أَنْ تكونَ: {أَنَّ} وما بعدها نَسَقاً[6] على: {أمراً} المنصوبِ بـــ {قَضَى} والتقدير: وإذا قضى أمراً، وقضى أنَّ اللهَ ربي وربُّكم، وردَّ هذا القول "لأنه إذا عَطَفَ على:

---

١ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٩/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٥٩٩/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٤/٣).

٢ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٩/٢).

٣ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٩/٢)، وابن عاشور، محمد (١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرر والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (١٠٤/١٦).

٤ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٩/٢)، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١٧/٣)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٠٠/٧).

٥ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٨٩/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٠٠/٧).

٦ يقصد بعطف النسق: العطف بالحرف، هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من أحرف العطف. انظر: ابن هشام، عبد الله (٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، (٣١٧/٣)، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٨٤/٣).

{أمراً} لزم أن يكونَ داخلاً في حيِّز الشرطِ بـــ {إذا} ، وكونُه تبارك وتعالى ربَّنا لا يتقيَّد بشرطٍ البتةَ؛ بل هو ربُّنا على الإطلاق"[1].

وتفيد هذه القراءة على تقدير الجر بلام محذوفة، تقرير المشركين باستحقاق الله وحده للعبادة دون غيره، بإقامة الحجة عليهم، وذلك من خلال تذكيرهم بربوبيته عليهم، وأن بيده الخلق والأمر، وقد أكد هذا المعنى بمؤكدين، الأول: حرف التوكيد (أنَّ)، والثاني: تقديم المعمول على العامل.

والخلاصة أن قراءة: {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي} بكسر الهمز تفيد تأكيد حقيقة ربوبية الله على الخلق، وأن قراءة: {وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي} بفتح الهمزة تفيد تقرير المشركين باستحقاق الله وحده للعبادة دون غيره، بإقامة الحجة عليهم، وذلك من خلال تذكيرهم بربوبية الله سبحانه عليهم، والتوكيد على ذلك.

المطلب الثامن: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ من قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

أولاً: القراءة

قرأ ابن عامر: ﴿فَيَكُونَ﴾ بنصب النون، وقرأ الباقون: ﴿فَيَكُونُ﴾ بالرفع[2].

ثانياً: توجيه القراءات

١-قراءة الجمهور:﴿ فَيَكُونُ﴾ برفع النون.

قرئت: ﴿فَيَكُونُ﴾ برفع النون، وفي توجيهه وجهان قويان:

الأول: أن يكون الرفع على الاستئناف، أي أن ﴿يَكُونُ﴾ خَبَرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديره: (فهو)[3]، ويكون المعنى: إذا أحكم الله عز وجل أمراً وحتمه فإنما يقول له: كن، فهو يكون كما أمرَ سبحانه، والقول والمقول هنا محمول على المجاز، ويقصد به التمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما[4].

---

١ السمين الحلبي، الدر المصون، (٦٠٠/٧)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٢٦٢/٧).

٢ انظر: ابن الجزري، النشر، (٢٢٠/٢)، ومحيسن، الهادي، (٥٠/٢).

٣ انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٨٧/٢).

٤ انظر: الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ. (٥٤٢/٢)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (٦٨٧/١).

الثاني: أن يكونَ معطوفاً على﴿يقولُ﴾[1]، ويمكن حمل الأمر في هذا التوجيه على الحقيقة، ويكون المعنى: إذا أحكم الله عز وجل أمراً وحتَمه، فإنما يقول له ﴿كُنْ﴾، فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله عز وجل أن يكون وأراده، ويكون تكوينه بأمرِ التكوين ﴿كُنْ﴾[2].

وقد ضعَّف بعضهم حمل الأمر على الحقيقة؛ لأنه لا يخلو من أحد أمرين [3]:

الأول: أن يكون الأمر متوجهاً لمعدومٍ، وفي هذه الحال لا يجوز أمره؛ لأنه معدوم، والأمر لا يتوجه لمعدوم.

الثاني: أن يكون المأمور حادثاً موجوداً، وفي هذه الحال لا يجوز أمره بالحدوث؛ لأنه حادث موجود، فكيف يقال للموجود: كن موجوداً؟

وأجيب عن هذين الأمرين بأن الأمر–وإن كان معدوماً–موجود في علم الله عز وجل، فلمَّا قدِّر وجوده وهو كائن لا محالة؛ كان كالموجود، فصحَّ الخطاب [4]، قال الطبري: "إن الله عالم بكل ما هو كائن قبل كونه. فلما كان ذلك كذلك، كانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة لعلمه بها قبل كونها، نظائر التي هي موجودة، فجاز أن يقول لها: "كوني"، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود، لتصور جميعها له، ولعلمه بها في حال العدم"[5].

٢–قراءة ابن عامر: ﴿فَيَكُونَ﴾ بفتح النون.

قرئت: ﴿فَيَكُونَ﴾ بنصب النون، لأنها جواب للأمر (كن)، والجواب يكون منصوباً بأن المضمرة بعد فاء السببية، على تقدير (فأن يكونَ) [6].

وقد نصبت نون ﴿يكونَ﴾ في هذه القراءة على أنها جواب للفظ ﴿كُنْ﴾ لأنها جاءت بلفظ الأمر، فشبهت بالأمر الحقيقي، فالنصب هنا روعي فيه ظاهر اللفظ، دون حقيقة الأمر، ومن غير نظر للمعنى [7]؛ إذ لا يصح على هذه القراءة أن يكون الأمر حقيقياً لوجهين:

---

١ انظر: الطبري، جامع البيان، (٥٤٤/٢)، (٥٤٦/٢–٥٤٧)، والبغوي، الحسين بن مسعود (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ، (١٤٢/١).

٢ انظر: الطبري، جامع البيان، (٥٤٤/٢)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠٣/١٦).

٣ انظر: الطبري، جامع البيان، (٥٤٤/٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (٢٠٢/١).

٤ انظر: الطبري، جامع البيان، (٥٤٥/٢)، والبغوي، معالم التنزيل، (١٤٢/١)، وابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت:٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٩٥/١).

٥ انظر: الطبري، جامع البيان، (٥٤٥/٢)

٦ انظر: البغوي، معالم التنزيل، (١٤٢/١)، وأبو حيان، البحر المحيط، (٥٨٦/١).

٧ انظر: وأبو حيان، البحر المحيط، (٥٨٦/١)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٨٩/٢).

الأول: أنَّ هذا وإن كان بلفظ الأمر فمعناه الخبرُ، ولا يراد به حقيقة الأمر؛ إذ ليس هناك مخاطب به، والمقصود بذلك سرعة التكون [١]، وقد أجيب عن هذا الوجه في قراءة النون بالرفع، بأن الأمر–وإن كان معدوماً–موجود في علم الله عز وجل، وأنه لمَّا كان مقدَّراً وجوده؛ كان كالموجود، فصحَّ خطابه.

الثاني: أن جواب الأمر لا بد أن يخالف الأمر، إما في الفعل، أو في الفاعل، أو فيهما، ولا يجوز أن يؤول المعنى إلى أن يصير: "إن تذهب تذهب" مثلاً، فهذا لا معنى له، وكذلك﴿ كُنْ فَيَكُونَ﴾ يؤول معناه إذا جعلت ﴿فيكونَ﴾ جواباً إلى: (إن يكن يكن) ولا معنى لهذا؛ لأنه قد اتفق فيه الفاعلان؛ لأن الضمير الذي في ﴿كُن﴾ وفي ﴿يكونَ﴾ هو (الشيء) ولو اختلفا لجاز [٢].

وهذا الوجه يصعب دفعه، لذلك فإن توجيه قراءة النون بالنصب أن يقال بأنه روعي فيها لفظ الأمر دون معناه، وهي قراءة صحيحة ثابتة متواترة، ولا يصح ردُّها كما فعل الفراء [٣]، ولا تضعيفها، كما فعل مكي فيها[٤]، وقد أغلظ بعضهم القول فيمن تكلَّم في هذه القراءة وادَّعى بأنها لحن؛ إذ قال بأنه من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر؛ إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى [٥].

والسر في قراءة النصب هنا: أن الفاء للسببية؛ وفي ذلك إشارة إلى سببية الحدوث بفعل الأمر الإلهي [٦]، وهي قراءة تؤيد القول بحقيقة توجيه الأمر الإلهي إلى المعلومات قبل حدوثها، لتُكوَّن على ما أراده الله عز وجل.

وقراءة النصب تضيف فائدة تتعلق بلغة العرب؛ إذ قد يراعى في كلامهم اللفظ دون المعنى، فيصاغ الأمر مع اتحاد الشرط والجزاء في الفعل والفاعل، ولا يراد به حقيقة الأمر، وإنما يشيرون بذلك إلى نكتة خفية، وهذا تفنن في القول أضافته لنا هذه القراءة المتواترة.

---

١ انظر: العكبري، عبد الله بن الحسين (ت:٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق على البجاوي، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٠٩/١)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٨٩/٢).

٢ انظر: العكبري، التبيان، (١٠٩/١)، وأبو حيان، البحر المحيط، (٥٨٦/١)، ومحيسن، الهادي، (٥١/٢).

٣ انظر: الفراء، معاني القرآن، (٧٤/١).

٤ انظر: مكي، الكشف، (٢٦١/١).

٥ انظر: أبو حيان، البحر المحيط، (٥٨٦/١).

٦ انظر: الجماس، بلاغة (كن فيكون) بين الرفع والنصب، موقع رابطة العلماء السوريين، رابط: https://islamsyria.com/ar/.

المطلب التاسع: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مخلصا} من قوله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم ٥١].

أولاً: القراءة

قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر): {مُخلَصاً} بفتح اللام، وقرأ الباقون: {مخلِصاً} بكسر اللام[١].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {مُخلَصا} بفتح اللام، على أنها اسم مفعول من {أخلص}، والمعنى: أَخْلصه اللَّه، أي: اجتباه واختاره لعبادته، أو أَخْلصه مِنْ كل سوء[٢].

وقرئت: {مخلِصاً} على أنها اسم فاعل من {أخلص}، والمفعولُ محذوف تقديره: المخلِصَ نفسه لعبادة الله[٣].

ويمكن الجمع بين القراءتين بأن يقال: إن الله سبحانه لما اختار موسى عليه السلام وأخلصه لعبادته، وطهره من كل دنس وسوء، أخلص نفسه له بالتوحيد والعبادة، فدلَّت القراءتان على مرحلتين زمنيتين، الأولى دلَّت عليها القراءة بفتح اللام؛ وهي التي أخلص الله فيها عبده، والثانية دلَّت عليها القراءة بكسر اللام؛ وهي التي أخلص فيها موسى عليه السلام التوحيد والعبادة لله عز وجل.

المطلب العاشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يدخلون} من قوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم ٦٠].

أولاً: القراءة

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر بخلف ويعقوب: {يُدخَلُونَ} بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الباقون: {يَدخُلون} بفتح الياء وضم الخاء[٤].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {يُدخَلُونَ} بضم الياء وفتح الخاء، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل، والفاعل يحذف لأغراض متعددة، منها أن يكون معلوماً، لا حاجة لذكره، فيحذف لتوجيه المخاطب إلى

---

١ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/٢٩٥)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٢/٣٢٦).

٢ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٤، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/ ٩)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦/٤٧٠).

٣ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٥، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/١٠)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦/٤٧٠).

٤ انظر: الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/٢٥٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٢/١٦٠).

عين الحدث؛ لأن الاهتمام منصب عليه، وفي الحذف أيضاً تمجيد وتعظيم للفاعل، وهو الله عز وجل[1].

وقرئت: {يَدخُلون} بفتح الياء وضم الخاء، على البناء للفاعل، والواو هي الفاعل، ومن دواعي ذكره التي تظهر في الآية إرادة استثارة كوامن الشوق إلى الجنة في نفوس المتلقِّين، وطمأنتهم، وتخصيصهم بالذكر؛ لأن الاهتمام منصب عليهم[2].

والخلاصة أن قراءة: {يُدخَلُونَ} بضم الياء وفتح الخاء، فيها تعظيم للرب سبحانه، واهتمام بعين الحدث؛ وهو دخول الجنة، وأما قراءة: {يَدخُلون} بفتح الياء وضم الخاء، ففيها تخصيص لهؤلاء المتلقين، واهتمام بهم، وتشويق وطمأنة لهم بدخول الجنة.

المطلب الحادي عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {نُورِثُ} من قوله: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٣].

أولاً: القراءة

قرأ رويس: {نُوَرِّثُ} بفتح الواو وتشديد الراء، وقرأ الباقون: {نُورِثُ} بإسكان الواو وتخفيف الراء[3].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {نُوَرِّثُ} بفتح الواو وتشديد الراء، وهي مضارع: {ورَّث} مضعَّف العين، على وزن: {فعَّل}، الذي يفيد التكثير[4]؛ لأن: {ورَّث} أصلها من {ورِث}، وهو فعل متعدٍّ.

وقرئت: {نُورِثُ} بسكون الواو، وكسر الراء مخففة، مضارع: {أورث}، على وزن {أفعل}، الذي يفيد تعدية الفعل غالباً[5].

---

١ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٣٩٧/١)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٩٧/٤)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (١٦٠/٢)، وحبنكة، عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٣٣٧/١)، وعباس، فضل، أساليب البيان، دار النفائس، الأردن، ط٤، ١٤٣٩هـ، ص١٢٨-١٢٩، وعتيق، علم المعاني، ص١٠١.

٢ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٣٩٧/١)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٩٨/٤)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (١٦٠/٢)، وحبنكة، البلاغة العربية، (٣١٦/١)، وعباس، أساليب البيان، ص١٢٠-١٢١.

٣ انظر: الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٨/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٥/٣).

٤ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (٢١٨/١).

٥ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (٢١٨/١).

ويمكن التماس فائدة من اختلاف القراءتين بأن يقال: إن قراءة التضعيف: {نورِّث} تفيد معنى المبالغة في التملك والاستحقاق[1]، وأما قراءة: {نُورِثُ} فإنها تفيد مطلق التوريث.

والتوريث استعارة، والمعنى: تلك الجنة نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم، كما يبقى على الوارث من مال مورثه المتوفى[2].

المطلب الثاني عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يَذْكُرُ} من قوله: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا} [مريم: ٦٧].

أولاً: القراءة

قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم: {يَذْكُرُ} بتخفيف الذال والكاف، مع ضم الكاف، وقرأ الباقون: {يَذَّكَّرُ} بتشديدهما وفتح الكاف[3].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {يَذْكُرُ} بإسكان الذال، وضم الكاف، مضارع من {ذكر}، وهو من الذكر الذي يكون عقيب النسيان والغفلة، والخطاب في هذه القراءة موجَّه لمن بلغته الحجة، وعرف الحق، ثم غفل عنه ونسيه، وهو غالباً جاحد منكر معاند[4].

وقرئت: {يَذَّكَّرُ} بتشديد الذال والكاف، على أنه مضارع: {تذكّر} مضعف العين، على وزن {تفعَّل} وأصله {يتذكر} فأبدلت التاء ذالًا، وأدغمت في الذال[5].

ووزن {تفعَّل} يستعمل للتكلف غالباً[6]، وهو مناسب لمعنى التدبُّر الذي يحتاج من صاحبه إلى التأمل وتقليب النظر، والتفكر العميق في هذه الحقيقة، وفي هذا تكلف ظاهر لا يخفى، وهذا الخطاب موجه لمن لم تبلغه الحجة ممن أنكر البعث واستبعده، وهذه القراءة تدلُّ على مرحلة سابقة للذِّكر الذي يكون عقيب النسيان، فالتدبُّر مرحلة متقدمة، والذكر مرحلة متأخرة تأتي بعده.

---

١ ذكر البيضاوي أن الوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق. انظر: البيضاوي، عبد الله (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٤/١٥).

٢ انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٤/١٥)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٧/٢٨٠).

٣ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/٣١٨).

٤ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٥، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/٩٠)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٧/٦١٩)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٧٣).

٥ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٥-٤٤٦، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/٩٠)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٧٣).

٦ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (١/١٦٣).

ويمكن الجمع بين القراءتين بأن يقال: إن قراءة: {يَذَّكَّرُ} بتشديد الذال والكاف، جاءت لإقامة الحجة على المعاندين الذين أنكروا البعث، إذ وضعت هذه الحقيقة بين أيديهم، ودعتهم لتدبُّرها والتفكُّر فيها، وأما قراءة: {يَذْكُرُ} بإسكان الذال، وضم الكاف، فجاءت لتذكير هؤلاء الذين بلغتهم الحجة، فنسوها وعاندوا الحق، وأصروا على إنكار البعث.

وقد يقال إن قراءة: {يَذَّكَّرُ} بتشديد الذال والكاف، تخاطب صنفاً من البشر لم تنكشف لهم الحقيقة الواضحة، فدعاهم الله عز وجل فيها إلى التدبر والتفكر؛ حتى تنجلي أمامهم ويبصروا الحق، وأما قراءة: {يَذْكُرُ} بإسكان الذال، وضم الكاف، فالخطاب فيها موجه إلى من كان الأمر واضحاً عنده لا يحتاج إلى كثير تفكر وتدبر، ولكنه غفل وعاند الحق، فذكَّره الله بما هو معلوم لديه، لا يخفى على أمثاله.

المطلب الثالث عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {مَقَامًا} من قوله: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم: ٧٣].

أولاً: القراءة

قرأ ابن كثير: {مُقَامًا} بضم الميم، وقرأ الباقون: {مَقَامًا} بفتحها[١].

ثانياً: توجيه القراءات

{مَقَامًا} بفتح الميم الأولى، منصوب على التمييز، على أنه مصدر ميمي، أو اسم مكان من: {قام} الثلاثي، وهو فعل لازم، فيكون المعنى: خيرٌ قياما، أو مكان قيام[٢].

وأما {مُقَامًا} بضم الميم الأولى، فمنصوب على التمييز، على أنه مصدر ميمي، أو اسم مكان من {أقام} الرباعي، فيكون المعنى: خيرٌ إقامة، أو مكان إقامة[٣]، ووزن أفعل يكون للتعدية غالباً[٤].

يقول أبو حيان: "واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدراً، أو موضع قيام، أو إقامة، وانتصابه على التمييز"[٥].

والقراءتان بمعنى واحد، وليس بينهما اختلاف؛ فالمقام بالضم والفتح يدلان على المنازل والدور التي افتخر بها الكافرون، أو على سكناهم فيها، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن

---

١ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٢/٣١٨-٣١٩)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٥).

٢ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/٩١)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٥).

٣ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢/٩١)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣/٣٥)،

٤ انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، (١/١٦٣).

٥ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (٧/٢٩٠)، وانظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (٧/٦٢٨).

القراءتين بمعنى واحد[1]، وحمل القراءتين على معنى المكان أحسن، لما قرن به من ذكر المكان في الآية التي بعدها عند قوله تعالى: {أحسن نديًّا} أي: مجلساً[2].

والقراءتان تدلان على أن تعداد المفاخر كان من باب المكاثرة والمباهاة، للظهور على المؤمنين، بعد عجزهم عن معارضة الآيات، فجعلوا حظهم في الدنيا معياراً على الفضل والنقص[3].

المطلب الرابع عشر: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {وَلَداً} من قوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم: ٧٧]، وقوله: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} [مريم: ٨٨]، وقوله سبحانه: {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [مريم: ٩١ -٩٢].

أولاً: القراءة

قرأ حمزة والكسائي: {وُلْداً} بضم الواو وإسكان اللام في المواضع الأربعة، وقرأ الباقون: {وَلَداً} بفتح الواو واللام فيهن[4].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {وُلْداً} بضم الواو، وسكون اللام، جمع {وَلَدْ}، نحو {أُسْد} و{أَسَد}، وعلى هذا يكون الوُلد بمعنى الأهل[5].

وأما: {وَلَداً} بفتح الواو، فاسم مفرد، قائم مقام الجمع، ويقصد بالولَد الابن والابنة[6].

---

١ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٩١/٢)، والرازي، محمد (٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الدار النموذجية – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ص٢٦٢.

٢ انظر: ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، (٨٢٣/٢)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٧/٤).

٣ الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٣٦/٣)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١٧/٤)، وابن كثير، إسماعيل (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (٢٢٧/٥).

٤ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٩/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣).

٥ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٩٢/٢)، وابن منظور، محمد (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، (٤٦٨/٣)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٣٥/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣).

٦ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٩٢/٢)، ابن منظور، لسان العرب، (٤٦٧/٣)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٣٥/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣).

وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، مثل: {العَرَب، والعُرْب، والبَخَل، والبُخْل}[1].

وعلى فرض اختلاف القراءتين فإنه يمكن الجمع بينهما بأن يقال: إن كل قراءة تكمل الأخرى؛ فقراءة: {وُلْداً} بضم الواو وسكون اللام، تتكلم عن الأهل، وأما قراءة: {وَلَداً} بفتح الواو، فتتكلم عن الوَلَد، سواء كان واحداً أو أكثر، ذكراً أو أنثى.

المطلب الخامس عشر: توجيه القراءات المتواترة في قوله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [مريم: ٩٠].

الفرع الأول: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {تَكَادُ}

أولاً: القراءة

قرأ نافع والكسائي: {يَكَادُ} بالياء، وقرأ الباقون: {تَكَادُ} بالتاء[2].

ثانياً: توجيه القراءات:

قرئت: {يَكَادُ} بالياء، على التذكير، وقرئت: {تَكَادُ} بالتاء، على التأنيث، ويجوز تذكير الفعل وتأنيثه؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي[3]، ولم يذكر كثير من أهل التفسير أثراً للتذكير والتأنيث على المعنى[4].

وذكر بعضهم أن: {يَكَادُ} ذكِّرت لأن {السماوات} جمعٌ قليل، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً، كقوله تعالى: {فإذا انسلَخَ الأَشْهُرُ الحرُم} [التوبة: ٥]، وأما: {تَكَادُ} فقرئت بالتاء لتأنيث السماوات[5]، ولا أثر لهذا في المعنى، وإن كان يدل على علو البلاغة القرآنية، والتفنن في وجوه القراءات.

---

١ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٩٢/٢)، ابن منظور، لسان العرب، (٤٦٨/٣)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٣٥/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣).

٢ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٩/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣).

٣ انظر: مكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٢٥٠/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٤٦/٧)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٦/٣)، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٧١/٢).

٤ انظر على سبيل المثال: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٤٤/٣)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢٠/٤)، وأبو حيان، االبحر المحيط في التفسير، (٧٠٠/٣)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٤٦/٧).

٥ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٨.

الفرع الثاني: توجيه القراءات المتواترة لقوله تعالى: {يَتَفَطَّرْنَ}

أولاً: القراءة

قرأ المدنيان {نافع وأبو جعفر}، وابن كثير، والكسائي، وحفص: {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء، وفتح الطاء مشددة، وقرأ الباقون: {يَنْفَطِرْنَ} بالنون وكسر الطاء مخففة[1].

ثانياً: توجيه القراءات

قرئت: {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء، وفتح الطاء مشددة، على أنها مضارع: {تفطّر}، على وزن {تفعَّل}، ويأتي هذا الوزن لعدة معان، أنسبها لهذه الكلمة:

١. المطاوعة، من فطَّره فتفطَّر، بمعنى {تشقق}[2].

٢. التدريج[3]؛ فتفطر السماء لا يأتي مرة واحدة، وإنما متدرجاً، وهذا يوحي بشدة التفطر وصعوبته، وهذا بدوره يعكس عظم قبح الفرية التي ادعوا فيها أن للرحمن ولداً، فمع صعوبة التفطر فإنه يكاد يحصل؛ لشنيع ما قالوا، وقبيح ما ادعوا.

٣. التكلف[4]؛ فالسماء لا تتفطر بسهولة؛ بل بتكلف، ومع هذا فإن التفطّر يكاد يحصل؛ لعظم قبح الفرية التي نطقوا بها.

والتفطُّر من {فطَّر} على وزن {فعَّل}، وهو ثلاثي مزيد بحرف، وأصله {فطر} وهو فعل متعدٍ، وهذا الوزن [أي: فعَّل] يأتي بمعنى التكثير غالباً، وهو مناسب للآية؛ لأنه موضع مبالغة واستعظام، فيكون المعنى: أن السماء تكاد تتفطر، أي: تتشقق ويتكرر الفعل فيها؛ لعظم هذه الفرية، وشناعة هذا القول[5].

وقرئت: {يَنْفَطِرْنَ} بالنون وكسر الطاء مخففة؛ على أنها مضارع {انفطر}، على وزن {انفعل}، ولا يأتي هذا الوزن إلا لمعنى واحد هو المطاوعة، أي: مطاوعة المفعول للفاعل فيما يفعله به؛ صرفته فانصرف[6]، وعلى هذا يكون معنى {انفطر}: انشقَّ، مطاوع { فطَره} بالتخفيف إذا شقه[7].

---

١ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (٣١٩/٢)، ومحيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٧/٣).

٢ انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣٣، محيسن، الهادي شرح طيبة النشر، (٣٧/٣).

٣ انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣٣.

٤ انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣٣، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٦٣/١).

٥ انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٤٤٩، ومكي، الكشف عن وجوه القراءات، (٩٣/٢)، والزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٤٤/٣)، وابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، (٨٢٦/٢)، والسمين الحلبي، الدر المصون، (٦٤٧/٧)، والحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣١، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٦٣/١).

٦ انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص٣٢، والغلاييني، جامع الدروس العربية، (١٦٣/١).

٧ انظر: مكي، **الكشف عن وجوه القراءات**، (٩٣/٢)، والسمين الحلبي، **الدر المصون**، (٦٤٧/٧)، محيسن، **الهادي شرح طيبة النشر**، (٣٧/٣).

والخلاصة أن قراءة: {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء، وفتح الطاء مشددة، تفيد معنى المطاوعة والتكثير وتكرر الانفطار، كما تدل على التدرج والتكلف، الذي يوحي بصعوبة التفطر وشدته، ومع هذا فإنه يكاد يقع؛ لعظيم الفرية التي نطقوا بها، وأما قراءة {يَنْفَطِرْنَ} بالنون وكسر الطاء مخففة، فتفيد معنى المطاوعة.

خلاصة بأهم النتائج والتوصيات

١. في سورة مريم أربعة عشر موضعاً اختلفت فيها القراءات اختلافاً يؤثر في المعنى، وأما باقي المواضع فإن الاختلاف فيها لا يؤثر.

٢. النحو والصرف والبلاغة، من أهم العلوم التي تكشف عن أسرار المعاني التي أودعت في القراءات القرآنية.

٣. لكل وجه من وجوه القراءات المتواترة المؤثرة دور في الكشف عن معنى جديد، وليس ثمة وجه يرجح على آخر، ولا يقال بوجود وجه أبلغ من آخر.

٤. هذا العلم يكشف عن جانب من وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ومع أهميته فإنه يحتاج إلى من يقوم بخدمته من أهل الاختصاص؛ لإظهار ما فيه من معان عظيمة، لذلك فإن الباحث يوصي بتوجيه العناية للكتابة في هذا المجال وتغذيته بالأبحاث والرسائل العميقة.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث

الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي(٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق د.يحيى مصري، نشر الإدارة العامة لجامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.

البيضاوي، عبد الله بن عمر(٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

ابن الجزري، محمد بن محمد (٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت:٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

الجماس، بلاغة (كن فيكون) بين الرفع والنصب، موقع رابطة العلماء السوريين، رابط: https://islamsyria.com/ar/.

ابن الحاجب، عثمان بن عمر(٦٤٦هـ)، الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري)، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط١، ١٤١٥هـ.

حبنكة، عبد الرحمن الميداني(١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

الحملاوي، أحمد بن محمد(١٣٥١هـ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد، الرياض.

أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، لبحر المحيط في التفسير في التفسير، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبعة، د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

الدرويش، محيي الدين (١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص -سورية، دار اليمامة -دمشق -بيروت، دار ابن كثير -دمشق - بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.

الرازي، محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - بيروت، الدار النموذجية - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (٤٠٣هـ)، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٥، ١٤١٨ه.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د.أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

سيبويه، عمرو بن عثمان (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ.

الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرر والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

عباس، حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥.
عباس، فضل حسن (٢٠١١م)، أساليب البيان، دار النفائس، الأردن، ط٤، ١٤٣٩هـ، ص١٢٨-١٢٩، وعتيق، علم المعاني.
عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧ه.
ابن عطية، عبد الحق بن أبي بكر (٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
العكبري، عبد الله بن الحسين (ت:٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي البجاوي، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
الغلاييني، مصطفى محمد (١٣٦٤هـ)، جامع الدروس العربية، ضبطه د. عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤.
الفارسي، الحسن بن أحمد أبو علي (٣٧٧هـ)، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
محيسن، محمد سالم (١٤٢٢هـ)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
ابن أبي مريم، نصر بن علي (٥٦٥هـ)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق د. عمر الكبيسي، مكة، ط١، ١٤١٤هـ.
مكي، ابن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
النحاس، أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
ابن هشام، عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

المنهج النفسي في أشعار عليّة بنت المهدي

دراسة في الصراع النّفسي والتّمرد الأنثوي

The Psychological Approach in the Poetry of Aliya Bint al-Mahdi

A Study of Psychological Conflict and Female Rebellion

الباحث الرئيس: إبراهيم أحمد إبراهيم خساتي

الباحث المشارك: الأستاذ الدكتور عبد الخالق عيسى

ibrahimkhasati1986@gmail.com

البحث مستل من رسالة دكتوراه بعنوان: (الأبعاد النفسية في الشعر النسوي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي. . .نماذج مختارة) .

تاريخ استلام البحث للتحكيم والنشر ٢٠٢٥/٧/٥م

تاريخ إجازة البحث للنشر ٢٠٢٥/٩/٩م

المنهج النفسي في أشعار عليّة بنت المهدي

دراسة في الصراع النفسي والتّمرد الأنثوي

الباحث الرئيس: إبراهيم أحمد إبراهيم خساتي

الباحث المشارك: الأستاذ الدكتور عبد الخالق عيسى

المُستخلص

تناول هذا البحث المنهج النّفسيّ في بعض أشعار عُليّة؛ حيث غلب الغزل على ديوانها، وقد أدّت الأحداث في حياتها صراعاً نفسيّا بين (الأنا والهي)، في شخصيتها من ناحية والآخر (المجتمع)، من ناحية أخرى.

وهذا الصراع النّفسي نتج عن فارقٍ طبقيٍّ بين الأب (الخليفة)، والأم (الجارية)، فتأرجحت مسلكيّاتها بين الطبقتين، أضف إلى ذلك الفارق الزّمنيّ بينها وبين زوجها (موسى بن عيسى)، الذي يربو على الثلاثين عاماً، فلم تمكث معه إلّا بضع سنين، إذ بلغت من العمر حين وفاته قرابة خمسٍ وعشرين عاماً.

إنّ لتلك العوامل دوراً كبيراً في ميل عليّة إلى الغزل بعامّة، والغزل بالخادمين رشأ وطل بخاصّة، إذ حاولت بمقطوعاتها ونتفها الشّعريّة الغزليّة إعلان حالة التّمرد على المجتمع الذّكوري السّلطوي، ووصفت الخمرة ومعاقرتها، فحاولت في بعض الأحيان إشباع رغبة (الهي)، دون النّظر إلى ضوابط (الأنا)، معلنة انتفاضة على الكبت النّفسي من ناحية، ومنظومة العادات والتقاليد من ناحية أخرى.

لقد حاولت في هذه الدّراسة، تطبيق ميكانزمات الدّفاع التي تتبعها (الأنا)، لكي تواجه التهديدات الخطرة من (الهي)، أو (الأنا العليا)، أو العالم الخارجي، على بعض أشعار عليّة وأهم هذه الميكانزمات، الكبت والتكوين العكسي، والتبرير، والإسقاط، والإنكار، وأحلام اليقظة، والعزل، والإلغاء، والإزاحة، والتّقمّص، والنّكوص، والتّسامي.

وبهذا تسهمُ هذه الدّراسة في إحياء الّشعر النّسوي القديم، من خلال تطبيق المناهج الحديثة، فنحمي تراثنا الشّعري، ونعيد له الرّوح من جديد حتى يبقى مواكباً للحداثة.

Abstract

This research dealt with the psychological approach in some of Oliya's poems, as love poetry dominated her collection of poems. The events in Oliya's life led to a psychological conflict between the "ego and the id" in her personality on the one hand and the other (society) on the other hand.

This psychological conflict resulted from a class difference between the father (the Caliph) and the mother (the slave girl), so her behavior oscillated between the two classes. In addition to that, there was a time difference between her and her husband - Musa bin Issa - who was more than thirty years old. She only stayed with him for a few years, as she was about twenty-five years old when he died.

These factors played a major role in Oliya's inclination towards love poetry in general, and love poetry about the servants Rasha and Tal in particular, as she tried through her pieces and fragments of love poetry to declare a state of rebellion against the authoritarian male society, and she also described the wine and its consumption, so she tried at times to satisfy the desire of (the id) without looking at the controls of (the ego), declaring an uprising against psychological repression on the one hand, and the system of customs and traditions on the other hand.

In this study, I have tried to apply the defense mechanisms that the ego follows to confront dangerous threats from the id, the superego, or the outside world, to some of Oliya's poems. The most important of these mechanisms are repression, reverse formation, justification, projection, denial, daydreams, isolation, cancellation, displacement, reincarnation, regression, and sublimation.

Thus, this study contributes to reviving ancient women's poetry, through the application of modern methods, thus protecting our poetic heritage and reviving it once again so that it remains in line with modernity.

مُقدّمة

الحمد لله القائل: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"[1]، والصلاةُ والسّلام على نبيّ الأمّة، الطاهر النّفس، محمد بن عبد الله ﷺ وبعد،

إنّ الله – سبحانه وتعالى–خلق الخلائق وأحصاهم عدداً، وجعلَ لكلِ مخلوقٍ سماتٍ تميّزه عن غيره، فخصّ سبحانه الإنسان بنعمةِ العقل، وجعل له لساناً ناطقاً؛ ليعبّر به عن مكنوناته ومشاعره حين يطفح وعاء النفس بها، ولمّا كان الكلامُ انعكاساً لماهيّة النّفس، شرع النّقاد يستثمرون الظروف المحيطة بالأديب، يتلمسون نفسيّته من بيئته وأدبه. ومن هنا جاءت

١ – القرآن الكريم، سورة الشّمس، الآيات (٧–١٠)

هذه الدراسة لتتناول المنهج النّفسيَّ في بعض أشعار الشاعرة العباسيّة عليّة بنت المهدي، وما دفعني إلى اختيار الشّاعرة، تركيزُ جُلِّ الدّراساتِ على فحول الشّعراء، أمثال المتنبّي والمعرّي وأبي تمام، لا سيّما أنّ العصر العبّاسي عصرٌ مزدهرٌ بالأدب والأدباء العظامِ الذين طبّقت شهرتهم الآفاق، فأغفل جلُّ الدّارسين المرأة الشّاعرة في ذلك العصر.

تناولت بعضُ الدّراساتِ الحديثة عن الشاعرة العباسيّة بعامّة، وخصّصت أخرى حديثها عن شاعرة معيّنة بعينها، إلّا أنّها لم تسهب في تناول الأشعار وفق المنهج النّفسي، ومن ذلك:

الدّخيلي، حسين، وخضير، هند، الهويّة في شعر شواعر العرب حتى نهاية العصر الأموي بين الحضور والغياب، مجلة جامعة النّجاح للأبحاث، م ٣٢(٧)، ٢٠١٨. تسلّط الدّراسة الضّوء على مفهوم الهويّة، وتمثّلاتها في الخطاب الشّعري النّسوي في عصري الجاهليّة وصدر الإسلام، إذ تبيّن التهميش الذي تتعرض له المرأة، لأنّ الثقافة العربية تستهجن المرأة التي تدخل خيمة الفحول(الشّعر) وتصفها بالآثمة. وتكشف عن تمثّلات الهويّة بأنواعها المختلفة (التمرّد، وترنيمة الأمّهات، وهويّة الاسم والثقافة).

سحر، محمود أحمد، من تجلّيات الصّراع النّفسي في شعر الأميرات، مجلّة البحث العلمي في الآداب، عدد١٩، ج٨، ٢٠١٨. تناولت الدراسة الصراع النفسي في أعماق الشاعرات الأميرات، واختارت الباحثة أنموذجين هما: عليّة بنت المهدي، و سعاد الصباح، ولم يهدف البحث إلى عقد موازنة بين الشاعرتين، بل كان الأساس الذي بُنيَ عليه إلقاءُ الضوء على أثر السجن المجتمعي على الشاعرتين، ورفض قيود المجتمع التي تقيّد الشاعرات الأميرات فقط لكونها من طبقة حاكمة، حتى لا يُنزع الصّيت الحسن لسلالة العائلة الحاكمة.

عليمات، يوسف، جدليات النّص النّسوي، دراسة في شعر عليّة بنت المهدي، المجلّة الأردنيّة في اللغّة العربيّة، مج١١، ع(١)، ٢٠١٥. نهضت هذه الدّراسة بقراءة أشعار عليّة بنت المهدي في ضوء المفاهيم التي يطرحها النّقد النّسوي، ورصدت الدّراسة سلسلة من المصطلحات النّقدية النّسويّة، وقرأت الجدليات التي يثيرها شعر عليّة، والأبعاد النّسقيّة والدّلاليّة.

حجازي، محمد عبد الواحد، نساء شاعرات، دراسات في شعر المرأة، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠.

تناول هذا الكتاب عدداً من النماذج النّسويّة الشّعريّة وعمد إلى موضوع الحبّ والغزل، متخذاً المنهج الوصفي التّحليلي لبيان أثر الحبّ على الشّاعرات من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.

عيسى، محمد، القراءة النفسيّة للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد ١+٢، ٢٠٠٣. يجمل الباحث أسس القراءة النّفسيّة للنص الأدبي معرّجا إلى ارتباط هذا المنهج بالبنيويّة واللّسانيّة، والسّيميائيّة ومن ثمّ يطرح بعض الأمثلة التطبيقيّة على ذلك.

أمّا هذه الدراسة فقد تناولت لمحاتٍ سريعةً عن المنهج النّفسيّ؛ لكونِ المادة النّظرية حول هذا المنهج مبثوثة في كثيرٍ من الكتب، ولكون التطبيق في هذا المجال أهمَّ من التنظير، أضف لهذين عبثيّة التكرار المفرط، الذي إن زاد عن حدّه قُلِب إلى ضده. وإنّما جئت به من غير إسرافٍ حتى تترابط أنساق الدّراسة وتتكامل.

وانتقلت بعد ذلك للحديث عن حياةِ الشّاعرة والبيئة المحيطة بها مسهباً؛ لما في ذلك من أهميّة في دراسة الجانب التطبيقيّ في أشعارها. ومن ثم تناولت بعض النّماذج، موضّحاً الجوانب النّفسيّة فيها، مستلهماً أثر البيئة، والمواقف والمناسبات. وختمت البحث بخاتمةٍ لخصت فيها أهمّ النّتائج.

وأضافت هذه الدّراسة إلى الدّراسات السابقة، استكشافاً دقيقاً للمكنونات النّفسيّة للشّاعرة عليّة وكيف أثّرت الظروف المحيطة عليها وفق المنهج النّفسي الحديث.

المبحث الأوّل: التعريف بالمنهج النفسي والشّاعرة

المطلب الأول: التعريف بالمنهج النّفسي، وتطوّره

لم يكن المنهج النّفسيُّ وليدَ العصرِ الحديث، ولم يكن فرويد أول من تحدّث عن هذا المنهج، بل إنّ جذورَه ضاربةٌ في التاريخ منذ قرونٍ خلت قبل الميلاد،" فقد كان أرسطو المصدر الأوّل لعلم النّفس والنقد النّفسي للأدب، وتتخلّل سيكولوجيّته التجريبيّة كلَّ مؤلفاته، وهي المحور الذي يدور عليه كتاب النفس، وكتاب الطبيعات الصغرى"[١]. وعلى هذا فنواةُ علم النّفس مبثوثةٌ

١ – ستانلي، هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ٢ج، ترجمة: إحسان عباس ويوسف نجم، د.ط، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ج١، ص ٢٥٩.

منذ القدم، ولكنّها كانت بين طيّات صفحات الفلسفة اليونانيّة، ولمّا كان العصرُ العبّاسيُّ عصرَ تبادلٍ حضاريّ وثقافيّ، سطع نجم الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي[1] في سماء الدّولة العبّاسيّة، الذي لم يلقَ عصا ترحاله في البحث والتّنقيب في مؤلفات اليونان والإغريق، فاستحق أن يُطلق عليه أول فيلسوف عربي، وله في علم النّفس كذلك. ولابن قتيبة في معارفه إشارات حول علم النّفس في الشّعر، يقول: " ولِلشعر دواعٍ تحثّ البطيء، وتبعث المتكّلف، منها الطّمعُ ومنها الشّوقُ ومنها الشّرابُ، ومنها الطّرب، ومنها الغضب"[2]. وأشار غيرُ واحدٍ من القدماء إلى أثر النفس وانعكاسها في الشعر، ولكن دون أن يكون مصطلح المنهج النّفسي قد تخلّق. ومن هؤلاء: " ابن طباطبا والفارابي، والسجستاني، والقرطاجاني"[3]

يظهرُ لنا ممّا سبق أنّ سطور التاريخ لم تكن لتخلوَ من إشاراتٍ إلى النّفس ومنهجها، حتى ظهر فرويد وبدأ بمدرسته الفرويديّة في علم النّفس، فشرع النّقاد يمخرون عُباب المنهج النّفسي، ويستثمرونه في دراسة الأدب دراسة نقديّة، والمنهجُ لغةً من الفعل نهجَ، "طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ وهو النَّهْجُ والجمعُ نَهجاتٌ ونُهُجٌ ونُهوجٌ ومَنْهَجٌ كَنَهْجٍ ومَنْهَجُ الطريقِ وضَحُه والمِنهاجُ كالمَنْهَجِ وفي التنزيل لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً" [4] أمّا النّفسيّ، فمنسوبٌ إلى النّفس، وهو لفظٌ مأخوذٌ من نفس: "نفس: النَّفْسُ: الرُّوحُ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: النَّفْسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَجْرِي عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدهمَا قَوْلُكَ خَرَجَتْ نَفْسُ فُلَانٍ أَيْ رُوحُهُ، وَفِي نَفْسِ فُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كذا وكَذَا أَيْ فِي رُوعِه، والآخر الضَّرْبُ الآخر مَعْنَى النَّفْسِ فِيهِ مَعْنَى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وحَقِيقَتِه، تَقُولُ: قَتَلَ فُلَانٌ نَفْسَهُ وأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَيْ أَوْقَعَ الْإِهْلَاكَ بِذَاتِه كلها وحَقِيقَتِه، وَالْجَمْعُ مِنْ كل ذَلِكَ أَنْفُسٌ ونُفُوسٌ"[5]

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول: إنّ المنهج النّفسيّ هو كلّ شيء له ارتباطٌ في مكنوناتِ النّفس وما يصدر عنها، وما يختلج في اللاشعور، من قضايا يعبرّ عنها الإنسان بشكلٍ

---

١ – عواد، كوركيس، الكندي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، د.ط، سلسلة الثقافة الشّعبيّة، مديريّة الثقافة والفنون الشّعبيّة، العراق، ١٩٦٢.

٢ – الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشّعراء،٢ج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ج١، ص ٧٨.

٣ –فرحان، حميد بان، الأثر النفسي والإبداع الشعري عند النّقاد العرب، مجلّة كليّة التربية الأساسيّة، ملحق العدد الرابع والسبعون، ٢٠١٢، ص ١٠٠–١٠١.

٤ – ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧. مادة (نهج)

٥ – ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، (نفس).

تطبيقيّ، والمنهجُ النّفســـيُّ في النّقد هو: "المنهج الذي يعتمد في فهم أســـرار الأدب ونقده على نظريات علم النّفس، التي جاء بها فرويد"[١].

ومِمّا لا شكّ فيه أنّ طبائعَ البشرِ مختلفة، فكلُّ إنسانٍ يُعبِّر عن مشاعره بطريقةٍ مغايرةٍ عن الآخر، لذلك تجدُ صـــنفين من النّاس في طريقةِ التعبير عن المشـــاعرِ المكنونةِ في النّفس: صنفاً عادياً يُعبر بكلماتٍ عابرة (الإنسان العادي)، و صنفاً تنسابُ الكلماتُ على لسانه بسلاسةٍ وإبداع، وهذا هو (الأديب المبدع)، فشتان بين شخصين يقولُ الأول رقبتها طويلة، ويقول الآخر: بعيدة مهوى القرط، والثّاني –بالضرورة–أجمل من الأول.

ولستُ أقصدُ في ذلك الإساءة لإنسانٍ لا يمتلك سمة الإبداع، التي هي هبةُ الخالق يضعها حيث يشاء، ثم تنمو بالمرانِ والدّربة، بل إنّ مقصد القصيد أن أربط بين وشائجِ الأدبِ والنّفس، فالنّفس البشرية منبع الأدب، واللّسان ترجمانٌ لتلك العلاقة، وهكذا نرى "أنّ النّفس تصنع الأدب، وكذلك يـ صنع الأدبُ النفسَ، فالنّفس تجمع أطراف الحياة لكي تـ صنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النّفس".[٢]

وعلى هذا، لا بدّ أن يكون هناك علاقة "بينّ النص واللا شعور عند كاتبه، وكذلك وجود بنية نفسيّة تحتيّة متجذرة في لا وعي المبدع، تنعكس بصورة رمزية على سطح النّص"[٣] ولا بدّ كذلك من درا سة حياة المبدع بتفا صيلها لرؤية الظروف المحيطةِ به، والبيئة التي نـ شأ فيها، "ويعدُّ العقاد واحداً ممن تبنّوا الدرا سة النّف سيّة لـ شخ صيّة الأديب، إذ تناول ما يربو على ثلاثين شخصية من القديم والحديث وفي مختلفِ الحقول المعرفيّة، وتقوم الدراسة البيوغرافيّة للشعراء والعباقرة عند العقاد على رسم الصورة النّفسيّة والجسديّة، واستنباط مفتاح الشّخصية، وقد اعتمد في رسم الصورة النّفسيّة على ظروف العصر، والبيئة، والنّشأة والسّياسة والثّقافة، أمّا الصورة الجسديّة فقد اعتمد في تشكيل ملامحها على وصف البنية الجسديّة"[٤].

إنّ القراءة النّفسيّة واحدة من القراءات النّقدية التي استهدفت قراءة النّص الأدبي، فمنشأُ العلاقة بين النّص والمتلقي قوامها التأثّرُ والتأثير، ولا يـ ستطيع القارئ النّف سيّ أن يخمن مـ سبقاً عن ماهية المؤثرات المرجعيّة التي يمكن أن يعتمد عليها في أثناء قراءته، فاللاوعي يقوم

١ –قطوس، بسام، المنهج النّفسي في النّقد الحديث النّقاد المصريون أنموذجاً، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٤، ص١٣.

٢ –إسماعيل، عز الدين، التفسير النّفسي للأدب، ط٤، دار العودة، بيروت، ١٩٨١. ص١٣.

٣ – وغليسي، يوسف، مناهج النقد الأدبي، ط١، دار جسور للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص٢٢.

٤ – المختاري، زين الدّين، المدخل إلى نظرية النّقد النّفسي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨، ص ٢٢–٢٣. كتاب محوسب.

بالقراءة اعتماداً على النّفس من جهة واســـتناداً إلى خبرات متقنة من جهة أخرى، ما يؤدي إلى الدّخول في عالم النّص الذي هو نسيج من الرموز والدلالات المتمركزة في اللاشعور.[1]

يـ صف فرويد الـ شّخ صيّة على أنّها تتكون من ثلاثةِ تركيبات هي: الأنا والأنا الأعلى والهي والشّكل الآتي يمثلها[2]:

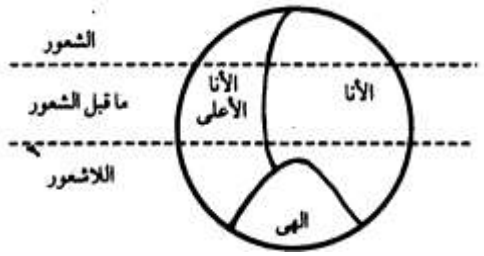

أ- الأنا: تعمل ضـــمن مبدأ الواقع، وتتكون من مجموعة من الخبرات التي تقودنا إلى التفرقة بين الذّات واللا ذات، وتتّ صف بالعقلانيّة والمنطقيّة بإعداد خطط تـ شبع رغبة (الهي)، إذ تعمل على التوفيق بين مطالب (الأنا الأعلى، والهي، والعالم الخارجي).

ب-الأنا الأعلى: محاولة الوصول إلى المثاليّة، بمعنى آخر هو الضّمير الحيّ الذي يعمل على مراقبة الذّات واســـتبدال الأهداف الواقعيّة بأهداف مثاليّة تتجه نحو الكمال. ويشـــكّل الإحـ ساس المفرط في تأنيب الـ ضمير الحيّ خطراً على الـ شخص أحياناً، فقد يؤدي به إلى الانتحار.

ت-الهو/ الهي: المصدر الأول للطاقة النّفسيّة ومستقر الغرائز، وهي ألصق بالجسم واحتياجاته من العالم الخارجي، لا يحكمها العقل أو الأخلاق، تندفع دائماً لتحقيق الحاجات الغريزيّة، يتحكّم فيها الأنا ويحاول ضبطها بطرق مختلفة.

وتواجه (الأنا) تهديداتٍ خطيرة من (الهو)، و(الأنا الأعلى)، و(العالم الخارجي)، وينتج عن هذه التهديدات القلق؛ لذا تندفع (الأنا)، لتشـــكيل ميكانزمات دفاعيّة كالكبت، والتكوين العكسي، والتبرير، والإسقاط، والإنكار، وأحلام اليقظة، والعزل، والإلغاء، والإزاحة، والتّقمّص، والنّكوص، والتّسامي".[3]

١ - عيسى، محمد، القراءة النفسيّة للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد ١+٢،٢٠٠٣، ص١٥-٢٠.

٢ - عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، د.ط، دار قباء للطباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٦-٦٠.

٣ - عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، ص ٤٦-٦٠.

وقد اختلفت المدارس النّفســـيّة في كيفيّة تولّد الإبداع[1]، ولكنّهم أجمعوا على كونه ناتجاً من الـ صراع القائم بين مكوّنات الـ ّشخ صيّة الثلاث، ويتأثّر الإ سان بما حوله من مؤثرات، وتختلف ردود الأفعال بين شخص وآخر، فقد يفقد الإنسان عزيزاً، فتترجم ردة الفعل على شكل بكاء، أو ضرب للج سم، أو كلمات عاديّة عابرة، أو كلمات أدبيّة منظومة، تعكس حرقةَ وألماً نابعاً من اللاشعور في لحظة ما، وهنا يكمن الإبداع الذي ليس بمقدورِ أيّ شخص أن يمتلكه.

ويمتاز المنهج النّف سي بتعدّد مو ضوعاته وت شعّبها، "لذا علينا أن ن ستعمل هذا المنهج بمنتهى الحذر حتى لا يُعامل الإ سان باعتباره كائناً قائماً في فراغ لا مخلوقاً اجتماعيّاً تتمثّل فيه موا صفات المجتمع وتطلّعاته، ويمكن للمنهج النّف سي أن يعكس شخ صيّة المبدع، ويك شف اللاوعي عنده، إذ لا يمكن ف صل هذ المنهج عن سائر المناهج، لما له من أهميّة في سياقاتٍ متعدّدة، ويؤخذ عليه كونه وثيقة نفسيّة على حساب إهمال القيم الفنّية والجمالية". [2]

يتبيّن ممّا سبق أهميّة المنهج النّفسي في دراسة نفسيّة أيّ إنسان، على أن تكون الدّراسة مرتبطة بحياته منذ الطفولة، والأمرُ ذاته ينطبق على الأديب، إذ من الممكن أن نســـتنتج من نصوصهِ قضايا نفسيّة لم يصرّح بها ولم يذكرها في سيرته، فعَمدَ إلى ترجمتها شعراً أو نثراً.

المطلب الثّاني: المجتمع العبّاسي وعُليّة بنت المهدي

تسلّم المهدي الخلافة سنة ١٥٨ه، واتّسمت فترة حكمهِ بالهدوء والتّرف والرّخاء، خلا بعضَ الزّنادقةِ الذين طاردهم، لشـــعوره بشـــرّهم المســـتطير، وكثرت الجواري والقيان، وبالغن في زينتهنّ، فكنّ يرفلن في الثّياب الحريريّة، ويختلن في الحليّ والجواهر متخذاتٍ منهن تيجاناً وأقراطاً، وظهر المجون والفحش والغناء و شرب الخمر، كما ظهرت عادة التبادل بين الجواري والمخنّثين في الزّي، إذ كانوا يتشـــبّهون بالنّســـاء في عادتهن، وفُتحت الآفاق العلميّة والتبادل الحـ ضاريّ".[3] ولا غرابةَ أن نجدَ في أيّ ع صرٍ من العـ صور تيارين متناق ضين، فهناك لهوٌ ومجون وغناء، وهناك تديّنٌ وعبادة وعلوم.

---

١ – يُنظر: سويف، مصطفى، الأسس النّفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، تقديم: يوسف مراد، ط دار المعارف، مصر، ١٩٥١، ص٦٨-٩٧. الكتاب محوسب.

٢ – قطوس، بسام، المنهج النّفسي في النّقد الحديث النّقاد المصريون أنموذجاً، ص ١٧٦.

٣ – ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦. ص٣٥ –٧٤

ولمّا كثرت الجواري والقيان، وأباحت الشريعة الإسلاميّة للخليفة ما شاء مِمّا ملكت يمينه، طرقت عليّة باب الدّنيا سنة ١٦٠ هـ، من جاريةٍ اسمها مكنونة، واختلفت الآراء في اسم أمّها، فهناك من يقول إنّ المهدي اشترى جارية تُدعى مكنونة بمائةِ ألف درهمٍ فضيّ، وقد أنجبت له عليّة. وثمة رأي آخر يذهب إلى أنّ أمّ عُليّة هي بصبص وهي جارية مغنّية اشتريت للمهدي في حياة أبيه مقابل سبعة عشر ألف دينار ذهبي. أمّا إخوتها فهم هارون الرّشيد، والهادي، وعبيد الله، وإبراهيم. وتزوّجت بموسى بن عيسى[1] العبّاسي الذي ولد سنة (١٢٨) هـ وتوفّي سنة (١٨٢) هـ، ولكنها لم تنجب.

كانت تقول الشّعر وتجيده وتصوغ منه الألحان، وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: ما اجتمع في الإسلام قط، أخٌ وأختٌ أحسنَ غناءً من إبراهيمَ بن المهدي واختِه عُليّةَ وكانت تُقدّم عليه. وكانت ذاتَ جمالٍ لولا فضلُ سعةٍ في جبينها الذي اتسع حتى سمج، ولكي تستره اتخذت العصابة المكلّلة بالجواهر، وكانت أول من اتخذتها، حتى أصبحت نساءُ عصرها يتّخذنها للتجميل. واشتهرت بتدينها الشّديد فهي تصلي وتصوم ولا تحيد عن شعائر الدين قيد أنملة، ولم تأت شيئاً محرماً أو مشيناً، وهي لم تشرب خمراً ولا نبيذاً.

لم تستغل عُليّة بنت المهدي موهبتها الشّعرية للتكسّب شأن شعراء عصرها، فهي ابنة النّعيم والحياة المترفة، لقد وجدت في الشّعر والغناء عزاءً روحيّاً وملاذاً نفسيّاً لقلّة حظّها في الزواج والأولاد[2].

وأمّا عن علاقتها بأخيها هارون الرشيد، فكانت وطيدة إذ كان يبالغ في إكرامها، وكان يصطحبها في بعض أسفاره، وكان الرّشيد يسمح لها بما تريد ويتفادى إغضابها، فقد ورد أنّ عليّة كانت تحب خادماً يُدعى طلّ وهو من خدم الرّشيد، ومنعها الرشيد النطق باسمه فسمعت وأطاعت وأذعنت وامتثلت لأمره، وكانت ذات يومٍ تتلو آية من سورة البقرة، " فإن لم يصبها وابل" ثم سكتت وقالت: والذي نهانا عنه الخليفة، تقصد (الخادم طل). وعندما علم الخليفة بذلك تراجع عن الأمر وأرسل لها طلاً كهدية. وعشقت خادماً آخر يقال له رشأ.

أمّا وفاتها فكانت سنة ٢١٠ه، ويقال: إنّ الرّشيد قبّلها وهي محجّبة فشرقت بريقها، ثمّ حمّت وماتت بعد ذلك بأيامٍ يسيرة.

---

١ – الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط١٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ج٧، ص٣٢٦.

٢ – ينظر: الاختيار، نسيب، **معالم الموسيقا العربيّة**، د.ط، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ١٩٥٣، ص ص٩٨-١٠٤.

المبحث الثّاني: نماذج تطبيقيّة في شعر عليّة بنت المهدي.

تنوعت الأغراض الشّـــعريّة في ديوانِ عليّة بنت المهدي، والجدول الآتي[1] يبيّن عدد المقطوعات، وتصنيفاتها.

جدول (١) عدد المقطوعات، وتصنيفاتها

البحور	عدد القصائد	الغزل	الشوق والحنين	الصدّ والعتاب	الهجاء	الحكمة	وصف الخمرة	المديح	أغراض أخرى
الكامل	١٩	١٠	١	٣	–	–	–	٤	١
الطويل	١٨	١١	١	٣	٢	–	–	-	١
البسيط	١٨	٤	١	٤	–	٢	٣	٤	–
السّريع	١٦	٥	٣	–	–	٣	٣	٢	–
الخفيف	٨	٦	١	–	–	–	١	-	–
الوافر	٦	٣	–	١	١	–	--	-	١
الرمل	٦	٥	–	–	–	–	١	-	–
الرجز	٥	٤	–	–	–	–	١	-	–
المتقارب	٤	٤	–	–	–	–	–	-	–
المنسرح	٣	٣	–	–	–	–	–	-	–
المديد	٢	٢	–	–	–	–	–	-	–

١ – جمعت الباحثة روزة أسعد سمعان المقطوعات الشعريّة لعليّة بنت المهدي، ودرست ذلك دراسة إحصائيّة، أخطأت الباحثة في ترقيم المقطوعات، إذ أشارت في صفحة ٥٥ إلى جدول مبيّنة أنّ عددها (١٠٧) والصواب (١٠٨). و لم تتطرّق إلى الأغراض الأخرى. ينظر: سمعان، روزة أسعد، **دراسة في ديوان عليّة بنت المهدي**، ط١، مطابع أبو رحمون، عكا، ١٩٨٨، ص ص٤٩-٦١.

البحور	عدد القصائد	الغزل	الشوق والحنين	الصدّ والعتاب	الهجاء	الحكمة	وصف الخمرة	المديح	أغراض أخرى
الهزج	٢	٢	–	–	–	–	–	-	–
المجتث	١	١	–	–	–	–	–	-	–
المجموع	١٠٨	٦٠	٧	١١	٣	٥	٩	١٠	٣

بلغ عدد المقطوعات الشّعريّة في غرض الغزل ستين مقطوعة، فإن أضفنا إليها الشوق والحنين للمحبوب، و صدّه وعتابه؛ لكونها مرتبطة بالغزل، فسيصل عددها إلى ثمانٍ و سبعين مقطوعة، وقد مزجَت الشـــاعرة بين الغزل ووصـــف الخمرة، وكذلك المديح. ولها في الحكمة خمس مقطوعاتٍ، كما نظمت في شـــوقها لبغداد وتمرّدها على المجتمع، وقد أدرجتها تحت أغراض أخرى.

لقد غدا الأمرُ بيّناً بعد تلك الدّراسة الإحصائيّة، لديوان الشّاعرة، فقد سيطر باب الغزل على ديوانها، فإن أردنا الدراسة النّفسيّة في هذا المضمار، فعلينا أن نربط ذلك بمناسبات النّتف والمقطوعات، ولمّا كان الغزلُ باباً رئيساً في أشعارِ عليّة آثرنا أن نبدأ الحديث حول هذا الغرض، وقد قسمته إلى قسمين: غزل عُليّة بالخادمين على وجه التخصيص، وقسمٍ ثانٍ يتحدّث عن آثار الحبّ واللّوعة والهجرِ وما إلى ذلك.

المطلب الأول: الأبعاد النّفسيّة في شعر الغزل.

أ- غزلُ عليّة بالخادمين.

يرتبط فنّ الغزل بالمنهج النّفسي ارتباطاً وثيقاً، فهو فنٌّ قديم في أدبنا العربي حمل مشاعر وأحاسيس تعطي أبعاداً جماليّة، "فالسيكولوجيّة اللاشعوريّة تؤكد أنّ الإبداع ظاهرة بيولوجيّة نفسيّة وتعويضاً عن رغباتٍ غريزيّة أساسيّة ظلت بلا ارتواء بسبب معوقات واجهتها"[١] ومعروف أنّ عليّة عاشت حياة مترفة- فهي بالضرورة ابنة الخليفة المهدي- وهذه المكانة التي احتلتها أذكت في نفسها صراعاً نفسياً لا حدود له، فكيف لابنة الخليفة أن تعشق خادماً، في ظلٍّ منظومة

١ - يُنظر: سويف، مصطفى، الأسس النّفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ص ص٦٨-٧١.

الثقافة العربية أو ما يطلق عليه ثقافة (العيب)، المنتمية إلى منظومة العادات والتقاليد؛ لذا وجدت في التورية عن اسم المحبوب ريّاً لعاشقةٍ ظمأى، تقول:مجزوء الكامل)

وَجَدَ الفُؤادُ بِزينَبا ... وَجْداً شَدِيداً مُتعِبا

أصبَحتُ مِنْ كَلَفي بِها ... أُدعى قَيماً مُنصَبا

وَلَقَد كَذَبْتُ عَنِ اسمِها ... عَمْداً لِكَي لا تَغْضَبا

وَجَعَلتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً ... وَكَتَمْتُ أمراً مُعْجِباً

قالَت وَقَدْ عَزَّ الوِصالُ ... وَلَم أَجِد لي مَذْهَبا[1]

تعاني الشّاعرة من حرقة نفسيّة، فقلبها متعلّق بالخادم الذي كنّت عنه (بزينب)، وقد انعكس هذا التوتر النّفسي على جسمها، فأضحت مريضة سقيمة، وعكس الفعل(وجد)، الناحية النفسيّة للشاعرة" ووَجَدَ به وَجْداً: في الحُبِّ لا غير، وإنه ليَجِدُ بفلانة وَجْداً شديداً إذا كان يهواها ويُحِبُّها حُبّاً شديداً"[2]ثم استخدمت الشّاعرة (كلف)، وهو المرتبة الثالثة في الحبّ[3]، وتلجأ الشّاعرة إلى التعمية عن الاسم الحقيقي لمعشوقها، في ظلّ مكانتها ومنظومة العادات والتقاليد، وما يزيد توترها صعوبة اللّقاء به، فقد (عزّ) صعب الوصال ما يؤجّج نار الحرقة. (السّريع)

يظهر لنا من المقطوعة السّابقة، أنّ

قَد تَيَّمَت قَلبي فَلَم ... يا رَبِّ ما هَذا مِنَ العَيبِ

خَبَّأتُ في شِعري ذِكرَ ... إِلّا البُكا يا عالَمَ

أَحبَبتُهُ كَالخَبءِ في ... الجَيبِ[6]

١- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص١٦٥-١٦٦.

٢ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجد).

٣ -الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربيّة، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، ط١٩٧٢،٣، ص١٨٨.

٤ - ينظر: فرويد، سيجمند، الأنا والهو، ترجمة وتحقيق: محمد عثمان نجاتي، ط٤، دار الشروق، ١٩٨١. ص ص٣٣-٤٦.

٥ - مجيد، سوسن شاكر، اضطرابات الشّخصيّة أنماطها – قياسها، ط٢، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥. ص ٣٤٨.

٦ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص ١٦٦.

د ثَبُتَ الخاتَمُ في خُنصُري إذ جاءَني مِنْكِ تَجَنّيكِ

حرَّمتُ شُربَ الرّاح إذ عِفْتِها فلستُ في شيءٍ أُعاصيكِ

فَلو تَطَوّعتِ لَعَوضْتِني مِذْهُ رُضابَ الرِّيق من فيكِ

فيا لَها عِندي مِن نِعمةٍ لَستُ لَها ما عِشتُ أجزيكِ

يا زينب أرَّقَتِ مُقلَتي أمتعني اللهُ بحبِّيكِ[٢]

لا زالت الشاعرة تحاول الخروج عن صمتها، لتتخلّص من ثقافة المجتمع الذكوريّة في الحبّ، التي شكّلت لها صراعاً نفسيّاً، فهي حتى اللّحظة لم تبح بتمرّدها على الثقافة السائدة، فالشاعرة بين أمرين متضادّتين، ثقافة المجتمع السّلبية التي تمنعها من التصريح باسم المحبوب، ونفسيتها المتعبة التي ترتاح بالحبّ والحياة، ولا تزال ألفاظ العشق والغرام (مشتاق، تيّمت، أحببته)، تتصارع مع ألفاظ الكتمان (خبّأت، كالخبء). وتنوّع الشاعرة في الأسماء والضمائر فتارة تستخدم ضمير المذكر، وأخرى المؤنث، وتلجأ ثالثة إلى استعارة أسماء، وهذا الأمر بحد ذاته يعكس التوتر النّفسي لدى الشّاعرة، فتذهب إلى مخاطبة الذات الإلهيّة، ثم البكاء؛ لتخفيف حدّة التوتر، وتربط الشّاعرة بين مكنونات نفسها والناحية الماديّة (كالخبء في الجيب)، وهو ما يسمّى بالإسقاط: "وهي العملية النّفسيّة التي يحوّل بها الفنان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع من أعماقه اللاشعورية إلى موضوعات خارجيّة يمكن أن يتأمّلها الآخرون".[١] وتقول أيضاً في كتمان اسم المحبوب: (الوافر)

لا سبيل أمامَ الشاعرةِ إلا الكتمان، وإخفاء المشاعر فهي في صراعٍ وعراكٍ نفسي يعبر عنه تركيب (فوا شوقي)، الذي أشبع بألف المد لتفريغ تلكم المشاعر المترسّبة في كينونتها، ثم انظر إلى أبعادِ المساحة المكانيّة التي تحتاجها الشاعرة لتصرخ صرخة تخفّف عنها، فهي تحتاج إلى نادٍ رحب، ذي مِساحةٍ شاسعة، ويرتبط المكان ارتباطاً وثيقاً في الدّلالة النّفسيّة، فالمكان الذي تحتاجه

١ – قطوس، بسام، المنهج النّفسي في النّقد الحديث النّقاد المصريون أنموذجاً، ص٥٦.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص١٦٧.

الشاعرة هو المكان المّادي المرتبط بالحدث النّفسي، ليُصبغ المكان أيضاً بصبغة نفسيّة. وتبدو الإزاحة النّفسيّة[1] واضحة في النتفة السّابقة، فالانقلاب على الذّات واضح من خلال الفعلين المتضادّين(كتمت)، و(أنادي).

وما زالت عُليّة تعاني من الوجع العشقي والانشطار الدّاخلي "الذي هو نوع من التّمزق بين رغباتها، ورغبات المجتمع" [2] فتواري وتستعير أسماءً مختلفة، في سياق حديثها عن عشقها لخادمها، تقول[3]: (الطويل)

كَتمْتُ اسمَ الحَبيبِ عَنْ العِباد ورَدَدتُ الصّبابةَ فِي فُؤادي

فَوا شَوقِي إلى نادٍ خَلى لعلّ ـي باسـ ـمَ مَن أهوى أُنادي[4]

هي تعاني صراع المتناقضات، بين (الأنا)، و(الآخر)، ففي النّفس حاجةٌ إلى سقفٍ يُستظلّ بظله، مع المحبوب، وفي ذات الوقت هناك نظرة المجتمع المربية لابنة الخليفة، وتتمنى الشّاعرة أن يدوس المحبوب بساطاً لتدوسه وراءه، وهنا تحاول أن تلجأ إلى أيّ وسيلةٍ تستنشق من خلالها رائحة المحبوب، ولا تلبث أن تطلق لفظ المؤنث (سليمى)، لتواري عنه، وهذا ما يُسمّى في علم النّفس التّقمّص أو التوّحد مع الشيء، إذ يحاول الإنسان أن يتقمص شخصيّة ما ويفعل فعلها، وهذا ظاهرٌ في الفعلين(تدوس بساطاً)، و(أطأه)، ثم تقصُّ علينا عُليّة سوء الفهمِ الذي حصل بينها وبين معشوقها رشأ حين حلف محبوبها رشأ ألاّ يشرب النبيذ سنة على أثر مشكلة حصلت بسبب جارية يقال لها: طغيان، إذ قامت الأخيرة بنقل كلام إلى رشأ على لسان عليّة، وحكت عنها ما لم تقل، وفي هذا قالت: (السريع)

أَلَيسَت سُلَيمى تَحتَ سَقفٍ وَإِيّايَ هَذا في الهَوى لي نافِعُ

وَيَلبَسُها اللَيلُ البَهيمُ إِذا دَجى وَتُبصِرُ ضَوءَ الفَجرِ وَالفَجرُ ساطِعُ

تَدوسُ بِساطاً قَد أَراهُ وَأَنثَني أَطَأُهُ بِرِجلي كُلُّ ذا لي شافِعُ

---

١ – الإزاحة: واحدة من ميكانزمات الدّفاع عن النّفس، وهي الإزاحة من العمليات اللاشعوريّة التي تقوم بها الأنا لأغراض دفاعيّة، والانقلاب على الذّات أحد صورها. عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، د.ط، ص ٥٧.

٢ – بلوحي، محمد، الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص٩١.

٣ – سمعان، روزة أسعد، دراسة في ديوان عليّة بنت المهدي، ص٥٦.

٤ السيوطي، جلال الدين، نزهة الجلساء في أشعار النساء، ص٨١.

وَفي القَلبِ مِن وَجدٍ بِسَلمى مَعَ الَّذي ... أَرى مِن تَواديهِا وَمِن

جُروحٌ دَوامٍ ما تُداوى ... كَما لا أَرى كَسرَ

كُلومُها ... الزُجاجَةِ يُشعِبُ[3]

إنّ لثبات الخاتم في الخنصر دلالة عميقة، وكأنّ التهمة قد ألصقت بعليّة، ولكنّها تابعت في عجز البيت لتبيّن أنّ هذا تجنٍّ عليها، فما قالت ولا حصل أمرٌ كذلك، وترتّب على ذلك أن حرّمت شرب الخمرة على نفسها، ليعوّضها المحبوب برضاب ريقه، وتبرز هنا شخصيّة (الهي)، عند الشّاعرة، "وهي المنطقة الثالثة في النفس البشرية، والتي فيها النزعات الفطرية والوراثيّة وكذلك الشهوة، فيندفع (الهو)، لإشباع حاجاته وميوله الغريزيّة وفقاً لمبدأ اللذة"،[1] وتلجأ الشّاعرة من خلال أسلوب الشّرط إلى التبرير النّفسي"، الذي هو عمليّة يحاول الشخص من خلالها إضفاء تفسير متماسك من وجهة نظره المنطقيّة، وهو حيلة دفاعيّة لخداع الذات"[2] فالمحبوب حرّم شرب الرّاح، ولو تطوّع لعوضها برضاب ريقه، فالشّاعرة تبرّر لنفسها تحريم الشّراب على نفسها. والمحبوب لا يعوّضها برضاب ريقه، فامتنع التعويض لامتناعِ التّطوّع. وتختم الشاعرة مقطوعتها بوصفها للأرق الذي أصابها جرّاء بعد المحبوب عنها، وقد وارت عنه باستخدام لفظ (زينب). ومن ثمّ تراها تستعير اسماً جديداً لمعشوقها، فتقول:

(الطويل)

هناك بونٌ شاسعٌ في المشاعر المتبادلة بين الشّاعرة والمحبوب، فمشاعر المعشوق باردة تجاه العاشق، وهذا أدّى إلى جرحٍ نفسيّ لدى الشّاعرة، إذ جعلت من الصورة المّاديّة في عدم القدرة على إصلاح الزّجاجة المكسورة ورأب صدعها، صورة نفّسية عكستها على نفسٍ بها جروحٌ لا تُداوى، وهو ما يطلق عليه بالإحباط. ونطالع في شعر عُليّة أيضاً ميكانزمة النّكوص أو الارتداد إلى الوراء، فعلى الرّغم من كون نصفها الأوّل من الخليفة، إلّا أنّ النصف الثّاني ينتمي إلى الرّق، تقول: **(الكامل)**

شُغفَ الفُؤادُ بجارَةِ الجَنَبِ ... فظَلَلْتُ ذا أَسَفٍ وَذا كَرَبِ

يا جارَتي أَمسَيتِ مالِكَةً ... رِقّي وَغالبتي عَلى لُبّي[4]

---

١ – قطوس، بسام، المنهج النّفسي في النّقد الحديث النّقاد المصريون أنموذجاً، ص٥٦.

٢ – عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، د.ط، ص٥٤.

٣ – سمعان، روزة أسعد، ديوان عليّة، ص٧٢.

٤ – نفسه، ص ٦٨.

تعبّر الشّاعرة عن شدّة حبّها (الشّغف)، للجارة التي وارت بها عن المحبوب، وتستعمل في وصف نفسها (مالكة رقّي)، إذ جعلت من قلبها عبداً مملوكاً، وما أرى حرّة تجعل من قلبها (عبداً)، لخادم من خدمها، وما أرى إلا نكوص عليّة إلى نصفها من أمّها، " لشعورها بالضّعف في مواجهة الإحباطات الشّديدة والضغوط التي تعاني منها"[1]. فدلالة الألفاظ (أسف/ كرب)، توحي بالنّفسيّة المحبطة، وكذلك سيطرة (الشّغف)، على القلب والعقل، ولكن دون جدوى. إنّ نكوص عُليّة إلى ماضي والدتها ولدّ لديها عقدة النّقص أيام الطفولة، فولّدت عندها حالة من العُصاب[2]. ترجمت على شكل وسواسٍ قهري ظهر في قولها (وغالبتي عليّ لُبّي).

وعلى أيّة حال، لقد ملّت عُليّة من التورية، وإخفاء اسم المحبوب، فتوجّهت نحو الإلغاء، "وهو حيلة لا شعورية تعني القيام بسلوك عكسي لإلغاء أثر سلوك سابق" [3] فقامت بانتفاضةٍ على النّفس والمجتمع، لتبرز صوت الأنثى العاشقة، على غير المألوف عند العرب، فقد وارت وكنّت عن خادمها رشأ، في كلّ ما سبق، ما ولد كبتاً نفسيّاً لدافعٍ لم يتم إشباعه، وعدم حلّها هو نتيجة حالة من التوتر والقلق وعدم الارتياح"[4] وقد يؤدي هذا الكبت إلى مرضٍ نفسيّ أو عصبي؛ لذا قرّرت عليّة أن تقوم بانتفاضةٍ نفسيّة، ومجتمعيّة في ظل تجربة جديدة مع خادم جديد من خدم الرشيد وقد شغفت به أيّما شغف وكانت عليّة تحب أن ترا سل بالأشعار من تختصّه، فاختصّت خادماً يقال له: طلّ، وشرعت ترا سله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشت على ميزاب[5] وحدّثته وقالت في ذلك[6]: (الكامل)

قَدْ كان ما كُلِّفتهُ زمناً ... يا طلُّ مِن وَجدٍ بِكُم يكفي

حتى أتيتُكَ زائراً عَجِلاً ... أمشي على حَتفٍ إلى حَتفِ[7]

---

١ – عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، د.ط، ص٥٨.

٢ – العُصاب مرض دون سبب تشريحي معروف. ينظر: داكو بيير، العصاب والأمراض الذّهنيّة، د.ط. القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي. د.ت. ص٦-١٦.

٣ – نفسه، ص٥٦.

٤ – عبد الواحد، مصطفى: دراسة الحب في الأدب العربي، د.ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢، ج١، ص١٠٦.

٥– ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر. مادة (أزب) والميزاب: مجرى الماء.

٦ –الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص١٣٠.

٧ – نفسه، ج١٠، ص ١٦٣.

وعندما علم الرّشيد بالأمر، حلف عليها ألا تكلّم طلّا، فضمنت له ذلك، واستمع إليها يوماً وهي تقرأ آخر سورة البقرة، حتى بلغت قول الله تعالى: " فإن لم يصبها وابل"[1] ثم سكتت، وقالت: الذي نهانا عنه أمير المؤمنين، فدخل وقبّل رأسها. وقال: قد وهبت لك طلاً[2].

إذا دققنا في السطور السّابقة التي تتحدث عن قصّة عليّة مع طلّ نجدُ أثر الزّمان والمكان النّفسيين في تشكيل تلك النتفة، فَبَعدَ غياب المحبوب بضعة أيام عن الشّاعرة، جاءته تمشي مندفعةً على ميزاب، فاجتمعت ثلاثيّة الزّمان والمكان والمحبوب، ما أدى إلى راحة نفسيّة، طُردت من خلالها مشاعر الكبت.

لاحظنا فيما سبق، وبالنّظر إلى مناسباتِ النتف والمقطوعات السّابقة الحالة النّفسيّة لدى عليّة بنت المهدي، حين أخفت مشاعرها وعانت من الكبت خوفاً من المجتمع، "ولم تستطع عليّة أن تتكيف مع عادات المجتمع تكيّفاً إيجابياً، ما أدّى إلى جنوحها إلى التّكيّف السّلبي لإرضاء حاجاتها،"[3] فلم تجد سبيلاً إلّا الإفصاح والإعلان، فإن نحن جدّدنا النظر في ديوانها، وجدنا نتفاً ومقطوعاتٍ أخرى نظمت في الغزل، عبّرت فيها الشّاعرة عن قضايا مختلفة كهجر المحبوب وفراقه، والصبر على الحب، وتواصل المحبوب، ولوعة الحب، وغيرها. و سنتناول نماذج من هذه النّتف والمقطوعات في ضوء المنهج النّفسي.

ب- نماذج أخرى في الغزل

تحدّثت الشّاعرة عن لوعة الحبّ والحنين إلى المحبوب في ثلاثيّة نفسيّة أبرزت فيها عشق المحبوب، وطول الزمان، ونهاية المكان، تقول: (الطويل)

ما أقصر اسم الحبّ يا ويح ذا الحبّ ... وأطولَ بلواه على العاشقِ الصّب

يمرُّ به لفظ اللّسان مسهّلاً ... يرمي بمن قاساه في هائرٍ صعب[4]

تتضافر دلالات الألفاظ في التعبير عن الثلاثيّة النفسيّة، فوا عجباً لقصر أحرف كلمة الحبّ، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ زمانه النّفسيّ طويل في البلوى، فالزمان الفيزيائيّ يختلف عن

١- سورة البقرة، الآية ٢٦٥.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص١٣٠.

٣ - صندقلي، هناء إبراهيم، اضطراب أم مرض نفسي، ط١، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠١٦. ص ١٤.

٤ - سمعان، روزة، ديوان علية، ص٦٦.

الزّمان النّفسي لدى العاشق، والثاني أطول بالضرورة من الأول، كما أنّ النطق بكلمة الحبّ سهل خفيف، ولكنّ العواقب المكانيّة لها صعبة، إذ يلقي بصاحبه في مهلكةٍ لا قرار لها. وتحاول عليّة التعبير عن هذه اللّوعة والمشاعر بإسقاطها على مظاهر الطبيعة تقول:

(الطويل)

أيا سَـــروةَ البُســـتانِ طالَ تَشـــوُّقي ... فهلْ لي إلى ظلٍّ لديكِ سَـــبيلُ

متى يَلْتَقي مَن لَيسَ يُقْضَـــى خُروجُه ... وليسَ لِمَن يَهوى إليهِ دُخول

عسى الله أن نرتاحَ من كُـــربةٍ لنا ... فَيَلقَـــى اغتباطـــاً خُلّةٌ وخَليـــلُ.[1]

تلجأ الشّاعرة إلى (سروة البستان)، لتسقط مشاعرها المكبوتة، "إذ يفصح النّداء في هذه الأبيات عن نزعة نفسيّة مكبوتة لدى الأنثى لحظة تعرّضها للممارسة القمعيّة المتحكّمة في علاقة الحبّ، فالمكان (البستان)، في هذه المقطوعة يجسّد عالماً رمزياً تسعى الشاعرة إلى بنائه، وهو الظلّ الذي تجد فيه ذاتها، حين تواجه فكراً رافضاً لتصرفاتها (فهل إلى ظلٍ لديك سبيل)، وفي هذا المكان تُكسر الحجب الرافضة، لتجد الشاعرة ذاتها العاشقة، بعد أن تلاشت ثنائيّة الدخول والخروج"[2] وبعد ذلك ترجو الشّاعرة أن تخرج من هذا القهر الزّماني، على أمل اللّقيا. وكما تحدّثت عليّة عن لوعة الحب، تحدّثت أيضـــاً عن الأثر النّفســـي المترتّب على الهجران، تقول: (السريع)

ما صـــنع الهجران لا كانا ... هاج عليّ الهجر أحزاناً

ونمّ طرفي بدخيل الهوى ... فصـــار ما أسـررت إعلانا[3]

يبدو أثر الهجران واضـــحاً على الشّـــاعرة، فقد انعكس ذلك عليها بالأحزان، ثم أظهرت المتضادّات (أسررت/ إعلانا)، تعطيل الإرادة، والإرادة في علم النّفس: "هي العملية المعرفية التي يقرر من خلالها الفرد القيام بعمل معين ويلتزم به[4]، وقد تعطّلت عند الشاعرة، إذ كانت إرادتها

---

١ – الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص ١٦٤.

٢ – عليمات، يوسف محمود، جدليات النّص النسوي، المجلة الأردنية في اللّغة العربيّة وآدابها، مج١١، عدد١، ٢٠١٥، ص٣١٣.

٣ – نفسه، ص ٩٥.

٤ – ينظر الموقع الإلكتروني: (https://ar.wikipedia.org/wiki)

الكتمان وتحوّلت إلى الإعلان بعد الهجر. "ومما لا شكّ فيه أنّ الجفاف العاطفي يعد مشكلة نفسية واجتماعية معقدة ومتفاقمة ومؤثرة وتعود هذه المشكلة للطريقة التي يتم فيها تربية الأبناء داخل الأسرة؛ حيث تغيب روح المكاشفة والمصارحة بين الأبناء والوالدين فلا يتمكن الآباء من معرفة مشاكل أبناءهم الخاصة بسبب التربية الصارمة وعدم اظهار الآباء لمشاعر الحب لأولادهم فتتولد الفجوة"[1] وتستمر عليّة في الحديث عن هجر المحبوب وصدّه، والجفاف العاطفي، فتقول: (الكامل)

يا ربِّ إنّي قَدْ عَرضــــتُ بِهجرِها ... فإليْكَ أشـــــكو ذاكَ يا ربّاه

مَولاةُ ســـــوءٍ تَســـتَهينُ بِعبْدِها ... نِعمَ الغُلامُ وبئســـتَ المَولاةُ

طلّ" ولا كنّي حُرِمتُ نَعيمَه ... ووِصـــــالَه إن لم يُغثني الله

يـــــا ربِّ إنْ كانَـــــت حَياتي هكـــــذا ... ضُرّاً عَليّ فمـــا أريـــدُ وِصالَـــه.[2]

تختلف نظرة عليّة العبّاسيّة، التي تحتاج وصالاً من محبوبها وتستغيث الله في ذلك، عن الشاعرات الأندلسيات[3] اللّواتي وصلن إلى حالة النرفانا[4]، التي لم تصل إليها عليّة، فما زالت تشكو إلى الله هجر المحبوب، وقلّة وصاله، وتلجأ إلى جلد الذات في وصف نفسها (مولاة سوء، بئست المولاة)، فإن بقيت حياتها ضُراً ومشقّة عليها فلا تريد هذا الوصال منه.

وتعاني الشّـــاعرة من القلق والتّوتر في ظلّ الواقع الذي تعيشـــه، فتلجأ إلى الشّـــكوى والحنين، ضمن ثنائيّات متضادّة بين نفسها، والمجتمع (الحرمان/ النعيم والوصل / الحرمان)، فما سبب هذا الهجر وتلك القطيعة، وانعدام الوصال والنعيم، إلّا تلك الثقافة المجتمعية.

---

١ – عبد الله، منى رحمن، الجفاف العاطفي لدى طلبة جامعة المستنصرية، مجلّة آداب المستنصرية، العدد ١٠٧، ٢٠٢٤. ص٥٧٩.

٢– الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، ج١٠، ١٦٤.

٣ – إقبالي، عباس، **ميزات الغزل عند الشاعرات الأندلسيات في ضوء النقد النّفسي الحديث**، أرشيف الشارخ للمجلات الأدبيّة والثقافيّة، العدد ٢٠، ٢٠١٥، ص٢٢.بحث منشور.

٤ – **النرفانا:** حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمؤثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلا تماما بذهنه وجسده عن العالم الخارجي، والهدف من ذلك هو شحن طاقات الروح من أجل تحقيق النشوة والسعادة القصوى والقناعة وقتل الشهوات.

تأسيساً على ما سبق، تعيشُ نفس عليّة في دوّامةٍ من الأفكار، خلقت في نفسها صراعاً لا متناهياً ولا حدود له، صـــراعها مع ذاتها (الأنا/ والهي)، من ناحية والآخر (المجتمع)، من ناحية أخرى. وتكشف عن أسباب مرضها، وقلقها النّفسي، موجهة نفسها حول الدّواء، تقول:

مجزوء الرّمل)

بأبي من هو دائي ومن السّقم شفائي

وهو همّي ومنى نف سي وسؤلي ورجائي[1]

تعبّر الشّاعرة عن شدّة شوقها لمحبوبها، إذ تجعلّ الدّواء في الدّاء، "ونستشعر هنا سحابة حيرى تظلّل الشاعرة، فتتسلّل منها الكلمات لتجسّد بعضاً من أنفاسها الحارّة، وتستخدم ضمير الغائب، ولعلّه يحمل شيئاً من الخفاء"[2]. وقد انعكس هذا الألم النّفسي على الجسد، تقول:

(الطويل)

أرى جَسَدي يَبلي وَسَقَمي باطِنُ وَفي كَبِدي داءٌ وَقَلبي سالِمُ

فَما السَقَمُ إِلّا دونَ سَقَمٍ أَصابَني وَلا الجُهدُ إِلّا وَالَّذي بيَ أَعظَمُ

ممّا لا شكّ فيه، أنّ الآثار النّفسيّة تنعكس على جسد الإنسان، فالتوتر والقلق والألم النّفسي، أشدّ تأثيراً من المرض العضوي، وانعكس ذلك على جسد الشّاعرة الذي بدأ يبلى، كما شعرت بألم كبدها، فما سبب هذا المرض، إلّا علّة الحب وفراق المحبوب، ويتجلى الأثر النّفسيّ وانعكاسه على الجسد من خلال تكرار كلمة (سقم).

وبعد، لقد رأينا جزئيّة من المنهج النّفسي في شعر عليّة فيما يختص بباب الغزل، فقد لجأت إلى استعارة الأسماء في غزلها بالخادمين، وغلب على غزلها الطابع المعنوي، وقلّ الغزل الحسيّ عندها، فقد كانت دائمة الشكوى من الصّد والفراق والهجر، مطالبة بالوصال، وكثيراً ما كانت تنهى نفسها عن الحبّ بهجرها المحبوب عساها ترتاح نفسيّاً، إذ شكّل الحبّ لها همّاً، بل

---

١ – سمعان، روزة أسعد، ديوان عُليّة، ص٦٥.

٢ – سحر، محمود أحمد، من تجلّيات الصّراع النّفسي في شعر الأميرات، مجلّة البحث العلمي في الآداب، عدد١٩، ج٨، ٢٠١٨، ص ٤٩٤.

عدّت مركبه صعباً، وبيّنت آثاره النّفسيّة وانعكاساتها على الجسد، وما زاد قلبها إيلاماً افتقار المعشوق إلى الصّدق، ولم تفحش عليّة في الأوصاف الجسديّة، فقد وصفت المحبوب بالوجه المليح[١] كما أسقطت عليه صفات الغزال[٢].

لقد امتلكت عليّة من الجرأة والشّجاعة ما يكفيها للتعبير عن عشقها، ضمن مراحل متعدّدة، فكانت تلجأ إلى الأوصاف النّفسيّة في التعبير عن مشاعر متأجّجة، فتراها أحياناً ترى الشّفاء في رضاب المحبوب، وتراها طوراً ثالثاً تجسّد من الطبيعة عنصراً مشاركاً لها بإسقاطها صفات المحبوب على الأشجار والظباء. وقلّت الأوصافُ غير اللائقة في شعرها، خلا وصفها لمخنّث في مقطوعة من ديوانها[٣]، ووراء هذا الوصف نسق مضمر، وسنأتي كذلك على هجائها لطغيان[٤]، ضمن هذا النّسق.

ويأتي وصف الخمرة بالدرجة الثانيّة في ديوانها، ولا غرابة أن تُدرس أشعار الخمرة ضمن المنهج النّفسي، فالتلذّذ بالخمرة أمر يرتبط بالنّفس ارتباطاً وثيقاً، وهذا ما سنتناوله الآن.

المطلب الثّاني: الأبعاد النّفسيّة في وصف الخمر

يتأثر الإنسان بالبيئة المحيطة، مهما اشتدت عصاميّته، ولمّا كانت عليّة جزءاً من البلاط الملكي، فلا غرابة أن تتأثر بما يدور في فلك هذا البلاط، فقد عاصرت أبا نواس، ولا شكّ أنّها سمعت بخمرياته، إذ كان ملازماً للبساط الملكي، واتصل بخلفاء بني العباس لذا، كان لتقاليد المجتمع آنذاك أثرٌ كبيرٌ في حياة عُليّة، فثقافة المحرّمات التي كانت سائدة على المرأة، خلقت ردّة فعل عكسيّة عند عليّة، بمعنى آخر، لم يكن التحريم الإلهي للخمرة وقفاً على النّساء، بل كان تحريماً قطعياً على كلّ المسلمين ذكوراً كانوا أم إناثاً. ومن هنا نجد الصّوت الأنثوي يفجّر مكنوناتِ النّفس تجاه عنصريّة التميز بين الذكر والأنثى، وهذا أشبه ما يكون بعقدة ديانا[٥] "والعقدة ليست إندماجة فكرية عاطفية شخصيّة، بل هي أيضاً محتوى الإندماجة الذي يوحي باندفاع الأنا ضد الأفكار والأحاسيس التي تثيرها مثيرات الواقع الحاضر"،[٦] إذا لقد تمرّدت عليّة على الواقع، وأظهرت في أشعارها انقلابها على الموروث الثقافي، تقول:

---

١ – ينظر: سمعان، روزة أسعد، ديوان علية، ص ٧٤، المقطوعة ٢٨.

٢ – نفسه، ص ٨٧، المقطوعة ٦٩.

٣ – نفسه، ص٦٦، المقطوعة ٣.

٤ – انظر ص ٢٧ من هذا البحث.

٥ – وهي عقدة الفتاة التي ترى في نفسها صبيّاً: موكيالي، روجيه، **العقد النّفسيّة**، ط١ ترجمة: سوريس شاربل، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ١٩٨٨، ص٣٨.

٦ –نفسه، ص١٩.

(مخلّع البسيط)

قم يا نديمي إلى الشّمول ... قد نمتَ عن ليلكَ الطّويل
أما ترى النّجم قد تبدّى ... وهمّ بهرام بالأفول
قد كنتَ عضبَ اللّسان عهدي ... فرحتَ ذا منطقٍ كليلِ
من عاقر الرّاح أخرسته ... ولم يجب منطق السّؤول[1]

تكشف المقطوعة السّابقة "عن لحظة زمنيّة هاربة تسعى الشّاعرة للقبض عليها، وعلى الرّغم من تقاعس النديم، إلّا أنّ صوت الشاعرة يؤكد جدّيتها في إحياء عالم اللّذة، ولعلّ فعل الأمر(قم)، يعكس ثورتها وتوقها للانطلاق من قيود المجتمع، ويؤدي الزمان دوره في التلاعب بمشاعرها، إذ ما زالت تخشى هاجس القلق والانكشاف، فقد هيمن على النّديم المنطق الكليل (الخوف والضعف)"[2]. وتحاول الخروج من هذا القلق الواقعي الذي هو-بالضرورة-نوع من الأمراض النّفسيّة التي تصيب (الأنا)، بمعاقرة الخمر حتى تخلق حالة من النّسيان لهاجس الخوف من المجتمع، وكما سابقت الشّاعرة الزمن النّفسي في المقطوعة السّابقة، لجأت أيضاً إلى المكان النّفسي الذي تشعر فيه بالارتياح في معاقرة الخمر، تقول: (الخفيف)

أيَّ ذَنبٍ أَذنَبتُهُ أَيُّ ذَنبِ ... أَيَّ ذَنبٍ لَولا مَخافَةُ رَبّي
بِمَقامي بِطيزناباذِ يَوماً ... بَعدَهُ لَيلَةً عَلى غَيرِ شُربِ
ثُمَّ باكَرتُها عَقاراً شَمُولاً ... تَفتَنُّ الناسِكَ الحَليمِ وَتُصبي
قَهوَةً قُرقُفاً تَراها جَهولاً ... ذاتَ حِلمٍ فَرّاجَةً كَلَّ كَربِ[3]

لقد غضب الرّشيد على عليّة، لإقامتها بعد الحج في طيزناباذ، وهو موضع نزهة بين الكوفة والقادسيّة، فافتتحت مقطوعتها بالسؤال الإنكاريّ المتكرّر، فقد جعل الرّشيد تأخرّها للاستمتاع ذنباً، ويظهر الارتباط النّفسي للشاعرة من خلال المكان، فقد ترددّت في البداية ولكنّها ما لبثت أن

١ – سمعان، روزة أسعد، ديوان علية، ص ٨٨.
٢ – ينظر: عليمات، يوسف محمود، جدليات النصّ النسوي، ص ٣١٨-٣٢٠.
٣ – الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ص١٨٢.

عاقرتها، فقد فُتِن الناسك المتعبد بها، أي تحرّر من عالمه القديم، ودخل إلى عالمٍ جديد، وكذا عُلّية التي حاربت الثقافة المجتمعيّة الذكوريّة، والغريب في الأمر أنّ الرّشيد بعد سماعه هذه الأبيات عفا عنها، الأمر الذي يشجّع عليّة على التحرّر من قيم المجتمع، واختراق مجتمع جديد. لقد استطاعت الشّاعرة التغلّب على مشاعرها المكبوتة، فقالت في البيت الثاني (على غير شرب)، ثم تحولّ الأمر في البيت الثالث إلى (مباكرتها شمولاً)، فتغلّبت (الهي)، على الأنا.

وتوحي أوصاف الشّاعرة للخمرة بانعكاس نفسيّ مريح، فقد رأت فيها فرّاجة الكروب، مريحة للنّفس. وتنطلق الشّاعرة إلى تجربة الخلوة بالخمرة، تقول: (السّريع)

خَلَوتُ بِالراحِ أُناجيها آخُذُ مِنها وَأُعاطيها

نادَمتُها إِذ لَم أَجِد صاحِباً أَخافُ أَن يُشرِكَني فيها[1]

تكشف النتفة السّابقة عن حالةٍ من التوحد النّفسيّ مع الخمرة، فقد انتقلت الشاعرة من الصّورة الحسّية للخمرة (حين جعلت منها شخصاً يناجي)، إلى صورة الخلوة النّفسيّة لأنها (تخاف)، أن يشركها أحدٌ فيها. وتقرّر الشاعرة بعد ذلك أن تشرب، كي تتغلّب على طول اللّيل، فالمريض والعاشق سيّان في الشعور بطول الليّل، لأن الزمن النفسي أطول من الزمن الفيزيائي، ولعلّ شرب الخمرة هنا يخفف عنها بعد المحبوب، الذي تفكر فيه تقول:

(السّريع)

مَن عَلَّلَ اللَيلَ بِأَقداحِهِ قَوى عَلى اللَيلِ وَتَطويلِهِ

ما كادَ يَفنى اللَيلُ مِن طولِهِ لا يُعرِضُ اللَيلُ لِمَشمولِهِ[2]

مما لا شكّ فيه أنّ الشاعرة تعاني من الاكتئاب، "الذي هو اضطراب للمزاج، وهبوط في الحالة النّفسيّة، وهو شعور عميق بالوحدة والحزن، قد يؤدي إلى الانتحار"[3]، وليس أدّل من

---

١ – سمعان، روزة أسعد، ديوان عليّة، ص٩٩.

٢ –نفسه، ص٨٨.

٣ – سقال، دريزة، الإبداع الأدبي والتحليل النّفسي، ط١ دار كتابات، بيروت، لبنان،٢٠١٢، ص٩٩.

تكرار(الليل)، على طول الزّمن النّفسي، الذي تعاني منه الشاعرة، وحتى تتخلّص من طول الليل، تلجأ إلى شرب الخمرة، وتحاول أن تشرب الخمرة حتى تدفن في اللّحد، تقول:

(البسيط)

لأشـــربنَّ بـ كأسٍ بـ عد ما كأسِ را حاً تدورُ بأخ ماسٍ وأســـداسِ

وأرضـــعُ ا لدَّرَّ مذ ها باكراً أ بداً حَتَّى أُغَيَّبَ في لحـْدٍ وأرْ ماسِ[1]

ويبدو أنّ الشّاعرة تحاول الهروب من واقعٍ تعيشه، "وكما كانت الخمرة رمزاً للتّخلص من هموم الدّنيا ومشـــاكلها عند أبي نواس، واحتلّت الصّـــدارة في حياته، حتى ولّدت عنده آفة الإدمان" [2] كانت أيضاً عند عُليّة، وهذا ما أشارت إليه في النّتفة الشّعرية السّابقة، إذ هي مستمرة في شرب الخمر حتى يواري الثّرى جسدها.

المطلب الثالث: الأبعاد النّفسيّة في شعر المدح

لم يخرج شـــعر عليّة في المدح، عن نطاق بيت الخلافة، ومما لا شـــكّ فيه أنّ علاقتها بهارون الرّشيد كانت وطيدة، كما وجدنا في ترجمة حياتها، فمدحته وبيّنت أصالة نسبه تقول:

(مجزوء الكامل)

قل للإ مامِ ابن الإمـــــــــــــــــــــا مِ مقـــــــــــــالِ ذا النصحِ المصيبِ

لـــولا قُدومُـــــــكَ ما انجلـــــى عـ نا ا لـ جـ لـ يلُ منَ ا لـ خـ طوبِ[3].

تعكس النّتفة السّابقة علاقة عليّة بالرّشيد، إذ تشعر بالرّاحة النّفسية في ظلّ خلافته، وقد انعكست هذه الرّاحة من خلال عدّة مواقف حصلت بينّ عليّة والرّشيد، سواء أكان ذلك في وَهبِ الخادم طلاً لها، أم في الصّفح عنها حين تأخرت في طيزناباذ. فقدومه أزال كثيراً من الخطوب، وحق

---

١ – سمعان، روزة أسعد، ديوان عليّة، ص٨١.

٢ – بديرينة، صليحة، وبورويس، سعيدة، تجلّيات المنهج النّفسي عند العقاد، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، سكرة، ٢٠١٩، ص٦٥

٣ – سمعان، روزة، ديوان عليّة، ص٦٨.

الأمن والاستقرار لعليّة، إذاً هو الأخ الذي تشعر أخته بأنّه السّند الحقيقي لها. وتصوّر الزّمن النّفسي في بعده عنها، تقول:

(البسيط)

طالت عليّ ليالي الصّـــومِ واتّصـــلتْ حتّى لـ قد خلتُ ها زادتْ على العـ دَدِ

شـــو قاً إلى مجلس يُزهى بصـــحبتكم أعـ يذه بجلال الوا حد الصـــّ مدِ[1]

إنّ غياب الرّشيد أدّى إلى الشّعور بطول اللّيل، وما يلفت الانتباه استخدام تركيب (ليالي الصّوم)، والصوم عادة في النّهار، ويظهر هنا الصّوم النّفسي (أيّ القلق والتوتر الذي أصابها عندما غاب الرّشيد عن مجلسه)، فقد اشتاقت مشاعرها لمجالسة الرشيد، وهذا الفراغ العاطفي شكّله غياب الرشيد عنها. وما تلبث الشّاعرة أن تتمنى الخلود في حياة الرشيد وبالقرب منه، تقول:

تَ فد يكَ أُ خ تكَ قَدْ حـ بَـ وَتَ بـ ِ ذ عمـ َةٍ لَســـ نا ذَ عدّ لَ ها الزَّ مانَ عـ َديْلا

إلا ا لـ خ لود وذاكَ قُ رُ بكَ ســـ يَ دّي لا زالَ قُربُكَ وا لبَ قاء طَ وَ يلا[2]

تكشف النتفة السّابقة عن المشاعر التي تحملها عليّة تجاه الرشيد، ومقدار الطمأنينة التي تشعر بها، متمنيّة البقاء إلى جانبه، وقد وصلت بها مشاعرها إلى أن تفديه بنفسها، إذ لا قيمة للزمن هنا لشعورها بالاستقرار.

المطلب الرابع: الأبعاد النّفسيّة في أغراض شعريّة أخرى.

أ- بين المديح والعتاب.

طلب الرّشيد أخت عليّة، العبّاسة ولم يطلبها، فوقع في نفسها، فقالت: (البسيط)

---

١ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص ١٨٣.

٢ - نفسه ج١٠، ص١٨١

ما لي نُســـيتُ و قد نوديَ بأصـــحابي وكـــنـــتُ والـــذِّكـــرُ رائـــحٌ غـــادي

أذ ـــا الذي لا أطيقُ الدّه ـــ ـــر فُرقَتَكُ ـــ ـــم فَـــــرِقَّ لي بأبي مـــــن طولِ إبعـــادي[1]

تعكس النّتفة السّابقة، قسوة الرّشيد في حقّ عليّة، ومع ذلك لم تبدِ عليّة ردّة فعل مضادة، ولم تجافي أخاها، بل عبّرت عن مشاعرها وشوقها له، إذ عاتبته وطلبت منه أن يرقّ لها، الأمر الذي يعكس علاقة عليّة بالرشيد، ويبدو القلق واضحاً على عليّة من ردّة فعل الرشيد، فلجأت إلى عتابه، وأظهرت الألفاظ (أطيق/ إبعادي)، النفســـيّة القلقة المتوترة حين شـــعرت بالجفاء، ولجأت لجعل الرّشيد ملاذاً–طبيباً نفسيّاً–لكلّ مشاكلها، وعاتبته على انشغاله، تقول:

(السّريع)

هارونُ يا ســـؤلي وقيتَ الرّدى قلبي بعتبٍ منكَ مشـــغولُ

ما زلتُ مذْ خلّفتني في عمىً كأنّني في الناس مخبولُ[2]

تعاني الشّاعرة من القلق النّفسي، الذي خلّفه غيابُ هارون الرّشيد عنها، فقد عانت التيه والضّياع، وكأنّها قد فقد دليلها ومرشدها، فانعكس ذلك عليها. ولمّا كانت أشعار عليه في مدح الرّشيد وعتابه تتمحور حول محور واحد، هو تعلّقها بهارون الرشيد وحبّها له، آثرتُ أن أدرسها جملة واحدة ضـــمن المنهج النّفســـي حتى نجانب التّكرار، وتظهر عُليّة في مقطوعاتها ونتفها حاجتها إلى الرّشـــيد، وهو ما يطلق عليه في علم النّفس "حاجة الانتماء، وهي النزوع الإيجابي للآخرين، وينجم عنها الثّقة بالآخر، والحب والتعاطف، فضـــلاً عن الشـــعور بالأمن"[3]. " والتحرّك باتجاه النّاس واللجوء إليهم، يحوّل الضعف إلى قوة"[4]، وهكذا ترى عليّة قوتها، منبثقة

١ الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٠، ص١٨١.

٢ – سمعان، روزة، ديوان عليّة، ص٩٠.

٣ – عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، د.ط، ص٣٤٤.

٤ عبد الرحمن، محمد السّيد، نظريات الشّخصيّة، ص٢٠١.

من علاقتها بهارون الرّشـــيد، خاصّـــة أنّها في أشـــعارها الغزليّة كانت تخاف نظرة المجتمع، فوجدت الخليفة هارون داعماً ومعينا لها.

ب- أغراض أخرى

جاء في كتاب الأغاني، أنّ الرّ شيد خرج إلى الرّي، وا صطحب أخته عليّة، ف شعرت بالغربة، تقول: (الطويل)

وَمُغتَرِبٍ بِـالمَرجِ يَبكي لِشَـــجوِهِ ... وَقد غابَ عَنهُ المُســـعِدونَ عَلى الحُبِّ

إِذا ما أَتاهُ الرَكبُ مِن نَحوِ أَر ضِهِ ... تَنَشَّـــقَ يَســـتَشـــفي بِرائِحَةِ الرَكبِ[1]

لقد تولّد لدى عليّة شعور بالاغتراب، فا شتاقت إلى العراق وأهلها، ف شعرت بالاغتراب المكاني، ما انعكس عليها نفسيّاً، إذ أصبحت تعاني من القلق الواقعي لبعدها عن وطنها، وانعكس ذلك عليها ف شرعت بالبكاء، وكانت ت ستنشق رائحة العراق في كلّ ركب ح ضر من العراق، وأدّت الألفاظ (مغترب/ غاب/ من نحو أر ضه)، دلالة نفسيّة عكست قلقاً بسبب البعد، وا شتياقاً للرّجوع، والأهم من هذا وذاك أنّ الر شيد أعادها إلى العراق، وت صرّف الرّ شيد بحقّها، يؤكد الحالة النّفسيّة التي كانت تعاني منها.

ومن الأغراض الأخرى النّادرة في شعر عليّة، الهجاء، وقد قالت في هجاء طغيان، جارية أم جعفر، حين أفسدت العلاقة بين رشأ وعُليّة، تقول: (الطويل)

لِطُغيانَ خُفٌّ مُذ ثَلاثينَ حِجَّةً ... جَديدٌ فَلا يَبلى وَلا يَتَخَرَّقُ

وَكَيفَ بِلى خُفٍّ هُوَ الدَهرَ كُلَّهُ ... عَلى قَدَمَيها في الهَواءِ مُعَلَّقُ

فَما خَرَقَت خُفّاً وَلَم تُبلِ جَورَباً ... وَأَمّا سَراويلاتُها فَتُمَزَّقُ[2]

دافعت عليّة عن علاقتها بمحبوبها، بعد تلك الو شايّة، ف شرعت بهجاء طغيان، هجاء لاذعاً، وعلى الرّغم من أنّها لم تذكر تلك الألفاظ إلّا أنّ النســـق المضـــمر يبدو جليّا في هذا البيت، فقد اتهمت عليّة طغيان -بالجنوح نحو الفاحشة، واعتيادها-وجاء هذا الرّد القا سي ضمن ميكانزميّة إنكار وشاية طغيان، التي حاولت إفساد العلاقة بين عليّة وخادمها رشأ.

---

١ - أبو الفرج، الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص١٨٣.

٢ - أبو الفرج، الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص ١٦٧.

الخاتمة والنتائج

بعد حمد الله والثناء على عظيم نعمه، والصلاة على نبيّه محمد ﷺ نقول: لقد تناولت هذه الدّراسة المنهج النّفسي في بعض أشعار عليّة بنت المهدي، وتوصّلت إلى النتائج الآتية:

١. تقتضي القراءة النّفسيّة لأيّ نص كان، اختراقَ القشورِ إلى اللّباب، والغوصَ في مكنونات النّص، لاكتشاف الحالة النّفسيّة التي عاشها الأديب. ولا بدّ من ربط النصوص بواقع الحياة، لاستكشاف اللاشعور.

٢. لستُ أوافق من أشار إلى تديّن عُليّة بنت المهدي، فالملتزمُ دينيّاً لا يفضي إلى وصف المخنّثين، أو إظهار العشق، أو وصف معاقرة الخمرة، وكلّها منهيّ عنها بالنّصوص الواضحة، ومقطوعاتها تعكس سلوكاتها المُنتهجة في المنهج النّفسي.

٣. لا بدّ للإنسان أن يتأثّر بالبيئة التي يعيشها، الأمر الذي أوقع عليّة بين نارين، أذكتا صراعاً عنيفاً في نفسها، هي ابنة الخليفة العباسي المهدي، وأمّها جارية من الجواري، هذا الفرق الطّبقي ولّد لديها حيرة ما بعدها حيرة، فإن كانت أمّها جارية عشقها الخليفة، فما يمنعها من عشق خادمٍ أسوة بخليفة المسلمين؟ ثم تجد نفسها أمام النّار الثانية، فكيف لها أن تواجه ثقافة المجتمع وتقاليده، خصوصاً أنّه مجتمع ذكوري، فلا بأس أن يعشق الخليفة جاريّة–لكونه ذكراً–أمّا أن تعشق الأنثى رجلاً فهذا غير مألوف، فكيف به إذا كان خادماً؟ وتلك لعمر الله أعظم من الأولى في مجتمعها الذّكوري.

٤. تولّد لدى عليّة شعورٌ بالنّقص؛ لأنّها لم تنجب، وإن لم تتطرّق إلى هذا الأمر في شعرها، إلّا أنّ الإنسان بطبيعته يحاول تعويض أيّ نقصٍ يشعر به بوسائل مختلفة.

٥. لم تعش عليّة كثيراً مع زوجها، ولربما كان هذا سبباً في عشقها لرجالٍ آخرين، فالفارق الزّمني العمري بينهما يربو على الثلاثين عاماً، ولم تفصح عليّة عن ذلك في شعرها أيضاً، ولم تصرّح باسم زوجها.

٦. أكثر أشعار عليّة في الغزل الذي يعبّر عن المشاعر، أمّا الغزل الحسّي فقليل.

٧. وصفت عليّة الخمرة، ولجأت إليها حين كانت تعاني من الضغط النّفسي الشديد.

٨. ارتبطت عليّة بعلاقات نفسيّة وعاطفيّة مع أخيها الرّشيد، وأحبّته كثيراً.

٩. ظهر في أشعارها صراع الشّخصية بين طبقتي الأنا والهي.

١٠. ظهر في شعرها صراع الأنا مع الآخر، فحاولت التمرّد على المجتمع بطرق متعدّدة.

١١. كشف المنهج النفسي قضايا متعدّدة، لم تبح بها عليّة، ففقدها لزوجها وعدم إنجابها، وكون أمها جارية، ولّد عنده ردود فعل مختلفة تجاه المجتمع، واختلطت مشاعرها الدينيّة بالأمور الدّنيويّة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين القرشي، **الأغاني،** ٢٥ج، تحقيق: إبراهيم السعافين وإحسان عباس وبكر عباس، ط٣، بيروت، دار صادر،٢٠٠٨.

أغاني الأغاني،٣مج، جمعها الخوري يوسف عون، وصحح شرح الحواشي عبد الله العلايلي، ط٣، دمشق، طلاس للدراسات والنشر،١٩٩٣.

الإماء الشواعر، تحقيق: جلال العطيّة، ط١، بيروت، دار النضال للطباعة والنشر، ١٩٤٨.

الثعالبي، أبو منصور، **فقه اللغة وسر العربيّة،** تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، ط ٣،١٩٧٢.

الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشّعراء،**٢ج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، **ديوان عليّة بنت المهدي،** تحقيق: محمد أبو المجد، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللّغة،** تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر. مادة (أزب) والميزاب: مجرى الماء.

القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، **زهر الآداب وثمر الألباب،** ٤مج، ط١، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ٢٠٠١.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب،** ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧. مادة (نهج)

ثانياً: المراجع

إسماعيل، عز الدين: **التفسير النّفسي للأدب،** ط٤، دار العودة، بيروت، ١٩٨١.

بلوحي، محمد، **الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث،** اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

الزركلي، خير الدين، **الأعلام، ط١٤،** دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

داكو بيير، العصاب والأمراض الذّهنيّة، د.ط. القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي. د.ت

ستانلي، هايمن، **النقد الأدبي ومدارسه الحديثة**، ٢ج، ترجمة: إحسان عباس ويوسف نجم، د.ط، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨.

سقال، دريزة، **الإبداع الأدبي والتحليل النّفسي**، ط١ دار كتابات، بيروت، لبنان،٢٠١٢.

سمعان، روزة أحمد، **دراسة في ديوان عليّة بنت المهدي**، ط١، مطابع أبو رحمون، عكا، ١٩٨٨.

سويف، مصطفى، **الأسس النّفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة**، تقديم: يوسف مراد، ط دار المعارف، مصر، ١٩٥١.

صندقلي، هناء إبراهيم، **اضطراب أم مرض نفسي**، ط١، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠١٦.

ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦.

عبد الرحمن، محمد السّيد، **نظريات الشّخصيّة**، د. ط، دار قباء للطباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٩٨.

عبد الواحد، مصطفى: **دراسة الحب في الأدب العربي**، د. ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.

العمروسي، فايد، **الجواري والمغنيات**، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١.

عواد، كوركيس، **الكندي ابو يوسف يعقوب بن إسحاق**، د. ط، سلسلة الثقافة الشّعبيّة، مديريّة الثقافة والفنون الشّعبيّة، العراق، ١٩٦٢.

فرويد، سيجمند، **الأنا والهو**، ترجمة وتحقيق: محمد عثمان نجاتي، ط٤، دار الشروق، ١٩٨١.

قطوس، بسام، **المنهج النّفسي في النّقد الحديث النّقاد المصريون أنموذجاً**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٤.

كحّالة، عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ٥ج، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع،١٩٨٦.

الكندري، أحمد مبارك. علم النّفس الأسري، ط٢. الكويت، دار الفلاح للنشر والتوزيع. ١٩٩٢.

مجيد، سوسن شاكر، **اضطرابات الشّخصيّة أنماطها – قياسها**، ط٢، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.

المختاري، زين الدّين، **المدخل إلى نظرية النّقد النّفسي**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨. كتاب محوسب.

موكيالي، روجيه، **العقد النّفسيّة**، ط١ ترجمة: سوريس شاربل، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ١٩٨٨.

مهنا، عبد الأمير، **معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام**، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٠.

نسيب، الاختيار، **معالم الموسيقا**، د. ط، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ١٩٥٣.

نوفل، محمد محمود قاسم، **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ط١، نابلس، مطبعة وأوفست النصر، ١٩٨١.

وغليسي، يوسف، **مناهج النقد الأدبي**، ط١، دار جسور للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

ثالثًا: أبحاث منشورة

إقبالي، عباس، **ميزات الغزل عند الشاعرات الأندلسيات في ضوء النقد النّفسي الحديث**، أرشيف الشارخ للمجلات الأدبيّة والثقافيّة، العدد ٢٠، ٢٠١٥.

بديرينة، صليحة، وبورويس، سعيدة، **تجلّيات المنهج النّفسي عند العقاد**، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، سكرة، ٢٠١٩.

سحر، محمود أحمد، **من تجلّيات الصّراع النّفسي في شعر الأميرات**، مجلّة البحث العلمي في الآداب، عدد١٩، ج٨، ٢٠١٨.

عبد الله، منى رحمن، الجفاف العاطفي لدى طلبة جامعة المستنصرية، مجلّة آداب المستنصرية، العدد ١٠٧، ٢٠٢٤.

عليمات، يوسف محمود، **جدليات النّص النسوي**، المجلة الأردنيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، مج١١، عدد١، ٢٠١٥.

عيسى، محمد، **القراءة النفسيّة للنص الأدبي العربي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩، العدد ١+٢، ٢٠٠٣.

فرحان، حميد بان، **الأثر النفسي والإبداع الشعري عند النّقاد العرب**، مجلّة كليّة التربية الأساسيّة، ملحق العدد الرابع والسبعون، ٢٠١٢.

رابعاً: مواقع إلكترونية

(https://ar.wikipedia.org/wiki).

دور الجامعات البحثيـة في مصر كمحركات للابتكار والتقدم

The Role of Research Universities in Egypt as Engines of Innovation and Progress

د . رشا مختار عبد الرحمن

وكيل كلية التربية للشؤون الأكاديمية

جامعة خاتم المرسلين العالمية

toshaaa34@gmail.com

تاريخ استلام البحث للتحكيم والنشر ٢٠٢٥/٧/٢٧م

تاريخ إجازة البحث للنشر ٢٠٢٥/٩/٩م

دور الجامعات البحثية في مصر كمحركات للابتكار والتقدم

د . رشا مختار عبد الرحمن

وكيل كلية التربية للشؤون الأكاديمية

المُستخلص

في ظل التحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة، تبرز الحاجة إلى نماذج تكاملية قادرة على معالجة القصور البنيوي وتحقيق التنمية المستدامة. ومن بين هذه النماذج، يأتي النموذج الحلزوني بوصفه إطاراً ديناميكياً يجمع بين ثلاثة قطاعات رئيسية: القطاع الحكومي، القطاع الخاص، والجامعات البحثية. ويهدف هذا النموذج إلى خلق تفاعل بنّاء بين هذه الأطراف، بما يسهم في صياغة حلول مبتكرة للمشكلات المجتمعية، ويعزز من قدرة الدولة على النهوض في مختلف المجالات.

تلعب الجامعات البحثية دوراً محورياً في هذا النموذج، إذ لا تقتصر وظيفتها على التعليم وإنتاج المعرفة، بل تمتد لتكون شريكًا فاعلًا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وسد الفجوات التمويلية والمعرفية التي تعاني منها الدولة. ومن خلال الأبحاث التطبيقية، والشراكات مع القطاعين العام والخاص، تسهم الجامعات في دعم السياسات العامة، وتحقيق التنافسية العالمية، وبناء مجتمع قائم على الابتكار والمعرفة.

يركّز هذا البحث على الدور الحيوي الذي تؤديه الجامعات البحثية في دفع عجلة التنمية، واستكشاف سبل تعزيز التكامل بين القطاعات الثلاثة بما يحقق نهضة شاملة ومستدامة.

Abstract

In light of the growing challenges facing contemporary societies, there is a need for integrative models capable of addressing structural deficiencies and achieving sustainable development. Among these models is the spiral model, a dynamic framework that brings together three key sectors: the government sector, the private sector, and research universities. This model aims to create constructive interaction between these parties, contributing to the formulation of innovative solutions to societal problems and enhancing the state's ability to advance in various fields

Research universities play a pivotal role in this model, as their function is not limited to education and knowledge production, but extends to being an active partner in economic and social development, bridging the funding and knowledge gaps that the country suffers from. Through applied research and partnerships with the public and private sectors, universities contribute to

supporting public policies, achieving global competitiveness, and building a society based on innovation and knowledge.

This research focuses on the vital role that research universities play in driving development and exploring ways to enhance integration between the three sectors to achieve comprehensive and sustainable progress.

مقدمة

انطلاقًا من النموذج الحلزوني الذى يتكون من ثلاث قطاعات بارزة وهى (القطاع الحكومي والقطاع الخاص والجامعات البحثية)، والذى يسعى لمواجهة أي قصور في مجتمعاتنا، فالجامعات البحثية هي واحدة من ضمن هذه القطاعات الثلاثة؛ حيث يتمثل القطاع الحكومي في السلطات الثلاثة، الـ سلطة التـ شريعية والـ سلطة التنفيذية والـ سلطة القـ ضائية، والقطاع الثاني هو القطاع الخاص، يتمثل في رجال الأعمال والأفراد والمنظمات غير الحكومية، أما القطاع الثالث فهو الجامعات البحثية، لما لها من دور براق في مواجهة القـ ضايا والمـ شكلات والمعوقات التي توجد في المجتمع مثل التعليم والعملية التعليمية، كما أنها إحدى الطرق البديلة لسد الفجوة والعجز المالي للدولة في الإنفاق على المجالات المختلفة كالمجال العلمي والبحثي والمجال الاجتماعي والمجال الاقتصادي، مما تساعد على التقدم والتطور داخل المجتمع وخارجة لأحداث تنمية شاملة مما يترتب عليها السعي إلى التنافسية العالمية.

أدي البحث العلمي والتطوير دورًا فعالًا في عملية التنمية المستدامة في مختلف دول العالم، إذ يُعد العنـ صر الديناميكي والحا سم في تعزيز تنافـ سية الاقتـ صاد وبناء الاقتـ صاد القائم على المعرفة، الذي يـ شكل أحد آليات نـ شاط البحث والتطوير لما له من دور فعال في عملية التنمية، الذي يـ شكل أحد الآليات الرئيسية لتحقيق التنوع الاقتصادي بالمجتمع المحلي والدولي (مصطفي عبد العظيم،٢٠١٣، ص ١٠٠)

بناءً علي ما سبق أ صبح البحث العلمي لا غنى عنه في المجتمعات المتقدمة ولا يمكن إغفاله، مما له تأثيرًا كبيرًا وإيجابيًا في حياة المجتمعات من جميع النواحي، الناحية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية وغيرها، خاصة أن البحث العلمي يخدم الدولة ككل ولا يسعى للربح، وقد يظهر دوره صغيرا، ولكنه ذو درجة كبيرة من الأهمية لا يمكن تجاهله لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

وتؤكد التصنيفات أن البحث العلمي هو العنصر الأكثر أهمية في وظائف الجامعة البحثية وذلك لأن المعرفة هي العملة المـ شتركة، وهي و سيلة التبادل التي من خلالها تتعامل الجامعات مع بعـ ضها البعض مما جعلها تتدفق بحرية عبر الحدود، كما أن المعرفة وتفـ سيرها وتدوينها تعتبر من الوظائف التي تميزت بها الجامعة البحثية عن أي مؤ سـ سة تعليمية، فأ صبح البحث العلمي قـ ضية مركزية محورية في الجامعة الحديثة، وخا صة بعد ظهور نموذج الجامعة البحثية (سعيد الـ صديقي ،٢٠١٤، ص١٠).

مع تزايد المنافسة بين الأمم، أصبح السعي وراء التميز وإنشاء جامعات بحثية عالمية جزءاً من الأجندة الوطنية لأي دولة، ومن المعروف أن الجامعات البحثية العالمية هي مؤسسات أكاديمية ملتزمة بابتكار ونشر المعرفة فأي مجموعة من المجالات والتخصصات، وتخدم الاحتياجات الوطنية وتحقق مصالح دولية (هدى محمد عبد السلام ،٢٠٢٠، ص٢٩٥).

يرتكز البحث العلمي في مصر على عدة نقاط أهمها، وضع خطة استراتيجية لمؤسسات البحث العلمي في مصر، وتحديث السياسات البحثية وربطها بخطط التنمية، وبناء القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس، وإعداد خريطة بحثية وفق مسح منهجي، وتطوير التشريعات واللوائح المتعلقة بالبحث العلمي والتشبيك المؤسسي بين الجهات والمؤسسات والوحدات ذات العلاقة بالبحث العلمي، و ضم كافة مؤ سسات البحث العلمي تحت مظلة واحدة، مع تحقيق الترابط بينها وبين المؤ سسات المجتمعية لتعظيم الا ستفادة من البحوث، وتـ سويق نتائج البحث العلمي، و صياغة مؤ شرات أداء لقياس جودة البحث العلمي، وتعزيز الدور الا ست شاري للمراكز البحثية ومؤ سسات البحث العلمي (صلاح الدين عبد العزيز وأخرون ،٢٠٢١ ،ص١٧).

مشكلة البحث

تواجه الدول النامية الكثير من التحديات والتغيرات في عصرنا الحالي، لقد أصبحت الدولة بحاجة إلى سد الفجوة عن طريق جهات أو مؤ سسات تلبى احتياجات المجتمع، فنجد أن الجامعات البحثية من ضمن هذه المؤسسات التي تتضامن مع الدولة لحل القضايا والمشكلات في المجمع للنمو والتقدم، لذا أ صبحت الجامعات البحثية من ال ضروريات الأ سا سية لمواجهة تحديات التي يفر ضها التطور السريع التي يحدث من حولنا.

يوجد في م صر ضعف في الاهتمام بالبحث العلمي والإنتاج البحثي وقلة توفر البيئة الملائمة له مما قد يلزمنا التوجه نحو الاهتمام بالجامعات البحثية لقدرتها على توفير البيئة البحثية الملائمة، ويتضح مما يلي مشكلات تعوق الوصول للجامعات البحثية:

١. ضعف امكانيات وقدرات التعليم العالي المصري على الوفاء بمعايير التنافسية العالمية، للوصول بمؤسساته إلى مكانة مناسبة في تصنيفات نخبة الجامعات العالمية.
٢. افتقار الاستقلالية بمؤسسات التعليم العالي في كل جوانبه بما فيها من قضايا الحرية الأكاديمية.
٣. قلة ميزانية البحث العلمي والجامعات التي تعتمد على البحث.
٤. غياب تدويل أعضاء هيئة التدريس والطلاب.
٥. افتقار لتعزيز التنافسية المتعلقة بالتعليم العالي المصري، ومنها تحسين رتبة مصر على مؤشر تقرير البنك الدولي من خلال بناء فروع الجامعات الدولية بمصر.
٦. تجاهل التركيز على المواهب من جانب إدارة التعليم العالي المصرية، قلة الموارد، وغياب الحوكمة المناسبة بمؤسساته، في تحقيق التنافسية على المستوى الدولي (محمود فوزي، عماد نجم، ٢٠١٨، ص٣٢٨).

تعاني مؤ سسات البحث العلمي من ضعف الوعي صنع القرار الت شاركي والرقابة الذاتية، والمداخل الإصلاحية الشاملة في الإدارة، بما يفرض الحاجة إلى ضرورة توضيح الأطر والمعايير التي تحكم البحث العلمي، وهو الأمر الذي يتطلب وجود توجهات ورؤى واضحة حول عديد من ق ضايا البحث العلمي التي تعد ذات طابع ا ستراتيجي عند محاولة تطبيق الحوكمة في مجال البحث العلمي، ووضع التصورات والسياسات اللازمة لتحقيق الكفاءة والفعالية (صلاح الدين عبد العزيز وآخرون ،٢٠٢١، ص٢٣).

يرتكز البحث العلمي في مصر على عدة نقاط أهمها، وضع خطة استراتيجية لمؤسسات البحث العلمي في مصر، وتحديث السياسات البحثية وربطها بخطط التنمية، وبناء القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس، وإعداد خريطة بحثية وفق مسح منهجي، وتطوير التشريعات واللوائح المتعلقة بالبحث العلمي بالأخص الجامعات البحثية والتشبيك المؤسسي بين الجهات والمؤسسات والجامعات البحثية ذات العلاقة بالبحث العلمي، وضم كافة مؤسسات البحث العلمي تحت مظلة واحدة، مع تحقيق الترابط بينها وبين المؤسسات المجتمعية لتعظيم الاستفادة من البحوث، وتسويق نتائج البحث العلمي، و صياغة مؤشرات أداء لقياس جودة البحث العلمي، وتعزيز الدور الاستشاري للمراكز البحثية ومؤسسات البحث العلمي والجامعات البحثية التي تقوم على البحث العلمي (صلاح الدين عبد العزيز وأخرون، ٢٠٢١، ص١٧).

تواجه الجامعات البحثية تحولات جذرية فرضتها الظروف الاقتصادية العالمية فلم تعد تركز على الوظيفة التدريسية، بل ركزت على الوظيفة البحثية التي تقود عملية التطوير في المجتمع، ومن البديهي، أنه لا يمكن أن يتحقق النجاح المطلوب لتحول الجامعات المصرية لجامعات بحثية دون الاعتماد على رؤية واضحة ومحددة المعالم، الجامعات المصرية بحاجة ماسة لإصلاحات جذرية شاملة لكى تتمكن من إنتاج بحوث علمية مُرضية، تسهم في الإنتاج المعرفي العالمي والقدرة على الابتكار وتسويق براءات الاختراع، ربط مخرجات البحث العلمي بالقطاعات الإنتاجية وإتباع الأساليب البحثية المبتكرة لحل المشكلات والقضايا التنموية، فإن التحول للجامعات البحثية هو التحدي الرئيس، لاجتياز الفجوة المعلوماتية والتكنولوجية التي تفصل المجتمع المصري عن المجتمعات المتقدمة (ولاء محمود عبد الله ،٢٠٢٠، ص٨,٢).

تلعب الجامعات البحثية دور هام وفعال وبارز على كافة الأصعدة فنجدها في الدول المتقدمة هي المحرك الرئيسي للاقتصاد، تعمل الجامعات البحثية على الاستفادة من كل ما توصل إلية العالم لمواجهة المجتمع وحاجات الأفراد، كما يتضح أن البحث العلمي جزء لا يتجزأ من الجامعة البحثية في جميع بلدان العالم.

سعى هذا البحث إلى دراسة الجامعات البحثية في مصر لتلافى عيوب الجامعات التقليدية، والسعي نحو تحقيق التنافسية ومواكبة الجامعات المتقدمة، لتحقيق تقدم وتطور للمجتمع، ومن ثم كان من الأهمية إجراء هذا البحث للتعرف على دور الجامعات البحثية في مصر.

سعى البحث الحالي للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما الأطر النظرية للجامعات البحثية؟
٢. ما واقع الجامعة البحثية في مصر؟
٣. ما المقترحات الإجرائية لتطوير الجامعات البحثية في مصر؟

أهــداف البحث: سعى البحث الحالي لتحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على الأطر النظرية للجامعات البحثية.
٢. الكشف عن واقع الجامعات البحثية في مصر.
٣. وضع مقترحات إجرائية لتطوير الجامعات البحثية في مصر.

أهميـــة البحث: اتضحت أهمية هذا البحث فيما يلي:

١. يبرز أهم الأسس النظرية والمعايير الخاصة بالجامعات البحثية.
٢. يفتح المجال أمام دراسات أخرى في مجال يمكن أن يكون مؤشراً للتحول نحو الجامعات البحثية في مصر.
٣. يساهم في سد أوجه النقص في الأبحاث المتعلقة الجامعات البحثية.
٤. يركز على الاهتمام بالبحث العلمي الذي يعنى امتلاك الدول للمعرفة البحثية وربط البحوث بخطط التنمية لتحقيق الرخاء والازدهار.
٥. قد يفيد المسئولين عن صنع واتخاذ القرارات بالتعليم الجامعي وواضعي السياسات والإجراءات اللازمة للتركيز على الاهتمام بالجامعات البحثية.

حـــدود البحث:

ركز هذا البحث على الحدود التالية:

١- **الحد الموضوعي:** ويتمثل في دراسة بالجامعات البحثية في مصر لتكون على استعداد لمواجهة التغيرات العلمية والتكنولوجية غير المتوقعة على الصعيدين المحلي والعالمي، وكذلك الدور التي تقوم به الجامعة البحثية من رؤيتها ورسالتها وخصائصها والأسس التي تقوم عليها.

منهـــج البحـــث وإجراءاتـــه

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، أحد اشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف وتحليل ظاهرة أو مشكلة محددة عن طريق البحوث والدراسات السابقة لتحليل واقع الجامعات البحثية في مصر، ولتشخيص الواقع الخاص بالظاهرة قيد الدارسة وليكشف عن جوانبها وأبعادها المختلفة وتحديد العلاقات بين عناصرها، ووضع إجراءات مقترحة لتطوير الجامعات البحثية في مصر.

أما عن إجراءات البحث فتمثلت في:

١-عرض إطاراً نظريًّا يتمثل في الأسس الفكرية التي تقوم عليها الجامعات البحثية.
٢-بناء إجراءات مقترحة لتطوير الجامعات البحثية في مصر.

مصطلحـــات البحث

يرتكز البحث الحالي على المصطلحات التالية:

(١) **الجامعة البحثية (Research University):**

تعرف الجامعة البحثية بأنها القدرة على دفع الابتكار في المجالات المهمة كالتعليم وأبحاثه بشكل سريع تعزيز مؤسساتهم للمنافسة على أفضل الطلاب الدوليين ولأعضاء هيئة التدريس والموارد، وتشـــجيع العمل الخيري من خلال تعزيز أدوارهم الفردية والروابط فيما بينها وتوفير الحوافز للشراكة أقوى مع قطاع الأعمال والصناعة، تشجيع الأفكار والابتكارات التي من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من فرص العمل، وزيادة الدخل، والأمن القومي، والصحة، والازدهار الذي يتوقع The (National Research Council, 2012,P.2)

عرفت على أنها التدفق المســـتمر للبحث والابتكار وللحفاظ على قدرتها التنافســـية الدولية والحفاظ على الدور الأساسي في البنية التحتية التعليمية وتلبية حاجتها كما أنها مؤسسات لمنح الدكتوراه في البحوث المكثفة، التي تتلقى حصة التمويل من مخصصات الدولة والسلطات المحلية وتكون بمثابة عنصر حاسم في مشهد التعليم العالي بشكل عام The American Academy of .(Arts & Sciences,2015,p1).

كما تعرف على أنها نموذج الجامعات الذي يركز بالدرجة الأكبر على البحث العلمي، وهي جامعات تتسم بتوافر كوادر بشرية علمية عالية الكفاءة، ونتائج بحثية متميزة، وقدرات عالية الجودة للتدريس والتعلم، واستدامة مالية من خلال دعم حكومي أو أهلي، وطلاب يمثلون صفوة خريجي المرحلة الثانوية (من حيث المســـتوى العملي والمهارات العامة)، وحرية أكاديمية في اتخاذ لقرارات البحثية، وهيكل مســـتقل للحوكمة والتنظيم الإداري، مع توافر الإمكانات المادية للبحث العلمي (خالد صلاح حفني،٢٠٢٢، ص٥٨١).

وجاء التعريف الإجرائي للجامعات البحثية بأنها مؤسسات علمية تسعى إلى الابتكار والمعرفة والابداع وتعمل هذه الجامعات على توليد ونشـــر المعرفة العلمية للباحثين وتعد الطلاب إعداداً متميزاً للوصول للمعرفة للاستفادة منهم بسوق العمل لتنمية المجتمع المحلى والدولي وأيضاً لتحقيق الميزة التنافسية العالمية.

الدراســـات السابقـــة والتعليق عليها

تم التوصل إلى العديد من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، ويمكن الاستفادة منها في البحث الحالي، ويتم عرض الدراسات السابقة العربية وفقاً للترتيب الزمني من الأحدث إلى الأقدم، كما يتناول كل منها من حيث الهدف منها والمنهج المتبع، وأدوات الدراسة المستخدمة، وأبرز النتائج التي توصلت إليها:

دراسة ماجد محمد عمر، مُعَوِّقَات تطبيق الجامعات اليمنية لمُقَوِّمَات الجامعة البحثية (٢٠٢٥):

هدف البحث إلى التعرف على مُعَوِّقَات تطبيق الجامعات اليمنية لمُقَوِّمَات الجامعة البحثية، والتعرف على مُعَوقات تطبيق الجامعات اليمنية لمُقَوِّمَات الجامعة البحثية في مجال الموارد البشرية من وجهة نظر الخُبراء الأكاديميين العاملين في الجامعات اليمنية، والتعرف على مُعَوقات تطبيق الجامعات اليمنية لمُقَوِّمَات الجامعة البحثية في مجال البنية التحتية (مادية وتقنية)، من وجهة نظر الخبراء الأكاديميين العاملين في الجامعات اليمنية. ا ستخدم الباحث **المنهج** الو صفي المسحي التحليلي، و**تمثلت الأداة** اللازمة لجمع البيانات والمعلومات الا ستبيان **تو صل** البحث إلى مراجعة القوانين واللوائح الداخلية ذات العلاقة وتطويرها بما تتلاءم مع أطر الجامعة البحثية، تنمية خبرات ومهارات الموارد البشرية في الجامعات اليمنية بصورة مستمرة لمواكبة التطورات والمستجدات بما يتنا سب مع مُقَوِّمَات الجامعة البحثية، وبناء علاقات شراكة بحثية بين الجامعات اليمنية ومؤ سسات المجتمع (خا صة وحكومية)، إلى جانب رجال الأعمال لتوفير الدعم المالي اللازم لعملية التحول نحو الجامعة البحثية.

دراسة فاطمة صلاح الدين رفعت الجامعات البحثية: مدخل لتطوير منظومة البحث العلمي في ضوء رؤية مصر ٢٠٣٠ " دراسة مستقبلية " (٢٠٢٤):

يهدف البحث الحالي إلى تقديم مجموعة من ال سيناريوات المستقبلية كبدائل محتملة للإفادة من صيغة الجامعة البحثية في تطوير منظومة البحث العلمي في ضوء رؤية مصر ٢٠٣٠؛ وذلك من خلال توضح الإطار الفلسفي للجامعة البحثية، وتشخيص واقع منظومة البحث العلمي في الجامعات المصرية واستجلاء المعالم الرئيسية لرؤية مصر ٢٠٣٠. وكذلك التعرف على دواعي الأخذ بصيغة الجامعة البحثية، ا ستخدم الباحث المنهج الو صفي المنا سبة لطبيعة البحث، تو صل البحث إلى أن الجامعة البحثية توفر حركة بحثية عالية الجودة، وفر صًا للشراكة، وتحرص على المشاركة لحل المشكلات العالمية والمجتمعية والمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة بالمجتمع وتلبية احتياجات سوق العمل ومن ثم دعم الاقتصاد المعرفي.

دراسة خالد صلاح الجامعات البحثية كمدخل لتطوير البحث العلمي في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة: دراسة تحليلية (٢٠٢٢).

هدفت الدراسة إلى تقييم أوضاع البحث العلمي المصري، تحديد عوامل نجاح وفشل الجامعات البحثية، التعرف على نشأة الجامعات البحثية وطبيعتها استخدام البحث المنهج الوصفي، واستخدمت الدراسة الا ستبانة مع عينة عشوائية مكونة من (٨٦٠) عضو هيئة تدريس بجامعات القاهرة، والإسكندرية، وطنطا، وأسيوط، توصلت إلى ضرورة توفير المناخ الداعم للبحث العلمي، ونشر

قيمة وأفكاره في المجتمع، ووجود قيادة على وعي بأهمية البحث العلمي، وقوانين متطورة، وتنوع مصادر التمويل، وعقد الشراكات البحثية وتوفير البنية الأساسية المتقدمة.

دراسة را ضي محمد إبراهيم النجار وآخرون الجامعات البحثية مدخلا لتحسين الانتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر (٢٠٢١):

هدفت هذه الدراسة إلى استخدام نموذج للجامعات البحثية كمدخل لتحسين الإنتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر، استخدام المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهدافه من خلال تحليل الدراسات والأدبيات المرتبطة بموضوع الدراسة، وتوصلت الدراسة في النهاية إلي بعض الاليات التي تساعد في تحسين الإنتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر، توصلت إلى بعض الاليات التي تساعد في تحسين الإنتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر.

دراسة كارلوس لافال بعنوان " بيرو والتحدي الجديد في التعليم العالي: نحو جامعة بحثية " (٢٠١٧).

هدفت هذه الدراسة إلى تنظيم جودة التعليم العالي من خلال سلسلة من الشروط المحددة التي تحكمها هيئة، وهو اختصار لعنوان (الإشراف الوطني للتعليم العالي الجامعي)، وأنشئت حديثاً تُعرف باسم SUKNEDU تبرز السمات الجوهرية للجامعات البحثية، **استخدمت الدراسة** المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد الوصف، وتم اختيار عدد من هؤلاء الذين يجب أن يمتلكوا الخصائص التالية من أجل تشكيل جزء من الفريق الخبرة في إدارة المشاريع البحثية الوطنية والدولية، والخبرة في الأدوار الإدارية في الجامعات، الخبرة التعليمية المعتمدة، وقد أجريت البحوث ذات الصلة على المستوى الدولي، **توصلت** الدراسة إلي تأكيد وجود توافق بين الشروط المفروضة من قبل هيئة SUNEDU والخصائص الجوهرية للجامعات البحثية، أن الروابط مع المجتمع يتم أخذها بعين الاعتبار كما هو مذكور في وثيقة (SUNEDU) من وجهة نظر التقييم والدخول إلى سوق العمل والتمكن من النمو المستدام للجامعات البحثية لتلك البلاد(A Carlos Lavalle, Victor Luis, 2017).

دراسة جوستين وجنيفر بعنوان "المركز الأوروبي لعلوم الإنتاج: الجامعات والمعاهد البحثية في فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة" (٢٠١٧).

هدفت الدراسة إلى النمو في الإنتاج العلمي والإنتاجية خلال القرن العشرين بشكل ملحوظ من ثلاثة بلدان رئيسية في العلوم وهم فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة، ومن ذلك من خلال تطور الجامعات البحثية التي تعزز مكانة أوروبا الرئيسية في العلوم العالمية، اكتشف أنماطاً مستقرة وديناميكية من الإنتاجية في حقول STEM، **استخدمت الدراسة** المنهج الوصفي، **توصلت** الدراسة إلي التطور المؤسسي للجامعات البحثية والتكامل مع الشبكات العلمية العالمية، تطوير الاتصالات العلمية والتوجه نحو التكنولوجيا من خلال عالم من المجالات العلمية التي بنيت على المنافسة الوطنية المتزايدة والتعاون في مجال العلوم والتكنولوجيا التي تحفز النمو العالمي في مجالات البحث والابتكار والإبداع(Justin J. W. and Jennifer Dusdal,2017).

من خلال الدراسات السابقة يتضح وجود اهتمام كبير بالجامعات البحثية، ضرورة الاستعانة بالجامعات البحثية في المجتمع، وقد تناولت الدراسات السابقة محاور مختلفة للجامعات البحثية،

وقد تشابهت هذه الدراسة مع هذه الدراسات السابقة العربية والأجنبية في تناولها لأهمية الجامعات البحثية في مجتمعاتنا المحلية والدولية، إبراز الخصـــائص الجوهرية للجامعة البحثية والصـــلة والارتباط بالمجتمع لإخراج طالب يندمج في ســـوق العمل ويدفع عجلة الإنتاج والتقدم والتنمية، وتميزت الدرا سة الحالية بالتعرف علي أهم ملامح الجامعات البحثية في م صر، وأي ضا ألقت ال ضوء علي سد أوجه النقص في الأبحاث المتعلقة بالجامعات البحثية، كما ركزت على الاهتمام بالبحث العلمي الذى يعنى امتلاك الدول للمعرفة البحثية وربط الجامعات البحثية بخطط التنمية لتحقيق الرخاء والازدهار والتقدم والمنافسة العالمية، اختلفت هذه الدرا سة مع الدرا سات السابقة في أهمية التعرف على العلاقة بين الجامعات البحثية والجودة الشـــاملة للتعليم، وجودة الأداء التعليمي، وا ستراتيجيات التح سين المـ ستمر في التعليم الجامعي والتنافـ سية العالمية والتقدم علي المستوى المجتمع المحلى والعالمي وكيفية توفير التمويل اللازم وتنويع مصادره، والاهتمام بإعداد مناهج متطورة وإبداعية، ومنح الجامعات البحثية المزيد من الا ستقلال والمرونة والابتكار لتؤدي مهامها والتوسع في الشراكة بين الجامعات والمراكز البحثية والشركات مؤسسات المجتمع المدني لتوفير بيئة تعليمية داعمة للبحث والابتكار والإبداع للوصـــول إلى التنافســـية العالمية وجامعات النخبة.

خطوات البحث

تمت معالجة البحث في هذه المحاور:

المحور الأول: تحديد الإطار العام للبحث من مقدمة، مشكلة، أهمية، مصطلحات، خطوات البحث.

المحور الثاني: الأطر النظرية للجامعات البحثية.

و سوف نتناول في الجزء التالي من البحث الأ سس النظرية للجامعات البحثية من حيث رؤيتها، ور سالتها، وخ صائ صها وأهميتها وم صادر تمويلها ومقوماتها ومعوقاتها، والإطار القانوني للجامعات البحثية، وتمويل الجامعات البحثية، دواعي العمل بالجامعات البحثية في م صر؛ حيث تبين أن الجامعات البحثية هي مؤ سـ سات را سخة وثابتة لتوليد المعرفة التي تعود على البحث العلمي بالتطوير والابتكار، وتحث على الزيادة في القدرة البحثية ولإيجاد توازن بحثي علمي واقتصادي واجتماعي محلي وعالمي قوى ذي تنافسية عالمية متطورة.

المحور الثالث: واقع الجامعات البحثية المصـــرية، مبررات العمل بالجامعات البحثية في مصـــر وأهمها تبني الجامعات البحثية المنهج التكاملي في دعم المشروعات العلمية والبحثية.

المحور الرابع: المقترحات الإجرائية لتطوير الجامعات البحثية في مصر.

يتناول هذا المحور عرض لبعض الصـــعوبات التي تواجه الجامعات البحثية المصـــر، وضـــع مقترحات إجرائية لتطوير الجامعات البحثية في مصر.

تمهيد

شـــعرت الدول المتقدمة منذ زمن طويل بالحاجة الملحة لإنشـــاء الجامعات البحثية، وأن الدعم المستمر هو الركيزة الأساسية للاقتصاد؛ حيث اعتمدت الجامعة البحثية على الابتكار والإبداع في البحث العلمي، وتعتبر الجامعات البحثية مؤسسات راسخة وثابتة لتوليد المعرفة التي تعود على البحث العلمي بالتطوير والابتكار والمعرفة الجديدة، كما أنها تحث على الزيادة في القدرة البحثية وإيجاد توازن بحثي علمي محلي وعالمي قوى ذي تنافسية عالمية متطورة.

١- نشأة وتطور الجامعة البحثية

ظهرت الصـــورة الأولية للجامعة البحثية بعد الحرب الأهلية الأمريكية؛ حيث توجهت أنظار الزعماء الوطنيين لتوفير شـــراكات مبتكرة لكي تمكن الجامعات البحثية الأمريكية من تعزيز الأمن والازدهار أثناء المشاركة في الحرب الأهلية، وقد أصدر الكونجرس قانون "موريل" the Morrill Act " ١٨٦٢م لإقامة شراكة بين الحكومة الاتحادية والتعليم العالي والصناعة بهدف إنشاء جامعات بحثية قادرة على التوسع في الفرص التعليمية للطبقة العاملة، وإجراء البحوث التطبيقية لتمكين الزراعة والصناعة الأمريكية لتصبح قادة العالم، وظهر نتيجة لذلك ما يسمى (الثورة الخضراء)، في الزراعة التي غذت العالم، وأصبحت أمريكا المحرك الاقتصادي للقرن العشرين وتحولت الولايات المتحدة إلى أقوى دولة على وجه الأرض، وأيضًا عزز الكونجرس الشراكة بين الاستثمار والبحوث الأساسية والتعليم العالي لبناء أرقى الجامعات البحثية في العالم لكى تكون قادرة على توفير التدفق المســـتمر من التعليم الجيد والخريجين والابتكارات العلمية والتكنولوجية المركزية لاقتصاد قوي قائم على الثقافة النابضة بالحياة، والمشاريع الصحية الحيوية التي تسهم بشكل كبير في الازدهار الوطني والأمن والصحة العامة والتحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السريع والعميق مدفوعًا بالنمو الهائل في المعرفة والابتكار (National Academy of Science,2012,p63).

تأسيسًا على ما سبق نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت أول الدول تطبيقًا للجامعة البحثية بهدف تحفيز اقتصادها من خلال الاهتمام بإنشاء هذه النوعية من الجامعات؛ لكي تعالج التهديدات الموجودة في مجتمعها؛ لكي تَصنع لنفسها عالمًا من التنافس التكنولوجي وتكون قادرة على التنافسية العالمية، وتثبت أيضًا للعالم أنها قادرة على صنع اقتصاد قوى وكيان بحثي قائم على الابتكار.

يرجع إنشـــاء الجامعة البحثية إلى" فيلهلم فون هومبولت " Wilhelm von Humboldt " وهو أحد مؤسسي جامعة برلين الذي اهتم بالبحث العلمي، كانت الوظائف الأساسية لها من قبل ذلك تنحصـــر في التعليم وإعداد المهنيين في مجالات مثل القانون والطب وعلم اللاهوت، وقد اختلفت المؤشرات المعتمدة لقياس جودة الجامعات البحثية من مؤسسة إلى أخرى ويبقى القاسم

المشـــترك بين مختلف التصـــنيفات العالمية هو اعتمادها على التحليل الكمي للمخرجات العلمية للمؤسسات الأكاديمية (الصديقي سعيد، ٢٠١٤، ص٩).

يلاحظ أن الجامعات البحثية، لا بد وأن تقوم على تشابك جميع أطراف المجتمع من صناعة وزراعة وبحث علمي؛ لإحداث تميز في إنتاج المعرفة القوية لمواكبة التقدم العلمي المعرفي الهائل في العالم، وتعتمد الجامعات البحثية بالدول المتقدمة على ربط البحث العلمي بمتطلبات سوق العمل مع المساهمة الفعالة من قبل الحكومة للدعم المستمر لتحقيق ما تسمو إليه هذه الجامعات البحثية وضرورة التوسع من هذه النوعية من الجامعات.

يرى البعض أن نشأة الجامعة البحثية الحديثة كانت في ألمانيا، ووصلت إلى ذروة تطورها ونجاحها في الولايات المتحدة الأمريكية، تمحور هذا المفهوم حول ثلاث مبادئ أساسية " تكامل التدريس مع البحث العلمي، الحرية الأكاديمية، النظر إلى طبيعية البحث العلمي" Menand, et al :2017,2-3).

وقد بين النجار راضي (٢٠٢١، ٦٢٣)، أن مقدمات البدء للجامعات البحثية كانت في ألمانيا ثم انتقلت إلى دول آخري، فقد كان البحث قبل ذلك يجري تحت إشراف الأكاديميات في حين أن الجامعات البحث الألمانية كان لها الريادة في الكيمياء والفيزياء والعلوم، والزراعة، والاجتماعيات، وغيرها.

أصبحت الجامعة البحثية هي الأفضل على مستوى العالم؛ حيث أحرزت نجاحات لا نظير لها في البحوث العلمية والقدرة التنافسية، مما جعلها تتصدرة المراتب الأولى في التصنيفات العالمية، وساعدتها في ذلك التعاون المشترك بين الحكومات وأعضاء هيئة التدريس والطلاب بالجامعة البحثية.

١-مفهوم الجامعة البحثية

تعتبر الجامعة البحثية من أهم المؤســـسـات التعليمية المهمة لاعتمادها على الابتكار والإبداع وسعيها إلى التقدم العالمي، فهي الأساس في المجتمعات المعاصرة للوصول إلى التنمية المطلوبة، فقد أدركت المجتمعات المتقدمة الأهمية والجهود التي تقوم به الجامعة البحثية على الصـــعيدين المحلي والعالمي، من هنا سوف نقف على مفهوم الجامعة البحثية.

عرفت الجامعة البحثية بأنها: جامعة ذات رؤية استراتيجية واضحة تركز بشكل أكبر على الدراسات العليا بدلًا من الدرجات الأولي العلمية بهدف المنافسة على المستوى الدولي، فهي تعمل على تحســـين وتدعيم وتوفير تغذية راجعة فعالة من حيث التعلم والبحث ونقل التكنولوجيا وتحقيق أثر إيجابي في البيئة المحلية والإقليمية.(Lavalle, C., & de Nicolas, V. L, 2017. P.3)

وقد ألقي الضوء على الجامعة البحثية على أنها جامعة ذات مستوى عالمي من حيث طبيعتها فهي لا ترتكز على البحوث فقط، بل تركز على الموهبة وتوفر الموارد التي تشـــجع قيادتها على التنافس العالمي، وتوجيهها نحو القيمة الإنسانية وهدفها الأساس للتعليم والبحث العلمي (2015, Huang, F p.205).

وعلى ذلك فهناك اتفاق في جميع التعريفات على أن الجامعات البحثية مؤســـســـات تعتمد على المعرفة الشاملة التي تقوم على البحث والإبداع والابتكار، فهي مؤسسات ملتزمة بإنتاج ونشر المعرفة في مجموعة من التخصصات والمجالات، بجانب المختبرات المناسبة والمكتبات وغيرها من البنية التحتية؛ التي تسمح بالتعليم والبحث على أعلى مستوى، يمكن الوصول إليها على نطاق

واسع سواء كانت الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية (Michael M. Crow and William B,2015, P.4).

يتضح مما سبق أن الجامعة البحثية نقطة الانطلاق العلمي للمجتمع؛ لاعتمادها على الجانب المعرفي، وتحويل هذا الفكر المعرفي لخدمة وتقدم وتنمية المجتمع، فالجامعة البحثية جامعة ذات آليات مركزية قادرة على البحث والتعلم، وتعتمد على جودة مواردها المختلفة التي تضع لها -كيان أساسي من الاقتصاد العالمي للمعرفة وتحقيقها-مركزًا عالميًا بارزًا في الدول الصناعية.

وقد لخصت منظمة التعاون التنمية والاقتصادية خصائص الجامعات البحثية من خلال: -" تتجه الجامعة البحثية نحو توفير عدة (Sheriff, N. & Abdullah, N, 2017, P.39, 36). وظائف وفقًا لمنظمة التعاون التنمية والاقتصادية وهي توفير التعليم بعد الثانوي، وتطوير البحوث والمعرفة الجديدة، وأيضًا تزويد المجتمع بالمهارات اللازمة، وتنفيذ التدريبات المتخصصة للغاية، وتعزيز القدرة التنافسية للاقتصاد، والمساهمة في الحراك الاجتماعي، وتقديم الخدمات للمجتمع، وتكون أيضًا بمثابة نموذج للمساواة الاجتماعية، ولإعداد قادة الأجيال المقبلة.

- إن التعليم هو الدور الأول للجامعة، الدور الثاني العملية البحثية، أما الدور الثالث يشمل الرابط بين الجامعة والمجتمع الذي ينتج عنه الإمكانات العلمية والتكنولوجية.
- الجامعة البحثية متخصصة لإنشاء المعرفة وحفظها ونشرها،
- الجامعة البحثية مؤسسة للتعليم العالي والبحث فتمنح الشهادات الأكاديمية في مجموعة متنوعة من التخصصات، توفر الجامعة كُلًا من التعليم الجامعي والدراسات العليا، وتقدم الجامعة جهودًا كثيرة للطلاب مثل: الدورات، المحاضرات، الاختبارات، القواعد واللوائح.
- التعليم الجامعي البحثي يتم في بيئة أو جو ملائم، فالجامعة "مكان للتعليم الحر وتعليم المعرفة العالمية " ليس فقط تزويد الطلاب بالمهارات والكفاءات المهنية.

وجاء تعريفها على أنها "مؤسسة لإنتاج ونشر المعرفة وتعزيز الإبداع والابتكار، وتعزز الخبرة القيادية لدى الأفراد، والعمل في إطار مهني لتلبية الاحتياجات المحددة للمجموعات المهنية خارج الجامعة

٢- رؤية ورسالة الجامعة البحثية

للجامعة البحثية رؤية ورسالة معلنة تسعى لتحقيقها من خلال الإمكانيات المتاحة ويتضح ذلك فيما يلي:

أ- رؤية الجامعة البحثية

تؤكد رؤية الجامعة البحثية على تطوير الاقتصاد القائم على المعرفة من خلال البحث والتطوير وعن طريق جدول أعمال منظم ذات تطلعات قوية لتكون على قدم المساواة مع الجامعات العالمية الأخرى.(The University of Western Australia, 2014, p.3)

وتحدد رؤية الجامعة البحثية العامة في عمل نموذج تمويل مشترك بين القطاعين العام والخاص لجذب الاستثمارات، ولدى شجيع الدول على الوصول للتميز، ودعم التعليم العالي وتعزيز البحوث في المستقبل، وبذل الجهود المستمرة لتحسين وتطوير الخدمات المقدمة من الجامعات البحثية للطلاب والأفراد .(American Academy of Arts & Sciences, ,2016, p.17)

وتركز رؤية الجامعة البحثية على أن تكون ذات مكانة وتتمثل رؤية الجامعة البحثية في الاعتراف بها دولياً لتميزيها في التعليم والبحث كمورد رائد في الفكر والإبداع، واستخدامها لأفضل المعايير والممارسات الدولية؛ لخدمة المجتمعات التي توجد فيها (Sheriff, N. M., & Abdullah, N, 2017, P.39, 36).

وتركز رؤية الجامعة البحثية على أن تكون ذات مكانة مرموقة على مستوى العالم، ويقود خريجوها تنمية وتقدم الدول نحو التنافس العالمي؛ لأن المنافسة مدفوعة في المقام الأول بالبحث والنشر، كما تحفز جامعة أعضاء هيئة التدريس على تطبيق أبحاثهم على كل من القضايا العالمية المختلفة لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية العلمية والتكنولوجية Nazarbayev (University,2018, p.23).

تقوم رؤية الجامعة البحثية على أربعة أعمدة: التميز، الابتكار، المشاركة والتعاون، وذلك من خلال الحفاظ على تطوير وتميز قاعدتها البحثية، والدعم المستمر لأبحاث الابتكار الذي يعزز الإنتاجية وتوفير الرخاء الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية، والحفاظ على الشراكات مع الصناعة وتعزيزها بين القطاع العام ومؤسسات الصناعية، التعاون الذي يربط بين الخبرة في الجامعات والشركات الصغيرة والمتوسطة؛ لزيادة الإنتاجية وبناء الثقة وتحقيق النجاح (University of Wales, 2019, p.3).

ب- رسالة الجامعة البحثية

تسعي الجامعة البحثية إلى مساعدة الدولة لتصبح رائدة عالمياً؛ حيث تمثل عنصراً غاية في الأهمية لأية استراتيجية تعمل على تعزيز صنع القرار القائم على الأدلة الموثوق بها، وترتكز في أدائها على الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس (Fenwick, B, 2012, p27).

برزت رسالة الجامعة البحثية التي أُشير إليها في كتاب بعنوان (وسائل المعرفة)، على أن الجامعات البحثية تخدم دول العالم من خلال أولوية تحقيق التواصل والحفاظ على تطبيق المعرفة والفن والقيم الأكاديمية، وتطوير القادة والأفراد وإثراء المستقبل (Dan, E, 2012, p.8).

تركز الجامعة البحثية على برامج البحوث المكثفة والشاملة في كثير من المجالات الأكاديمية والمهنية، وتظهررسالتها في التعاون بين المؤسسات الأكاديمية والشركات الأخرى من أجل تعزيز التنمية المحلية والإقليمية، وتعزيز الشراكات المتعددة التخصصات لاكتساب الجامعة موقعاً خاصا (Goldstein, H., Radinger-Peer, V., & Sedlacek, S, 2016, p.5).

مما سبق تتضح رسالة الجامعة البحثية التي تعتمد على التميز في التعليم والبحث العلمي فهي تكرس جهودها للتقدم المعرفي، كما أصبحت مصدراً مهماً للابتكار والإبداع الذي يقوم على القوى البشرية التي تعزز الحرية الأكاديمية والمناخ الفكري المتميز لها، وتهدف الجامعة البحثية إلى رسم سياسة بحثية قائمة على الابتكار والإبداع والتميز والمنافسة والاستفادة من الآليات التي تعمل على التنمية والمعرفة، والتي يتسم كيانها بالنظام والدقة؛ لتصل إلى ما تسعى إليه من انخراط الباحث لمعرفة مشكلات مجتمعه وكيفية التغلب عليها.

٢- أهداف الجامعة البحثية وأهميتها:

للجامعة البحثية أهداف عدة تختلف باختلاف طبيعتها، فيما ينعكس على أهميتها في تحقيق أدوارها في تقدم مجتمعاتها علمياً واقتصاديا.

أ. أهداف الجامعة البحثية:

تتشـــابه أهداف الجامعة البحثية في شـــتى أنحاء العالم، وعادة تهدف الجامعة البحثية إنتاج المعرفة والتعاون مع الـ صناعات التي تدعم الابتكار والإ سهام في حل الم شكلات المتزايدة التعقيد الموجودة بالمجتمع، من خلال تبادل ونشـــر الخبرات الحديثة والمتطورة التي أثبتت ركائزها في الم ستوى العالمي وتوجد أهداف عديدة للجامعة البحثية منها أهداف علمية، أخرى اجتماعية، وثالثة اقتصادية، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

- **الأهداف الاقتصادية للجامعة البحثية:**

للجامعة البحثية أهداف اقتصـــادية تســـعى لتحقيقها كما يلي: (National Academy of Science,2012,p81-82).

١. تـ سهم الجامعة البحثية في تطوير الـ صناعة من خلال خلق بنية تحتية مبتكرة خا صة لتنمية الشركات من خلال شبكة لربط الأبحاث بالصناعة.
٢. تعمل على تحقيق درجة عالية من التكامل بين العلم والتعليم ومجتمع ســـوق العمل مما يُمكنها من توليد المعرفة بالنقل الفعال للتكنولوجيا إلى الاقتصاد.
٣. تعمل الجامعة البحثية على مبدأ تدويل البحث العلمي ومؤسسات التعليم المحلية والعالمية.
٤. تهدف الجامعة البحثية إلى المساهمة في النمو الاقتصادي.
٥. تهدف الجامعة البحثية إلى متابعة المعرفة في كل من المجالات الأ سا سية والتطبيقية والتعاون بشكل وثيق مع قطاع الأعمال والصناعة لتعزيز الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية.
٦. تعزز الجامعة البحثية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإدارية داخل المجتمع، وإثراء ثقافتها

ويُلاحظ أن الجامعة البحثية تـ سعى لمواكبة التوجه نحو اقتـ صاد المعرفة وفق مبدأ المناف سة التي تعتمد عليه في أولوياتها، عن طريق المعايير والمواصفات اللازمة لضمان تحقيقها للأهداف المنوطة بها، كما تشجع هذه الجامعات على الاهتمام بنشاط البحث العلمي والتطوير والابتكار والإبداع لإبراز نقاط القوة ومعالجة نقاط الـ ضعف الموجودة بالمجتمع؛ ومما يترتب عليه التميز في المجالات البحثية لتتولى الصدارة في الابتكار والمنافسة على المستوى العالمي.

- **الأهداف العلمية للجامعة البحثية**

تـ سعى الجامعة البحثية لتحقيق أهداف علمية منها ما يلي: (Mariia V., and others, 2016, p.1, p.71, p. 205).

١. تهدف الجامعة البحثية لســـد الثغرات والتركيز على التطوير المســـتمر نحو الجودة وتعزيز بناء البنية التحتية للتعليم والتعلم والبحث.
٢. تهدف الجامعة البحثية لتكون مؤسسة رائدة للبحث والدراسات العليا.
٣. تحســـين نوعية التعلم والبحث والخدمات والتركيز على مهارة التخطيط من الدرجة الأولى للاستفادة من الدعم والتغلب على العقبات المحتملة في المجتمع.
٤. بث روح التعاون بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب في الأنشطة البحثية والتطبيقية.
٥. تـ سعى الجامعة البحثية إلى الاعتراف الدولي بالأنـ شطة العلمية والتعليمية بكونها المؤ شر على تدفق طلاب الدراسات العليا والأساتذة.
٦. تـ سعى الجامعة البحثية لتوفير بيئة عمل ديناميكية داعمة لأعـ ضاء هيئة التدريس والموظفين والباحثين والتطوير بشكل فكري ومهني ليفضي إلى تبادل المعرفة والآراء والأفكار المبتكرة.

٧. تسهم الجامعة في تحقيق مركز متقدم بين أفضل ١٠٠ جامعة بحثية في التصنيف العالمي للجامعات، وتحقيق وضعها العالمي الشامل من خلال ما يلي:

- تسعي إلى التركيز على المعرفة الجديدة.
- تصبح مواكبة للتقدم العلمي والتكنولوجي السريع.
- أن يكون لديها ثبات في التمويل.
- تحسين القدرة التنافسية

واستناداً على ما سبق تسعى الجامعة البحثية إلى الاسهام في ربط البحث العلمي بالاحتياجات المختلفة لقطاعات الإنتاج والخدمات بالمجتمع، وذلك من خلال وجود حلقة وصل مع عدد من الشركات والمؤسسات والطلاب والمختبرات؛ لكي تتعاون لدراسة المشكلات التي تواجهها قطاعات الإنتاج المختلفة، وتعوق تطورها من خلال الابتكار والمعرفة الجديدة والإبداع والتنافس لتقديم الحلول التي يترتب عليها بالتالي تنمية وتقدم المجتمع.

وعلى ذلك تهتم الجامعات البحثية بما يلي: (النجار؛ وآخرون ،٢٠٢١، ٦٢٢-٦٢٤)

١. الالتزام بالتميز في البحث العلمي فى كافة المجالات.
٢. الاهتمام بالحصول على الجوائز العالمية في البحث العلمي عن طريق تقديم بحوث قادرة على المنافسة العالمية واهتمامها بالمشاركة في مشاريع بحثية عالمية.
٣. عمل جميع هيئاتها في البحث العلمي وليس مجرد وسيلة للحصول على المراكز الأكاديمية والترقيات.
٤. استقطاب أفضل الباحثين والاهتمام بالمبدعين وتشجيعهم.
٥. تحقيق التنافسية للجامعات والإسهام في تلبية متطلبات خطط التنمية من خلال تقديم حلول مبدعة لمشكلات المجتمع وتحويل نتائج البحوث إلى خدمات ومنتجات لتحقيق تلك الخطط.
٦. تطبيق تقنيات الاتصال والمعلومات وتحويل المعرفة الضمنية إلى معرفة صريحة والى براءات اختراع وتتبنى تنفيذها كما تعمل على تسويق الأبحاث العلمية.
٧. التركيز على الاستكشاف والابتكار والبحث كجزء من العملية التعليمية والاهتمام ببرامج الدراسات العليا ومن درجتي الماجستير والدكتوراه.

ب. أهمية الجامعة البحثية

جاءت أهمية الجامعة البحثية كمؤسسة لحفظ ونشر المعرفة، وكما أن لها أهمية في إنتاج المعارف المفيدة التي يمكن تطبيقها في مواقع مختلفة لتحقيق أعلى فوائد للمجتمع، وتتلخص أهميتها في عدة نقاط ومنها:

- تشجيع الباحثين والأكاديميين، وذلك من خلال اعتمادها على البحث والتطوير الذي يدفع إلى الابتكار والإبداع والمعرفة مما يترتب عليه النمو الاقتصادي، وخلق فرص العمل وتحسين مستويات المعيشة، فإن معدل العائد الاجتماعي من الاستثمار في البحوث الأكاديمية لا يقل عن ٤٠ %، فكان للجامعات البحثية دور أساس في الابتكار مما ترتب عليه تحول أنشطة الشركات إلى البحث والتطوير، كما أقيم تعاون بين الجامعة البحثية وقطاع الأعمال سعيا للنمو الاقتصادي والقدرة التنافسية (Atkinson,R.D. and others, 2011, p2).

- ويُلاحظ أن الجامعة البحثية لها أهمية كمنظمات قائمة على المعرفة والابتكار؛ لأنها تشجع الأكاديميين والباحثين، ولأن المعرفة والابتكار في الجامعة البحثية أمر حاسم وضروري؛ فيستلزم توفر الموارد القائمة علية بطريقة متجانسة كي تتميز عن أي جامعة أخرى.
- تكوين جيل جديد من خبراء اقتصاد المعرفة، انطلقت أهمية الجامعة البحثية من ارتكازها على الابتكار الذي يحفز النمو الاقتصادي، فكان ثلث انتاجية القطاع الخاص مثلًا في المملكة المتحدة بين عامي (٢٠٠٠-٢٠٠٧م) قائم على الابتكار؛ مما أثر علي زيادة الوظائف لأن الشركات تعتمد علية كميزة في تطوير منتجاتها وخدماتها؛ وترتب على ذلك تضاعفت الـ صادرات وعدد الوظائف وتوفير فرص عمل جديدة وزيادة الأجور الذي يؤدى إلى الزيادة الانتاجية؛ مما يترتب علية نمو النشاط الاقتصادي (Atkinson, R.D. and others,2011, p3).
- إن المعرفة والابتكار والإبداع هي مصدر قيم لبقاء الجامعة البحثية على قيد الحياة؛ لارتباطها بالاقتصاد القائم على المعرفة والابتكار والإبداع ومن أجل التصدي للتحديات الأساسية التي يفرضها التحول الاقتصادي العالمي.
- تكوين مهارات العمل المتعدد التخصصات، ويتضح ذلك فيما يلي:
  ١. اتساع نطاق العمل وتسهيل العمل المتعدد التخصصات.
  ٢. الحفاظ على وجهات نظر متعددة؛ حيث تبني احترام الآراء، تدعم المنافسة الحرة للأفكار.
  ٣. المناقشة والنقاش المدني المفتوحين هما السبيل الوحيد لإحراز التقدم والنهوض.
  ٤. تدعم انفتاح الجامعات مما يضيف حيوية للمجتمع ويسمح بتدويل الثقافات التي توجد فيها الجامعات البحثية.
  ٥. توفير بيئة آمنة لتعزيز الإبداع، فالجامعات البحثية توفر بيئة تسمح للأفكار والتكنولوجيات بالتقدم.
  ٦. اعتماد الجامعة البحثية على ثقافة البحث المنتشرة والتركيز على التعلم والمناقشة بدلًا من التدريس بالتلقين.
  ٧. توفير مصادر المعلومات، واستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة للوصول إلى المعلومات (The Group of Eight,2013, p.6).
- المساهمة في تقديم الأبحاث التقنية والتطبيقية، يتضح ذلك فيما يلي:
  ١. تدريب العلماء والمهندسين الصناعيين؛ مما يؤدى إلى التقدم في العلوم الأساسية بصورة مباشرة وسريعة إلى التطبيقات الصناعية المهمة.
  ٢. التدريب الجامعي لتنفيذ البحث والتطوير الصناعي.
  ٣. تقوية العلاقات بين الجامعات البحثية والمؤسسات الصناعية والتقنية (David. P, and Metcalfe. S, 2007, p.5).
- تدعيم المنافسة في الأفكار والأبحاث المتجددة

ا ستمدت الجامعة البحثية أهميتها من خلال كونها مؤ سـ سة ذات موارد غنية، كما أنها العامل الاستراتيجي للتحول الفعال لنظام التعليم في المجتمع وأصبحت أكثر المؤسسات تأثيراً في العالم، وقد أوضـــح رئيس جامعة هارفارد ديريك بوك (١٩٩٠م) أهمية الجامعات البحثية منذ الحر ب العالمية الثانية بالدول المتقدمة تعتمد بـشكل متزايد على ثلاثة عنا صر حا سمة تتضح فيما يلي: Perna, L. (W., and others, 2012, p.65)

١. الاكتشافات الجديدة.
٢. الموظفين المدربين تدريباً عالمياً.
٣. وخبراء المعرفة.

- التلمذة البحثية، يســـتند التدريب البحثي في الجامعات البحثية إلى نموذج التلمذة الصـــناعية؛ حيث يتعلم الطلبة من خلال العمل عن كثب مع الباحثين ذوي الخبرة؛ إذ يتعاون الطلبة مع أعضاء هيئة التدريس لتصميم مشاريعهم الخاصة، وتضمن هذه الطريقة مشاركة مع الطلبة في جميع جوانب المشروع، وتوفير شعور (الملكية)، وكذلك توفير فرص الاطلاع على الفكر العلمي عالي المـ ستوى، وتقدم للطلبة فرص وا سعة ومتعددة لا ستكـ شاف بارعتهم وإبداعهم، ولكن مع التحكم والـ سيطرة على اتجاه الأنـ شطة، بحيث لا تخرج عن النطاق المحدد للبحث (السبئي، ماجد،٢٠٢٥، ٥٧٤).

يلاحظ أن الجامعة البحثية هي المســـئولة في المقام الأول عن توريد اثنين من هذه المكونات الثلاثة وهي مـ صدر رئيس للثالث، والـ سبب الأكثر أهمية لهذا الدور القيادي المتنامي، لا ينبع من الدور القوي للجامعات البحثية من مكانتها الهائلة وقوتها فحسب، بل إنها تعمل في الواقع كمجموعة مرجعية تحدد وتشكل نظام البحث بأكمله، ولكن أيضاً من دورها في تثقيف المعلمين.

لقد تأ سـ ست الجامعات البحثية بنماذجها وأنواعها المختلفة لـ سد الحاجة من العلماء والباحثين في شتى المجالات ولتـ ستوعب كل المواهب والعقول المتميزة في مجالات البحث والابتكار والتطوير من خلال نظام جامعي وإداري يستوعب المتغيرات العالمية، وترتفع معه روح المنافسة العلمية بين كفاءات عالية التأهيل من أعضاء هيئة التدريس ومراكز البحوث (محمود،٢٠٢٢، ٥٨٥).

تأســـيســـا على ما ســـبق يُلاحظ أن أهمية الجامعة البحثية اعتمدت على البحث والتعليم والابتكار كأفـ ضل الأدوات لديها، فيلزم تهيئة الظروف المواتية لهذه الجامعات التي تـ ضم أعـ ضاء هيئة التدريس والطلاب وطلاب الدرا سات العليا ومهنيين، والـ سعي الدائم للتعاون الدولي لتوفير بيئة مواتية للقيام بالبحوث التنافـ سية التي يتم من خلالها إفادة المجتمع؛ ليتطور ويـ ضع قدميه على الصعيد الدولي.

٣- مرتكزات الجامعـــة البحثية وأنواعها

تتصل الجامعة البحثية بالمجتمع كمكون أساس للدراسات البحثية، فمن جهة توفر هذه الروابط دخلًا كبيراً يســـمح للمؤســـســـات بالعمل، ومن ناحية أخرى، تشـــجيع هذه الجامعات البحثية على الاحتياجات الاجتماعية لمسايرة التقدم والبحوث والابتكار، ومما لا شك فيه أن هذا العنصر هو من صميم أي مؤسسة تطمح إلى الاعتراف بها كجامعة بحثية؛ كما أنه بدون أفكار لا توجد مشروعات، وبدون مـ شروعات لا توجد روابط للمجتمع أو أبحاث لتحـ سين جودة التعليم الحالي، لذا ترتبط هذه

الجامعات البحثية بالمجتمع المدني المحلي والإقليمي والدولي من خلال الشـــركات والمؤســـسات والإدارات؛ لتوفير معرفة مفيدة للمجتمع، وتضـــع هذه الجامعات هدفًا مهمًا متمثلًا في تدريب الباحثين ومحاولة الحصـــول على الموارد المطلوبة التي تســـمح لهم بدعم الاســـتثمار في البحوث (Lavalle,C. &de Nicolas,V. L,2017, p.3).

ويرى رمضـــان أحمد (٢٠١٢، ص١٦٤) أنـــه يوجد مجموعة من المرتكزات التي تقوم عليها الجامعة البحثية ومنها ما يلي:

أ- **حرية البحث والباحث** في الجامعة البحثية متطلب ضروري لا ستجابة مجتمع المعرفة، حرية البحث تعني إزالة القيود في الطرح العلمي لقضايا البحث ومبرراته، حرية الباحث تعني الاختيارات البحثية للباحثين ونتائج أبحاثهم.

ب- **التنمية البشـــرية**: لا تغفل الجامعات المعاصـــرة رغم تركيزها على المشـــروعات البحثية عن الا ستثمار في المورد البـ شري المؤهل في مجالات المعرفة، والتي تهدف تحقيق التقدم الاجتماعي/ الاقتصادي.

ج- **الدراسات البينية:** إزالة الحواجز بين التخصصات، تداخل التخصصات كمدخل لدعم بيئة التعلم والبحث العلمي القائم على وحدة المعرفة.

د- **التدويل:** ويعني ثورة المعلومات والاتصالات التي تسمح بإمكانية وجود علاقة مباشرة متجاوزة مجتمعية الجامعات المعاصر إلى عالميتها.

ه- **المحا سبية:** م شاركة الجامعة البحثية في مواجهة القـ ضايا الثقافية والاجتماعية والاقتـ صادية كالموازنة بين البحث العلمي والمطالب المجتمعية من خصائصها ما يلي:

١. **المهنية:** تحتوي الجامعات على برامج مهنية منتقاة مثل: مشـــروعات بحثية واســـعة في المجالات المهنية ذات القيمة الاقتـ صادية والاجتماعية في مجالات الطب والـ صيدلة والهندسة الحيوية.

٢. **الحوارية:** أي القدرة على طرح الأســـئلة العلمية أكثر من تقديم الأجوبة الجاهزة؛ فيقوم المـ شروع البحثي على طرح سؤال أو مجموعة أ سئلة بحثية من خلال توظيف كل مهارات البحث المكتبية، وهو ما يتطلب بالضرورة الحوار والنقاش والرأي الآخر.

٣. **التعددية:** وتعني التنوع في الهياكل الإدارية مثل: مجالس إدارة دائمة التجدد تلقائيًا (تجديد ذاتي)، مجالس أمناء منتخبة أو معينة تُختار وفق معايير خاصة.

٤. **التكاملية:** توفير تعليم خلاق متكامل من خلال فرص متنوعة للتعلم والبحث وحرية الاختيار بين مجالات الدرا سة والتخ صـ صات المختلفة، وتنمية فرص التفاعل بين الطلاب بعـ ضهم البعض، وبين أعضاء هيئة التدريس والباحثين.

يتضح أن المرتكزات التي تسير عليها الجامعة البحثية واضحة لتضع نفسها في المجتمع المحلى والدولي على قدر عالٍ من القدرة التنافسية، وتوفير أفكار وفرص عمل ومشروعات عالية الجودة والكفاءة؛ حتى تكون هذه الجامعة البحثية ذات منفعة عامة وحيوية على جميع المستويات المحلية والعالمية. وطبقًا للتصنيف العالمي، كما يتضح من هذه المرتكزات وضع استراتيجية واضحة لبناء روابط قوية بينها وبين المجتمع المحلي، وكذلك مع الجامعات بالخارج؛ للوصول إلى التميز والتعاون البحثي الدولي، والتشارك البحثي والمسئولية المشتركة؛ لتحقيق النمو الاقتصادي العالمي، وتعد الجامعة البحثية نقطة اتصال مع مجتمع المعرفة؛ حيث تركز على الأبحاث الدولية والإقليمية والمواهب البحثية ومشاركة أعضاء هيئة التدريس في الأنشطة الدولية؛ لأن الجامعة البحثية جزء لا يتجزأ من العالم والمجتمع والتعليم. وتكون قادرة على التنافسية العالمية في البحث والتعليم.

- ويمكن تقسيم الجامعة البحثية إلى أنواع مختلفة تبعًا لمعيار التقسيم وتتلخص أنواعها كالتالي: (مركز الدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٠، ص٣١).

توجد جامعات بحثية تصنف وفق جهة التمويل:

١. جامعات بحثية خاصة ليست ربحية لها تنظيمات وقوانين واضحة المعالم، وتُسير شئونها مجالس دائمة تتجدد تلقائيا دون اضافة أعضاء من خارج الهيئة المؤسسية.

٢. جامعات بحثية عامة غير ربحية خاضعة للوائح القانونية والدستورية للدولة أو الولاية أو المقاطعة التابعة لها، وهي مؤسسات يتحكم فيها مجلس أمناء أو مجلس حكام، ينتخب أعضاءه أو يعينون أو يختارون وفق معايير تختلف من إقليم إلى آخر.

٣. جامعات بحثية تابعة للدولة أو الولاية أو المقاطعة، تخضع لمجلس أمناء أو لمجلس حكام يشرف على عدة مؤسسات للتعليم العالي في الإقليم ومؤسسات غير مهتمة بالبحوث.

٤. وتوجد أنواع للجامعة البحثية صنف أنواعها طبقا لأهدافها: (Philip. G, and Jamil. E,2017, p.17)

٥. جامعات بحثية موجهة مهنيًا نحو المجتمع يطلق عليها (جامعات الباب المفتوح).

٦. جامعات بحثية حكومية متعددة الأغراض.

٧. جامعات بحثية موجهة نحو البحث الانتقائي.

٤- مصادر تمويـــل الجامعة البحثية

كانت البحوث في الجامعة البحثية مكلفة دائماً بالمطالب الجديدة للمنافســـة الدولية التي ترفع من تكاليف البحث إلي مـ ستويات يـ صعب تحملها، فالحفاظ على برامج عالية الجودة في العديد من التخـ صـ صات أمر صعب، وعادة الدولة ليس لديها القدرة المالية لبناء جامعة بحثية تناف سية دوليا حتى في الدول الغنية، فالتمويل الحكومي حصة متناقصة من إجمالي الميزانية، فتضطر الجامعات لجمع الأموال من خلال اســـتراتيجيات مختلفة كالمانحون من القطاع الخاص، وزيادة الرســـوم الدرا سية، والمنح للبحوث والابتكار التقني، والأرباح من الـ شركات الكبرى والتعاقد مع الـ شركات، ففي الولايات المتحدة تتلقى هذه الجامعات أموالا لدعمها بحوالي٢٠٪ من عائدات الضـــرائب الحكومية للمســـاهمة في دعمها ومن٣٠ إلى٤٠٪ من المنح البحثية التنافســـية، وهناك حوالي ٣٠ جامعة أمريكية لديها ميزانيات بهذا الحجم، فإن حجم تدفقات تمويلها يحدد نجاحها بمخرجات البحوث والســـمعة العالمية، في حين أن المنافســـة والدعم الخارجي هما أفضـــل بديل للتحرر من السيطرة المركزية من مصدر تمويل واحد . (Mohrman, K. and others,2008, p.11)

أصبحت الجامعة البحثية وسيلة سريعة لنقل المجتمع نحو اقتصاد قائم على المعرفة مما يترتب عليه تحقيق المزيد من التقدم والرخاء، ويرجع ذلك بـ شكل أ سا سي إلى القدرة التناف سية فيما بينها وتوفير وتأمين التمويل الخارجي لتمويل مـ شروعاتها البحثية لأن التمويل هو أ ساس في تطبيق ما تصبو إليه الجامعة البحثية على أرض الواقع.

ويلاحظ أن متطلبات تمويل الجامعة البحثية وتشـــغيلها تفوق بكثير تلك المتعلقة بالجامعات التدريسية، إلا أن كثيراً من الدول لا تدرك مقدار التعقيد والحاجة الماسة إلى الموارد لبناء جامعات بحثية وإدامة عملها؛ فميزانية جامعة هارفارد–وهي من الجامعات البحثية الرائدة –ثلث ميزانية المغرب (حفيظ أبوطالب، ٢٠١٣، ص٥٨).

ويعتبر التمويل في الجامعة البحثية أحد الأركان الرئي سة والـ ضرورية لنجاح أدائها وعملها التي تســـعى لتحقيقه في المجتمع التي تتواجد فيه، بالتالي فقلة تأمين مواردها واحتياجاتها المالية يؤثر بالسلب على أدائها وقدرتها التنافسية، ولم يعد هناك شك أن مـصادر التمويل ضرورة مهمة لأداء مهمة الجامعات البحثية لما له من أثر مباشر في إنتاج مخرجات بحثية عالية الجودة.

وفي عام ٢٠١١ تطورت الأبحاث وأصـــبح التمويل الحكومي أهم مصـــدر للجامعة البحثية لتعزيز ابتكاراتهم وتطويرهم البحثي، فأصبحت المنافسة بين المنح الحكومية والمنح غير الحكومية عاملًا مهماً لتحـ سين جودة البحث الذي تقوم به الجامعات البحثية، فقد أدى عدم ا ستقرار الميزانية الخاصـــة بالجامعات البحثية إلى ضـــرورة إيجاد بدائل أخرى لزيادة التمويل مثل زيادة الرســـوم الدراسية للطلاب، وأيضًا البحث عن مصادر خارجية أخرى للدخل كالهبات والمنح والعقود، وذلك نظراً لعدم كفاية التمويل الداخلي التي تحتاج إليه الجامعات في توفير الدعم المالي من مصـــادر خارجية أخرى مثل الـ صندوق الحكومي والتمويل الخاص من الـ صناعة والمنظمات غير الربحية، فالعديد من الجامعات أوروبا والولايات المتحدة تعتمد عن آليات التمويل القائمة على الســـوق أو الموجهة نحو الأداء مما يساعد على تعزيز المنافسة وتحسين أداء الجامعة وجودة البحث والتطوير، فقد قدمت الحكومة الماليزية دعماً مالياً للجامعات البحثية في ٢٠١٣ خصصت ميزانية تقدر بحوالي ٦٠٠ مليون رينجيت ماليزي للجامعات البحثية، وتدار هذه الأموال من قبل وزارة التعليم العالي،

وبالمثل خصصت الحكومة الأمريكية حوالي ٤٠ مليار دولار لجامعاتها البحثية (Amran, F. and others, 2014, p.127).

تفيد مؤشرات اليونسكو أن الجامعة البحثية ترتكز أساساً على تعظيم إنتاجها من الأبحاث العلمية الأساسية والتطبيقية على حد سواء، وأن الجامعة البحثية تحصد نسبة عالية من حجم التمويل العالمي، وتعتمد في نشاطها على كوادر علمية ذات كفاءة عالية وإنتاج بحثي متميز، نظراً لرسالتها الأكاديمية المتميزة عن المؤسسات التعليمية الأخرى، وتتطلب الجامعة البحثية دعماً مالياً مستداماً، وظروف عمل مناسبة أكثر من الجامعات التقليدية لارتفاع نصيب الطالب من جملة الإنفاق، فمن المؤكد توافر التمويل المناسب والمستدام لهذه الجامعات؛ حيث يعد من أهم العناصر المؤثرة في نجاحها، كما يتعين على الجامعة البحثية تنويع مصادر تمويلها عن طريق تسويق إنتاجها الفكري والبحثي وتقديم الاستشارات والدراسات التحليلية للمجتمع المدني والقطاعات الإنتاجية، فضلًا عن زيادة مواردها من استخدام معاملها البحثية (معتز خورشيد، ٢٠١٦، ص١).

لذا اتخذت العديد من الدول سياسات للتمويل وإجراءات لتقديم تمويل يدعم الشراكات بين الكتل الثلاثة الجامعات، ومؤسسات البحث، ومؤسسات الإنتاج والخدمات، فكثير من الأحيان لا يكفي الدعم المالي إلا عندما تكون هناك مشاركة فعلية بين الكتل الثلاثة في مشروعات البحث أو التطوير، من هذه الاجراءات ما يلي:

أ. إنشاء صناديق لدعم البحث والتطوير سواء في القطاع العام أو الخاص أو المشترك، وتوجد مثل هذه الصناديق في الدول العربية، ولكن الشرط الإضافي هنا لتحقيق الشراكات بين الكتل الثلاثة هو عدم تقديم الدعم إلا إذا كان هناك شراكة بين اثنين على الأقل من الكتل الثلاثة في البحث المدعوم.

ب. إحداث صناديق لتقديم القروض الميسرة بهدف القيام بالدراسات والبحوث بشكل مشترك بين الكتل الثلاثة.

ج. عمل برامج حكومية خاصة لتقديم الهبات لدعم البحث والتطوير في اختصاص محدد تريد الدولة الدخول فيه وتنمية اقتصادها من خلاله.

د. التأكيد على ضرورة تخصيص نسبة محددة من ميزانية المؤسسات الخاصة والحكومية لأغراض البحث والتطوير والتدريب والتأهيل المستمر.

ه. العمل على تحقيق الاستفادة المثلى من عقود المشاريع التنموية الكبرى في دعم أنشطة مكونات المنظومة المختلفة (الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون، ٢٠١٧، ص٢٧).

ويقف التمويل عقبة أمام طموح الدول في تحقيق آمالها البحثية؛ وبما أن البحث العلمي هو الوظيفة الثانية للجامعة فإنه لا يمكن للجامعة البحثية تحقيق أهدافها دون حل مشكلة تمويلها أولًا، ويأتي الوقف بشكل عام ليمثل مصدراً لردم الهوة المالية الكبيرة التي تحول دون تحقيق الجامعة البحثية لأهدافها (سماح علي محمد الكميم، ٢٠٢٢، ص٦٧٣).

وهكذا تتضح أن مصادر التمويل أمراً ضرورياً للجامعة البحثية لتغطية نفقاتها والتزاماتها ومكانتها وكفاءتها في الأداء مما يترتب عليه الجودة في نتائجها البحثية وتحسين نوعية التعليم والبحث العلمي، فيلزم إيجاد مصادر متعددة للجامعة البحثية حتى لا تعرقل أهدافها في تحقيق مخرجات بحثية عالية التأثير من خلال الاعتماد المالي لهذه الجامعات البحثية.

وتصنيف مصادر التمويل إلى ثلاث فئات هي:

●**الأموال الحكومية:** اعتمدت الجامعة البحثية على الأموال الحكومية للتكيف مع التحديات المتغيرة؛ حيث ساهمت بعض الحكومات بأكثر من ٦٠ % من إجمالي الأموال التي تطلبها ولأنشطتها التشغيلية، وقد تبين أن النسبة العالية من الأموال الحكومية تستخدم لتمويل البحوث والابتكارات، وبما أن أكثر من ٦٠ % من إجمالي الأموال المخصصة للبحوث والابتكارات جاءت من الحكومة، فقد يشير ذلك إلى أن الحكومات ترغب في استمرار أنشطة البحث والابتكار في جامعات البحث، ويمكن تسويق مخرجات البحوث والابتكارات في الوقت نفسه، لتصبح الجامعات البحثية أكثر قدرة على المنافسة في سوق التعليم العالمي.

●**رسوم الطلاب:** هي الرسوم الدراسية والرسوم الأخرى ذات الصلة التي تم تحميلها على الطلاب، ونسبة صغيرة من الدخل التشغيلي، وهناك رسوم إضافية للطلاب عن طريق الدورات والندوات والأنشطة التي يشارك الطالب فيها والتي تعقدها الجامعات، زادت الرسوم الدراسية للجامعة البحثية؛ بسبب زيادة معدلات التضخم التي ترتب عليها زيادة في الرسوم الدراسية بالجامعات الخاصة، وهذا يرجع إلى قلة الاعتمادات الحكومية، وزيادة المصروفات الخاصة بالطالب الواحد بنسبة ٥٠ %، فالاحتياطي الفيدرالي يشير إلى أن متوسط دخل الأسرة قد انخفض من ٤٩,٦٠٠ إلي٤٥,٨٠٠ وذلك لتغطية نفقات التعليم والرسوم المطلوبة والإقامة.

●**الأموال من مصادر أخرى:** ويمكن أن تكون الأموال من مصادر أخرى في شكل أموال من منظمات خاصة (تبرعات)، وصناديق من منظمات لا تستهدف الربح، وهبات تتلقاها من شركات أجنبية، وكذلك الأموال الداخلية التي تتولاها المنظمة أو الشركات الصناعية Amran, F. and others,2014 ,p.130).

ولقد بحثت الجامعة البحثية عن طرق إضافية لتعويض قلة الاعتمادات الحكومية، فقامت بقبول الطلاب الأثرياء والمغتربين وزيادة مصروفاتهم لتعويض النقص في ميزانية الجامعة البحثية مما تتيح للجامعة البحثية فرصة لا ستيعاب عدد أكبر من الطلاب المحليين، والسعي لزيادة الإعانات المقدمة من المؤسسات والشركات الخاصة، فظلت الحكومة هي المصدر الرئيس لتمويل البحث والتطوير الأكاديمي منذ أكثر من نصف قرن حتى تكون قادرة على المنافسة في البحث والتطوير، فسعت الجامعة البحثية إلى احتواء زيادة تكاليف الأنشطة إلى معدل التضخم واعتمدت على الأساليب التعليمية الحديثة لتحسين الكفاءة (Dan E. Arvizu and others, 2012,, p.13).

وبذلك يعد توازن التمويل للجامعة البحثية أمراً مهماً لسهولة الابتكار والإبداع في مجال العلم والتكنولوجيا، كما يساعد هذا التوازن على زيادة القدرة التنافسية التي تؤدى إلى كفاءة الإنتاج العلمي والإبداعي والابتكاري.

وتفوقت الهند على كل من كوريا الجنوبية وألمانيا والصين في استثمارات البحث والتطوير في الجامعات البحثية، وعلى الجانب الآخر شهدت الصين تراجعاً اقتصادياً للناتج المحلي بنسبة ٧%-٦,٨%، على الرغم من ذلك فإنها تحافظ على تقدمها في البحث والتطوير، وتستمر مقارنة بالدول الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت الخطة الخماسية الثالثة عشرة ٢٠١٦-٢٠٢٠ في تحقيق أهداف النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي بنسبة ٧%، ومن المتوقع أن تتجاوز الصين الولايات المتحدة فى إجمالى الإنفاق السنوي للبحث والتطوير بحلول عام ٢٠٢٦ (The Industrial Research Institute (IRI), 2016, p.4) .

ثانيـــا: المهام العلمية للجامعات البحثية

تهتم الجامعة البحثية في المقام الأول إلى إقامة مجتمعات بحثية قادرة على خلق ونقل المعرفة مما يحقق التقدم والتنمية الاجتماعية في جميع الجوانب، والتحول بالتعليم الجامعي من تعليم قائم على الحفظ إلى تعليم قادر على توليد المعرفة، والتوجه نحو الابتكار لكي يكون قادر على التحدى، وذلك عن طريق تحديث المناهج وتنقيحها بالقدرة التنافســـية والابتكارية Palo nikau, A. and others, 2015, p.685).

ويلخص البعض المهام العلمية للجامعات البحثية في الآتي:

١. التركيز على البحوث التطبيقية التي تنتج منتجات قابلة للتسويق للشركات الراعية.
٢. الجمع بين البحوث الأساسية والتطبيقية بطرق لا يمكن للمؤسسات الأخرى أن توفرها.
٣. الجمع بين الدراسة الأكاديمية للاكتشاف والتفسير العلمي، وتوطيد الصلة بين التدريس والبحث.
٤. إقامة شراكة مع الشركات التي تقيم مرافق بحثية بالقرب من أو داخل الجامعات للاستفادة من الخبرات الأكاديمية لتلبية احتياجات طلابها وتقدم البرامج المتنوعة للوصول إلى التميز.
٥. الاهتمام بالتخصصات العلمية الجديدة والبحوث داخل الجامعات البحثية للاستفادة منها.
٦. تعمل على إحداث تغييرات هيكلية في السلم التعليمي.
٧. تهتم بتحديد وتشجيع التغييرات اللازمة في السياسات الفيدرالية للتعليم والبحث.

وتعد الجامعة البحثية في المقام الأول المســـئولة عن البحث والتطوير التي من خلالها تتم عملية ا ستحداث المنتجات والعمليات و التكنولوجيات الجديدة و التي يمكن ا ستخدامها وتـ سويقها لـ صالح البشرية في المستقبل(Altbach,P. , Perna,L. and others, 2013, p.18, p.77) ؛ **ليصل هذا المجتمع إلى ما يسمى بالتنافسية العالمية التي تخترق الحدود والآفاق، وذلك من خلال:**

١. اعتبار الجامعات البحثية مؤسسات لإنتاج المعرفة واهتمامها بالاقتصاد القائم على المعرفة والمجتمع.
٢. تحديث البرامج التعليمية الأساسية وفقًا لمعايير الدولة الاتحادية من الجيل الثالث والأولوية للعمل البحثي للطلاب.
٣. تحفيز وتعزيز النشاط العلمي والبحثي للطلاب وإعداد المشاريع الإبداعية على موضوعات البحوث للطلاب.
٤. الانضمام إلى المبادرة العالمية لتوفير البرامج التعليمية اللازمة للتدريب.
٥. تطوير الدراسات العليا بأنواعها كفرصة للتنمية المهنية في صناعة التكنولوجيا الفائقة.
٦. تحســـين القدرة التنافســـية للبرامج التعليمية وتطوير التنقل الأكاديمي وتطوير الحراك الأكاديمي.
٧. إنشاء نظام مراقبة لاحتياجات سوق العمل تأهيلًا عاليًا وبكفاءة.
٨. التلمذة الـ صناعية التي تعني إر سال الطلاب لل شركات الـ صناعية ذات الـ صلة بمو ضوع أبحاثهم.
٩. اجتذاب الطلاب إلى دمج التطورات العلمية ليس فقط للتطوير، بل؛ لتحديث المجالات العلمية والتعليمية والتطور في الصناعة.

١٠. إنشـــاء (مناطق الابتكار)، تعنى إنشـــاء مجتمعات في الجامعات من أجل إدراج نتائج النشاط الفكري عمليا.
١١. اكتشـــاف ودعم الشـــباب الموهوبين داخل الجامعات وتحفيزهم عن طريق نظام المنح الجامعية والمنح الدراسية الشخصي Kartashova, A., and others, 2013, p.8, p. (Waning's 624 – 625).

ويلاحظ أن الجامعة البحثية تركز على إنتاج وتطبيق المعرفة، وتعمل على تحســـين مبادراتها التعليمية التي تهدف إلى تحفيز العمل العلمي للطلاب وإدراج الإنجازات العلمية في الصناعة، فهي هدف لتحقيق إنجازات بحثية عالية الجودة وإعداد نخبة من الطلاب وأعضـــاء هيئة التدريس على مستوى متقدم عالميا، وتطبق الجامعة البحثية مجموعة واسعة من الإجراءات لتحسين عملياتها وزيادة القدرة التنافسية للتعليم العالي على الساحة الدولية، التي تُسهم في الارتقاء بالتعليم، لما له من تأثير اقتصـــادي حقيقي على المجتمع، مما يجعلها تؤدي أدوارا مهمة في التنمية الاجتماعية، وبناء اقتصـــاد قائم على التنافســـية والابتكار والتقدم العلمي والتكنولوجي والثقافة والازدهار؛ لكى تتقدم الدول، وتعرض الدراسة بالتفصيل المهام الأساسية للجامعة البحثية وأهمها:

١- البحث العلمي Scientific Research

للبحث العلمي بالجامعة البحثية التأثير الإيجابي والمحسوس على اقتصاد المجتمع ككل، مما يعود عليه بالفائدة المســـتقبلية التي تتطلع إلى التنافس والتواجد على الصـــعيد الدولي، وقد تمثلت مهام الجامعات البحثية في أنها ترتبط باقتصاد المعرفة على المستوى العالمي؛ حيث ترتكز على تعظيم إنتاجها من الأبحاث العلمية الأساسية والتطبيقية، وتفيد مؤشرات اليونسكو أن الجامعات البحثية تحصـــد نســـبة كبيرة من التمويل العالمي، وتعتمد في نشـــاطها على كوادر علمية ذات كفاءة عالية وإنتاج بحثي متميز، كما تتميز بمجموعة من المدخلات الممثلة في الحوكمة الرشيدة وجذب المواهب وتركيزها والتمويل الوفير، وعلى مجموعة من المخرجات المتمثلة في جودة البحث العلمي وجودة الخريجين، واســـتقطاب لأفضـــل الباحثين والخبراء من مختلف دول العالم، وتوفير ميزات علمية ومادية مغرية لهم يصـــعب مقارنتها أو تجاهلها لنقل التقنية وتوطينها (عبد الرحمن بن ســـليمان، ٢٠١٨، ص١٠٢).

وتوضح منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الأساس المنطقي والرؤية التي تتبناها العديد من الحكومات بشأن كيفية بناء القدرات في مجال العلوم والبحث والابتكار، هذه الفكرة تستند على البنية الأساسية للبحوث التي لا يمكن توفرها إلا عن طريق الدولة بحيث تقوم على استثمار ما يعرف بـــ (مثلث المعرفة)، المكون من النشاط البحثي، والتعليم/ التدريب المتخصص، والابتكار الذي يطور المعرفة، وعلى الرغم من ذلك تتنوع نظم المعرفة العلمية والإنتاجية بشكل كبير عبر الدول، الذي يرجع إلى الطابع المؤســـســـي على المدى الطويل؛ حيث يعني تتابع الأجيال التي تعددت وتنوعت معاييرها لبناء بيئات ناجحة مواتية للاكتشـــاف العلمي (Powell, J., & Dusdal, J., 2017, p.61).

وقد أدت التصنيفات العالمية للجامعات التي تعددت وتنوعت معاييرها إلى احتدام حدة المنافسة بين الدول في إنشاء تلك الجامعات البحثية خاصة، ويرجع ذلك إلى أن البحث العلمي يمثل القيمة الحقيقية لأداء الجامعات وأن مكانتها تكمن في إنتاجها البحثي، كما أنه ينتج المعرفة الجديدة ويؤدى إلى الابتكار والإبداع؛ ذلك لأن التركيز البحثي يرجع بالدرجة الأولى إلى الميزانيات والنفقات

العالية المتاحة لجامعات القمة، مما أدى إلى وجود تمركز للبحث في بعض دول دون الأخرى (محمد أحمد،٢٠١٦، ص١٥٣).

وتظهر الجامعة البحثية كمراكز للإنتاج العلمي، فهي تكمل البحوث الجامعية بين القطاعين الخاص والحكومي بعدة طرق، تم تطوير البحوث الحكومية لأغراض عسكرية في حين أخذت الجامعات البحثية أدواراً مركزية أكثر فأكثر في المجتمع، وركزت بـ شكل أكبر على إنتاج المعرفة ذات المدى الطويل؛ مما أدى إلى ظهور حقول جديدة متعددة التخصصات، مثل: البيولوجيا الجزئية والتكنولوجيا الحيوية، كما أن نقل المعارف بين الأجيال يضمن التجديد المستمر والابتكار، فقدم العلماء من مختلف الحقول نماذج تنافسية في إنتاج العلوم فائقة البحوث يترتب عليها التعاون بين القطاعات بـ شكل متزايد؛ يؤدى إلى الانخراط الأكاديمي، والتنقل الوظيفي، بالإ ضافة إلى أ شكال تنظيمية هجينة تربط الجامعات البحثية والصناعة معا؛ لتسهيل أشكالا مختلفة من التوا صل العلمي والإنتاج (Powell, J. J., and others, 2017, P.9).

ويمكن أن نلخص أن البحث العلمي بالجامعة البحثية أ صبح له مكانه على الف ضاء التعليمي العالمي المتطور، والذي يبرز على نطاق واسع من خلال التعاون بين مختلف القطاعات؛ للو صول إلى الفائدة طويلة المدى على المجتمع ويتم ذلك عن طريق إبرام اتفاقات مع وحدات أكاديمية لتوفير الأموال للبحوث مقابل الحصول على منتجات المعرفة، وإنشاء مكان مجتمعاً فعالاً للمعرفة والاكتشاف والابتكار يضم كل من الباحثين وأعضاء هيئة التدريس، وتقدم الجامعات البحثية البرامج المتنوعة للوصول إلى التميز، واستثمار الموارد المالية والبشرية والتنظيمية للوصول إلى منتج جامعي يفيد المجتمع.

٢- تدويل البحث العلمي Internationalization of Scientific Research

يعد تدويل البحث العلمي مو ضوعاً بارزاً في الجامعات خا صة البحثية منها، فهو عملية دمج منظور دولي في نظام جامعي، وهو رؤية م ستمرة وم ستقبلية متعددة الأبعاد والتخ صصات الذي يحركها العديد من أ صحاب الم صلحة، الذين يعملون على تغيير الديناميات الداخلية لمؤ س سة ما؛ للا ستجابة والتكيف بـ شكل منا سب مع بيئة خارجية متنامية ومتنوعة ومتغيرة با ستمرار، وكان الاعتقاد بأن الجامعات البحثية أساس طبيعتها دولية؛ وتدعم لوجهة النظر هذه مجموعة من الجامعات البريطانية فكان من الطبيعي أن يكون طلابها دوليين؛ وموظفيها دوليين؛ وبحوثها دولية، فكان لجامعة **ويذ شد ستر** بالفعل م شاركة دولية كبيرة جداً، وكان لها عدة برامج لتبادل الطلاب مع الجامعات البحثية في الخارج، سعت استراتيجية التدويل إلى توسيع نطاق هذه المشاركة، في إطار الهدف المتزايد؛ لتعزيز الطابع الدولي للجامعة وسمعتها Neale, R. H. and others, 2018, (p.1).

ومن ثم أ صبح التدويل عن صراً أ سا سًا في أن شطة الجامعة البحثية، كما أنه يعمل على إيجاد ترابط عالمي في الاقتصاد والسياسة والثقافة والبحث من خلال الثورة التكنولوجية في جميع المجالات التي تمكنها من البقاء في المحافظة على قدر كبير من التنافسية.

وتتضح جهود التدويل في الجامعة البحثية **فيما يلي:**

أ. استخدم التدويل كأحد الطرق المهمة لبناء الجامعات البحثية العالمية ذات المستوى العالمي، فهو لا يهتم فقط بتشجيع أعضاء هيئة التدريس المحليين على نشر أبحاثهم في المزيد من المجلات الدولية، ولا سيما المجلات الخا صة بالمر كز الدولي للعلوم مجلة" SCI " **Science Citation Index** والتكنولوجيا والعلوم الاجتماعية "SSCI" **Social Science Citation Index** ، بل

أيضًا جذب العلماء المشهورين عالميًا، وتشجيع البحوث المشتركة بالتعاون مع الجامعات والمختبرات والأساتذة الدوليين؛ لذا اجتذبت بعض الدول العديد من العلماء والخبراء المعروفين دوليًا، وكذلك تم تدريب الآلاف من الطلاب على المنظور الدولي والمعرفة المتقدمة، فضلًا عن القدرات العالية المطلوبة على وجه السرعة من خلال جهود الدول؛ لبناء الجامعات البحثية من الطراز العالمي، وإدخال أفكار تعليمية ومناهج ووسائل تعليمية جديدة,(2015, p.209 .(Huang, F,

ب. الالتزام بالاستراتيجيات الرئيسة التي تستخدمها الجامعة البحثية النشطة عندما يتم وضعها في السياق الأوسع للبحوث النوعية والكمية الأخرى، وأيضًا الالتزام المفصل بالتعليم الدولي في بيانات البعثات والخطط الاستراتيجية والتحسين المستمر لتعليمها الدولي، بالإضافة إلى البنية التحتية التنظيمية الراسخة؛ لدعم التدويل كنموذج لمعظم الجامعات البحثية، وجود فرق عمل بالجامعة تكرس جهودها للنهوض دوليًا، علاوة على وجود مكتب يشرف على برامج التعليم الدولية داخل الحرم الجامعي (Wanbing. Sh, 2013, P.9).

ج. الانفتاح على التعليم العالمي، وتعزيز التواصل الثقافي والتعاون الدولي، وفقًا لمتطلبات العولمة الاقتصادية، وتنمية المواهب لزيادة القدرة التنافسية الدولية في مجال البحث العلمي، وتعد الجامعات البحثية القوة الرئيسة لتعظيم قيمة التعليم العالي على المستوى الدولي، وتحسين مستويات تصنيف الجامعة البحثية، ويتم ذلك من خلال تطوير الاستراتيجية الدولية بطرق متعددة عن طريق بعدين. **الأول:** البعد العملي، وهو متطلبات الالتزام به في جوانب التدريس: كالانضباط التدريسي من أعضاء هيئة التدريس، وزيادة القدرة التنافسية للجامعات وأعضاء هيئة التدريس، وتطوير الإمكانيات المادية كآلية يتم تنفذها لإنشاء الحرم الجامعي برؤية دولية، وتطبيق البحث العلمي، تنمية وتطوير المواهب، وتدويل فريق عمل الإدارة، **والثاني:** البعد المنطقي للممارسات العملية، ويتضمن تنمية المهارات والكفاءات والتواصل الثقافي والاجتماعي مع مراعاة أبعاد التنمية المستدامة (Kang.H, and others,2019, P.450).

ومن حيث التدويل والقدرة البحثية.

د. عززت الدول المزيد من الشراكة بين الجامعات الرائدة على المستويات التنافسية، وكشف التدويل بالجامعة البحثية عن أنه موجه لتعزيز القدرة البحثية؛ حيث إن القدرة البحثية تمثل جوهر المنتج التي تصنف به الجامعات عالميًا، ويُلاحظ أن وضع الجامعة البحثية في أعلى رتب الجامعات الدولية في أوروبا يستند بقوة على البحوث التي تصدر من الجامعات البحثية، فالجامعة البحثية في ذهن الجميع نموذج للجامعات العالمية؛ وذلك للقدرة البحثية العالية وجودة المخرجات، وأيضًا الجودة في المنافسة العالمية بالتعليم العالي، فالقدرات البحثية تتم عن طريق عمليات انتقائية لتدويل الطلاب في هذه الجامعات، وتدويل أعضاء هيئة التدريس لتعزيز التطور الإيجابي، كما تساند الدولة بشكل مركزي هذه الجامعات في تدويلها وقدرتها على التنافسية العالمية بحجة أن التمويل العام والدعم أمر بالغ الأهمية، إذا كانت الدول تريد أن يكون لها تنافس على المستوى العالمي، ويرى مثالًا في التدويل الجامعة البحثية في زيوريخ بسويسرا اعتبرت الحاجة إلى تدويل الجامعة من أولوياتها، اعتبرت الجامعة البحثية الأوروبية قادرة على المنافسة بالسوق العالمية في جذب أعضاء هيئة التدريس، والقدرات الأكاديمية المتميزة أمر بالغ الأهمية للحفاظ على كفاءة البحث في المستوى العالم كما هو الحال في أي جامعة بحثية ينصب تركيزها على الاستثمار الاستراتيجي للموارد البشرية والجهود البحثية كوسيلة للحفاظ على مكانتها؛ ولتحسين قدرتها البحثية الحالية،

والانتقائية بالنسبة للبيانات التي تحملها هذه الجامعات في جميع أنحاء العالم ,2009, (Horta. H Pp.389,393) .

وبذلك فالتدويل داخل الجامعة البحثية يخلق إمكانيات جديدة ومتميزة لكافة أطرافها لما تتميز به من المرونة والقدرة على التكيف، والسعي إلى الاطلاع الدائم على الخبرات المختلفة من جميع أنحاء العالم، وتبنيها للمبادئ السليمة في التفكير العلمي والابتكار، مما يكسب الطلاب المهارات الضرورية للتقدم والإبداع والتنافس على مستوى عالمي؛ لأنه وسيلة لتحسين جودة التعليم والبحث.

ويتمثل التدويل في إرسال الطلاب والباحثين في الخارج للتعاون الدولي، وتبادل المعلومات في الأكاديميات أو الجامعات؛ لجذب الشركات متعددة الجنسيات؛ ولإنشاء فروع قائمة على البحث والتطوير، فإن هذا التطوير يحول التعلم التقليدي إلى ابتكار يُحدث التغيير في البحوث، والإبداع والابتكار؛ حيث يفتح قنوات اتصال وتعاون بين الدول المختلفة الجنسيات وقد أخذت العديد من الجامعات البحثية فرصة من قبل نيويورك؛ لإشراكهم في موجة التدويل، وكان السبب هو أن الجامعات البحثية تظهر ملامح الجامعات الحديثة، فدرجة تدويل الجامعات البحثية مؤشر مهم جدا يميز الجامعات الحديثة عن الجامعات التقليدية، فالجامعات الغربية مثل: جامعة باريس في فرنسا من سماتها التدويل، منذ العصور الوسطى كان العالم الغربي مرتبطًا بلغة مشتركة بالكتابة هي اللاتينية، فجامعة أكسفورد كانت تتألف من أعضاء هيئة التدريس والطلاب من جميع أنحاء العالم؛ لاستكشاف أنواع المعرفة المختلفة، فلم تستطع بعض الجامعات البحثية أن تتجنب طريق التنمية الدولية، ومع ذلك لا يزال هناك صعوبات مثل: عقبة اللغة التي تحد من الجيل القديم إلى التدويل والافتقار لعلماء من الدرجة العالمية، والدعم المالي الضعيف للكليات المحلية للتواصل مع الخارج، وتخطو الجامعات البحثية خطوات كبيرة في تحديد مسارات فعالة وتدابير محددة لتدويل الإدارة، تدريب الإداريين والطلاب وأعضاء هيئة التدريس على الانخراط في نتائج البحوث على مستوى متقدم (Green, M.F,2005, Pp.20, 21).

للتدويل الأثر الأكبر لأعضاء هيئة التدريس والطلاب الدوليين في التحرك بحرية في جميع أنحاء العالم، والمساهمة في العولمة، وأيضًا يتيح لهم فرصة عبور الحدود لجلب أفضل المواهب من جميع أنحاء العالم؛ لتلبية حاجة السوق، وتحقيق قدر أكبر من المرونة للاستجابة إلى ظروف السوق المتغيرة بسرعة، وهكذا يتضح أن التدويل عنصر مهم وضروري متعدد الفوائد، وذلك من خلال التوأمة وزيادة كثافة البحث العلمي التعاوني بين مختلف الجنسيات، وتنوع أدوار هيئة التدريس في جميع أنحاء العالم، والانفتاح البحثي بين الطلاب وهيئة التدريس، وتوطيد العلاقات الدولية؛ لتبادل القدرات البحثية التي تنعش الاقتصاد العالمي الذي يتميز بالتنافسية، كما تعتبر الجامعات البحثية عنصر أساسي لعولمة العلم وتثقيف جيل جديد من الباحثين والأكاديميين والإداريين؛ للانفتاح على العالم الخارجي، وإلغاء الحدود الدولية للتواصل والتعاون بين مختلف الأصعدة؛ لتوفير الكفاءات والثقافات المختلفة وتحديث البنية التحتية للجامعات البحثية؛ لخدمة الدول في جميع أنحاء العالم.

٣- التوأمة العلمية Scientific Twinning

تعتبر التوأمة العلمية شراكة عالمية بين الجامعات البحثية الرائدة في التعليم، وتعني الاحتكاك بأفضل الأنظمة العالمية في التعليم والثقافة والفكر؛ حيث يؤدي عصر التوأمة العلمية إلى النمو

والتنوع والتنافس والتعاون الهائل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من مختلف الثقافات في الجامعات البحثية بمختلف الدول. فالجامعة البحثية تقيم علاقة موحدة ومنظمة بشكل تنظيمي في دول مختلفة، كما أقامت عمليات للتعاون البحثي الدولي بشكل واسع ومنتشر تحت مسمى مشروع الجامعة البحثية الدولية International University Research Ventures(IURVs)؛ حيث يهتم هذا المشروع بتوأمة القيادة والدعم الإداري والتمويل والأهداف البحثية، وتبادل الباحثين وأعضاء هيئة التدريس والتقييم، ويتم ذلك بين جامعات بحثية بأمريكا والصين وسنغافورة، وتتيح هذه الشراكة الجامعية الدولية المتنوعة تنسيق التواصل مع الباحثين، تشارك الجامعة بشكل منهجي في أبحاث الدولة المضيفة إلى جانب الأبحاث الموجودة في الدولة الأصلية للجامعة؛ لتحقيق منافع علمية وتكنولوجية، وأيضاً إنتاج أبحاث ذات جودة عالية، وتتم الشراكة في التعاون البحثي الدولي من خلال آليات محددة مثل: تبادل الأبحاث وورش العمل والشبكات التعاونية والأساليب العلمية والمبادرات الدولية، وأيضاً تعاون الباحثين في الموضوعات البحثية المشتركة على نطاق دولي؛ لتعزيز القدرة البحثية التي تقوم على التوأمة العلمية وتعزيز التعلم (Youtie, J. and others, 2017, p.1692).

وتتضح فوائد التوأمة العلمية بالجامعة البحثية الدولية في إقامة شراكة طويلة المدى، وتكون بشكل منظم ودائم بين الجامعات البحثية في العديد من المناطق؛ حيث تختلف التوأمة العلمية المحددة الاتفاقيات بين الأطراف المعنية كتبادل الإداريين وتقديم برامج متطور.

ومن فوائد التوأمة العلمية بالجامعات البحثية الدولية دعم التعليم والتعلم:

١. وضع آليات تقوم على التوازن بين الثقة والسيطرة.

٢. تعزيز الدعم المالي من خلال السلطة المتخصصة.

٣. تحسين الأهداف والاستراتيجيات الخاصة بالجامعة وتقديم حوافز متعددة النقاط من خلال التوأمة العلمية بين التعلم والتعليم.

٤. تعدد التوأمة العلمية على أساس الأماكن التي يتم على أساسها التوأمة.

٥. إتاحة الفرص للتوأمة العلمية على كافة المستويات بالجامعات والالتزام بالمعايير الثقافية والأكاديمية.

٦. إتاحة الفرصة للأكاديميين لإظهار كفاءتهم الدولية من خلال الأبحاث المشتركة بين الثقافات.

٧. التغيير الداخلي في نطاق التعاون المشترك.

٨. توسيع نطاق التفاعل والانتقال والمشاركة بين الأبحاث على المستوى الجامعي (Baird, J. and other, 2015, p.6).

كما تهتم التوأمة العلمية بأنشطة التدريب المختلفة التي تحدد خطوات استراتيجية محددة للوصول للهدف، وتمكن الشركاء من التعاون الإيجابي الذي يؤثر على تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول، كما تؤثر على الإنتاج البحثي من خلال عولمة الاقتصاد وشبكات التعلم، واستخدامها النهج القائم على الابتكار الذي تقوم علية التنمية المستدامة.

ويقود التميز التوأمة العلمية فتتطلع الجامعة البحثية إلى أن تكون ذات كفاءة وفاعلية، فتشمل تبادل الإداريين والتنسيق بين زيارات الخبراء والمتدربين والتدريب الافتراضي وحضور المؤتمرات وتنظيم الأنشطة الصيفية المشتركة وأنشطة النشر، ونتيجة لممارسة التوأمة العلمية يزداد التميز البحثي للجامعات البحثية وذلك من خلال: تحسين القدرة على التنافس بين البحوث الوطنية والدولية، وزيادة التأثير المتوقع كماً وكيفاً في إنتاج الجامعات البحثية، استناداً إلى المؤشرات المستقبلية من خلال اتفاقيات التعاون مع الشركاء في المشاريع الدولية، وكذلك حماية الملكية الفكرية، وزيادة المنتجات المبتكرة الجديدة، وتحقيق الربط الشبكي بين الجامعات البحثية؛ للارتقاء بمكانتها، والقدرة على الابتكار في البحث والتطوير، وزيادة القدرة التنافسية للدول في المستقبل(Kraav, K., 2015, Pp.2,.5) .

وبالإضافة إلى ذلك يضيف الطلاب الأجانب ثقافة التنوع الثقافي التي توفر فرصة الوعي الثقافي والخبرات المتنوعة؛ مما تُثري تجربة الحرم الجامعي لجميع الطلاب؛ حيث تتضح فائدة وجود الطلاب الدوليين في الجامعة البحثية بأهمية توفير أعضاء هيئة تدريس ذي خبرة لتلبية احتياجات الأكاديمية للطلاب الدوليين، في حين أن هناك مجموعة كافية من الأبحاث في مجال الجامعات البحثية تتعلق بإعداد الطلاب الدوليين؛ لتعرف خصائص الطلاب الدوليين الناجحين والاحتفاظ باستمرارهم(Kim, K. Y. and others, 2015, p.526) .

ومن هنا يتضح أن التوأمة العلمية تستهدف تعزيز البحث والتطوير في جامعات متعددة التخصصات في مجال العلوم والتكنولوجيا وإنتاج المعرفة والتقنيات الجديدة؛ حيث تعزز التوأمة التعاون والشراكة بين الجامعات البحثية الدولية الرائدة، وتعزز القدرة على تطوير المشروعات

عن طريق البحوث الدولية، كما أنها تسهم بشكل ملحوظ في بناء مستقبل الجامعات البحثية التي تنعكس إيجابياً على المجتمع بالتطور والتقدم، فهي من الأساليب الجديدة للتعليم والتعلم، ومتابعة التكنولوجيا المتطورة بدون قيود على أعضاء هيئة التدريس أو الطلاب في مجال البحث، وأيضاً تعمل على تحسين القدرات التي تزيد من برنامج الأنشطة الشاملة، ذات التفوق العلمي والقدرات البحثية في مجال البحث والتطوير في الصناعات، التي تحقق التقدم العلمي المتميز، كما تقوم التوأمة العلمية بعلاقات تعاونية تؤدى إلى التزام الباحثين بتحقيق الأهداف المقترحة من التعاون البحثي بصورة فعالة، فهي العنصر الرئيس في دعم فريق عمل بحثي جماعي مؤهّل تأهيلًا عالياً لخدمة المجتمع الدولي.

٤- تسويق الأبحاث العلمية Research Marketing

تسويق الأبحاث هو استثمار الجامعة لإنتاجها البحثي لخدمة المجتمع، وتعزيز علاقتها بمؤسسات المجتمع المستفيدة من هذه الأبحاث، وهذا يتطلب اتباع أساليب وآليات حديثة ومتطورة في التسويق الفعال للمشروعات التطبيقية لتلائم احتياجات ومتطلبات مؤسسات المجتمع المستفيدة منها، فالتسويق ليس حكراً على المؤسسات الصناعية والتجارية فقط، بل أصبح مهما لمؤسسات التعليم العالي (خالد حسن الحريري، ٢٠١٧، ص ١٤٨).

تدعم الجامعة البحثية الحرية الأكاديمية والابتكار التكنولوجي في بعض الدول وإتاحة الفرصة للجيل الجديد، وتقوم الجامعات البحثية بتثقيف حوالي ٢٠ % من جميع الطلاب علي الصعيد الوطني؛ فتمنح الجامعات البحثية درجة الماجستير والدكتوراه في البحوث، فيتخرج منها الباحثين ورواد الأعمال والقادة المدنيين؛ فينتجون إنجازات بحثية أساسية تدفع للابتكار والنمو الاقتصادي، وأسفرت الأبحاث في الجامعة البحثية عن براءات اختراع، شركات بدء التشغيل، ورخصة للملكية الفكرية، وتقدم الجامعات البحثية تعليماً جامعيًا عالي الجودة، تعمل كممرات للوظائف الأعلى، وتساعد على الحراك الاجتماعي والاقتصادي التصاعدي؛ لأعداد كبيرة من الشباب الموهوبين والطموحين، وعلى سبيل المثال أنشأت الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم مشروع (لينكولن)، الذى يقوم على التميز في التعليم العالي ودراسة أهمية الجامعة البحثية، وتحليل الاتجاهات الاقتصادية التي تؤثر علي تشغيلها، والتوصية باستراتيجيات جديده لهذه المؤسسات الحيوية وتعزيزها؛ لكى تستفيد الدولة من كل انتاج بحثي تقوم الجامعة بإخراجه، ويتم تسويقه على المستوى الإقليمي والعالمي (The American Academy of Arts & Sciences, 2016, p.2).

يعتبر تسويق الأبحاث جزءاً مهماً من عملية صياغة الاستراتيجيات أو صنع القرار داخل الجامعة البحثية وذلك من خلال توفير البيانات أو المعلومات، فيحتاج صانعوا السياسات إلى ضمان بيئة مستقرة من أجل إقامة شراكات استراتيجية طويلة المدى، ويلزم وجود حوافز للقائمين على الأبحاث، والقيام بتنمية مهاراتهم، وتشجعيهم على العمل التعاوني فيما بينهم وبين الشركات الصناعية والاقتصادية.

يتضح هذا الدور فيما يلي:

١. تكرس الجامعة البحثية جهودها لتسويق الأبحاث أكثر مما كانت عليه في الأعوام السابقة، لقد اعتنت العديد من الجامعات والمهنيين وشركات تسويق خارجية بهذا الأمر، واستثمرت الكثير من الوقت والمال؛ لإنشاء علامات تجارية مؤسسية قوية، وفي السنوات الأخيرة تحولت العلامات التجارية والتسويق والتوظيف في التعليم العالي إلى استراتيجيات رقمية.

٢. أدت سيادة اقتصاد المعرفة إلى زيادة الحاجة إلى شراكات استراتيجية تتجاوز التمويل التجاري لمشاريع البحوث، فاحتلت تسويق الأبحاث العالمية الرائدة موقع الصدارة في هذه الشراكات، فهي مصممة للتشغيل على المدى الطويل، والاستثمار الأكثر والتطلع إلى الأمام وصقل التنافس بين الشركات والمؤسسات والهيئات، ومن ثم تحول دور الجامعات البحثية في القرن الحادي والعشرين إلى مركزاً حيوياً للكفاءة والمساعدة في مواجهة التحديات ودفع النمو الاقتصادي، مما تطلب – من كل جانب – البعد عن التبادل التقليدي للتمويل البحوث، فَتدمج الشركات الاستراتيجية بين ثقافة الجامعة القائمة على الاكتشافات وبيئة الشركات المبتكرة للتغلب على الفجوة الثقافية التي تميل إلى إضعاف الشراكات في جميع أنواع الصناعة وتقليل إمكاناتهم، فعملت الشركات والهيئات في وقت واحد جنباً إلى جنب إلى رفع إمكاناتها ودفع المعرفة (Belfield, H. and other , 2012, p.3).

٣. منذ ٢٠٠٨ اعتُبِر التسويق البحثي للابتكار التكنولوجي في ماليزيا واحداً من أكثر المجالات أهمية؛ لتحقيق التقدم والنمو والدخل المرتفع، كما أنشئت الوكالة الوطنية للابتكار في ٢٠١٠ من أجل تحسين وضع الدولة ذات الدخل المنخفض من خلال (اقتصاد الابتكار)، فقدمت الجامعات البحثية ومعاهد البحوث والحكومة بعض الدعم؛ لتحسين أنشطة التسويق البحثي؛ حيث اعتبر صانعوا السياسات– الجامعات البحثية– محرك للنمو الاقتصادي من خلال أدوات التسويق وتطوير المنتج، بحلول ٢٠٢٠ تري بعض الدول مثل: ماليزيا ضرورة غرس ثقافة

الابتكار والإبداع بين الدول، وقدمت الحكومة الماليزية مخصصات ومنحاً وإعانات وحوافز؛ لتكثيف أنشطة البحث والابتكار والتسويق؛ حيث يُنظر إلى الجامعة البحثية علي أنها الرائدة والمحفزة للتسويق التجاري، وأنها الجسر بين التعلم والتكنولوجيا والطريق؛ لتنظيم المشاريع من خلال تسويق منتجات الباحثين(جمال على الدهشان، ٢٠١٠، ص٥-٨).

٤. تعد الجامعة البحثية مسئولة عن إجراء الكثير من البحوث الأساسية في الدول بمجالات العلوم والطب والهندسة والتكنولوجيا، فأقامت الشركات الأوروبية شراكات مع الجامعات البحثية لسد الفجوة، وإبراز الاكتشافات التي أدلي بها الباحثون بالجامعات البحثية لديها بشكل ملحوظ، وتطوير المعرفة المشتركة؛ لتحسين صحة الأفراد وحياتهم، فتم مَنح العلماء في الجامعات البحثية الحكومية ٥٣ جائزة نوبل في الفيزياء والكيمياء والفيزيولوجيا والطب، وخمسة عشرة جائزة نوبل في العلوم الاقتصادية، فكل جامعة بحثية قد أحرزت اختراعات أدت إلى تحسين الصحة، وتحسين نوعية الحياة، واختراعات صناعية جديدة متقدمة، فتم إنشاء أجهزة أمان منقذة للحياة في جامعة مينيسوتا "Minnesota "، تم اختراع نظام تحرير الجينات (كريسبر)، من قبل باحث في جامعة كاليفورنيا، تلقت جامعة (بيركلي)، جائزه تسمى باختراق في العلوم.

٥. اهتمت الجامعة البحثية بالبحوث المرتبطة بحياة الإنسان مثل: تطوير بطارية ليثيوم أيون للهواتف الذكية والأجهزة اللوحية، من قبل أعضاء هيئة التدريس في جامعة تكساس في أوستن، تم تطوير شاشات تعمل باللمس في جامعة كنتاكي، وتم تطوير نظام الضمان الاجتماعي في مجال العلوم الاجتماعية التي تعمل في جامعة ويسكونسن (The American Academy of Arts & Sciences, 2016. p.3).

٦. ومن كل ما سبق نجد الجامعة البحثية هي مراكز اكتشاف تقود التنمية الاقتصادية التي تخدم مجتمعاتها وتحقق النمو المستدام، وتربط التعليم بسوق العمل لتحقيق التنافس والتقدم.

٥- تدعيم الصناعة بالبحوث التطبيقية Industry support for applied research:

توجد علاقة وطيدة بين البحث العلمي وقطاع الصناعة، وهذه العلاقة تحقق فوائد متبادلة يمكن أن تنعكس إيجابياً على تطور البحث العلمي الجامعي وتطور الصناعة، وتتمثل تلك الفوائد فيما يلي:

- فوائد تعود على البحث العلمي بالجامعات البحثية وموضوعاته.
- فوائد تعود على قطاع الصناعة.

- **الفوائد التي تعود على البحث العلمي بالجامعات البحثية وموضوعاته:**

- يقدم قطاع الصناعة موضوعات جديدة مستمدة من الواقع العملي القائم، مما يعمل على تطوير الخطط التعليمية والتأهيلية والدراسات العليا بالجامعة.
- يساعد على توظيف الإمكانات العلمية البشرية والمخبرية بالجامعة التوظيف الصحيح؛ حيث يؤدى التعاون بين الجامعة والصناعة إلى تنمية الكوادر والخبرات في كل منهما؛ تخفيف أو الحد من هجرة العقول وبقائها في الخارج.
- توفير التمويل الملائم؛ لتطوير الإمكانات البشرية والمخبرية.
- زيادة مكانة الجامعة وزيادة الشعور بأهميتها في المجتمع (Ismail, N. and others, 2015, P. 284).

- **الفوائد التي تعود على قطاع الصناعة إذا ما وطد علاقته بالجامعة البحثية:**

إذا كان تعاون البحث العلمي الجامعي مع قطاع الصناعة له دور إيجابي ومهم في دفع عجلة الأبحاث، كما يخدم مجال الصناعة في ذات الوقت؛ حيث يمكن للبحث العلمي الصناعة، يقوم بدور مهم وحيوي في خدمة وتوطين وتطوير الصناعة، وذلك من خلال بحث المشكلات التي تعترض سير وتطور الصناعة في كافة مرافقها؛ للوصول إلى حلول مثلى وموثوقة بها، مبنية على أسس علمية موضوعية؛ مما يؤدي إلى تحسين عمل المؤسسات الصناعية، ورفع مردودها وانتاجها، ويمكن لهذا التعاون العلمي أن يلبي احتياجات الصناعة ، والشركات التابعة لها في مختلف مراحل العمل المختلفة التي تتمثل فيما يلي:

مرحلة التخطيط: بناء خطط التنمية الصناعية على أسس موضوعية وواقعية من خلال الاعتماد على دراسات علمية وبحوث ميدانية تمهيدية، وتحديد الإمكانات المتوفرة، وتحديد أفضل التقنيات الملائمة في هذا المجال، وفقًا للظروف والإمكانات المحلية.

مرحلة التنفيذ: يساعد رجال الصناعة في اختيار الحلول المثلى والمنتجات الأفضل، والتركيز على التجهيزات والأساليب الأكثر ملاءمة للواقع ولظروف الاستثمار، بدلًا من الاعتماد على الشركات والمكاتب الاستشارية الأجنبية.

مرحلة الاستثمار: لا يَقل دور التعاون العلمي الذي يمكن أن تقدمه الجامعات في مرحلة الاستثمار والإنتاج عن أهميته في مرحلتي التخطيط والتنفيذ، سواء في مجال تحديد الأعطال وإصلاحها أو تذليل الصعوبات لزيادة الإنتاج أضعافًا مضاعفة، كما يمكن للجامعات أن تسهم في دراسة وتقديم الحلول لهذه المشكلات على الوجه الصحيح والأكمل، بينما لا يمكن للشركات الأجنبية أن تقدم ذلك؛ لأن همها الرئيس الأول هو جَنْي الأرباح وتصريف منتجاتها، وتقديم الحلول التي تحقق هذا الهدف(Lind, F., and others, 2013, p.70, 84) .

لذا تُولي معظم الدول اهتمامًا متزايدًا للحاجة إلى سياسات البحث والتطوير للتصدي للتحديات المجتمعية والتركيز على الآثار الملموسة لاستثمارات البحث والتطوير، وتدعو هذه الاتجاهات الحديثة نسبيًا إلى تركيز أقوى على البحوث التطبيقية.

وتَوصف الجامعة البحثية ببرامجها المختلفة للدكتوراه، بالعمل القائم على الصناعة المتكاملة؛ من أجل تقديم خريجين لديهم مهارة البحث التعاوني بين الصناعة والتنمية المهنية، من خلال التعاون الذى يتم بين الصناعة وصانعي السياسات ومؤسسات التمويل، فيتم تعزيز التعاون بشكل مباشر وغير مباشر؛ لإنتاج المعرفة والابتكار ونقل التكنولوجيا الذي يؤدى إلى التطور الدائم الذي يوازى المعرفة، وفتح آفاق متعددة للتخطيط، واختصار الوقت، كما يسهم التعاون بين الجامعة والصناعة والأكاديميين في زيادة تطوير البحوث وتنفيذ المشروعات البحثية عن طريق التمويل الذي يقدمه قطاع الصناعة ومن ثم يستفيد قطاع الصناعة والمجتمع ككل (Lind, F., and others, 2013, p. 85).

ويمكن للجامعة البحثية أن توفر دخلًا فعالًا للتعليم التعاوني، وذلك من خلال تعاونها مع قطاعات الصناعة؛ لتسويق أبحاثها بفضل خلفياتها المتميزة وسلطتها القيادية، فقامت الجامعة البحثية بتشجيع الشراكة والتعاون بين قطاعات الصناعة والجامعة؛ لإنتاج ونقل المعرفة، بهدف الارتقاء بالقدرات البحثية لأساتذة الجامعات والطلاب بمساعدة الموارد الخاصة بأنشطة البحث والتطوير في مجال الصناعة، وتدريبهم بالشركات، وارتباط أبحاثهم بهذه الشركات التي تتمثل في حل المشكلات الرئيسة؛ يتطلب وضع خطة محلية لعمليات نقل التكنولوجيا ونتائج البحث التي تصدرها الجامعة البحثية الذي يحفز النمو الاقتصاد الوطني (Liou, C. L., &Tsai, H. H, ., 2012, p.259).

القدرات البحثية لأساتذة الجامعة البحثية والطلاب أن تنتج قيمة اقتصادية تزيد من الميزة التنافسية الوطنية، بالإضافة إلى التوسيع البحثي لأساتذة لدراسة جدوى؛ لتمويل الشركات المملوكة للجامعة لتعزيز التعاون بين الجامعات والقطاعات الصناعية، لذا تحل القطاعات الصناعية محل الحكومة في الجامعات بصفتها مصدر للتمويل الجامعي؛ لتحفيز النظام المالي وتخصيص رأس المال في عمليات تعزيز الأداء؛ لتحسين القدرة التنافسية في تطبيق وتسويق الأبحاث على أرض الواقع .(Liou, C. L., &Tsai, H. H, , 2012, p.259).

وتختلف احتياجات الدول للبحوث التطبيقية اختلافًا جَذْريًا وفقًا لعاملين: أولًا: **كثافة البحث والتطوير في الشركات المحلية** واستعدادها وقدرتها على الاستثمار واستيعابها للمعرفة، ثانيًا: **التوازن بين أنشطة البحث والتطوير داخل الشركات** أو الحصول عليها من مصادر خارجية، ويخضع هذا الأمر لميل الشركات لشراء البحث من جهات خارج الشركات، فهناك بعض الدول التي تهيمن على الصناعات التكنولوجية المتقدمة والكثيفة البحث مثل: فنلندا والسويد لما لهما من تأثير كبير في أسواق البحوث التطبيقية، ومن ناحية أخرى فقلة قطاعات كثيفة للبحث والتطوير والتي **يطلق عليها " قاطرات التكنولوجيا العالية"** تؤدى إلى الفراغ في البحث والتطوير، والذي يتوجب تعويضه بالجامعات البحثية ومعاهد البحوث التكنولوجية، لذا يوجد ارتباطًا وثيقًا بشراء الشركات لأنظمة الابتكار التي تمثل العامل الحاسم لسد الفجوة في البحوث والتطوير؛ لينعكس أثره على انتاج البحوث التطبيقية والأسواق (Solberg, E., and other, 2012, p.42).

ثالثـًا: العائد المجتمعي للجامعة البحثية

تجني العديد من المجتمعات ثمار وجود الجامعة البحثية بها، وتستفيد لأعلى درجة من عوائد هذه الجامعات ويتمثل العائد المجتمعي لهذه الجامعات في عدة جوانب، ومنها الناحية العلمية، الناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية.

١. العائد العلمي

رسمت الجامعة البحثية لنفسها سياسة بحثية مختلفة عن باقي الجامعات بما تحويه من ابتكار علمي ملموس على أرض الواقع وإبداع ملحوظ وتميز واقعي لأنها كيان يتميز بالنظام والدقة لكي تصل إلى ما تصبو إليه من الناحية العلمية وانخراط المتعلم وجميع أطرافها لخدمة المجتمع.

فقامت بالتركيز على ظروف المجتمع واحتياجاته وركزت أيضاً على التطبيق المباشر للمعرفة، ففي مجال العلوم التكنولوجية تطورت الهندسة بشكل كبير؛ حيث ركزت على البنية التحتية وتحديث المجتمعات، وقد تم الربط بين البحوث والجامعات البحثية للوصول إلى التنافسية العالمية (Amos, K. and others, 2015,p.133).

وأصبح التعليم العالي قادراً على المنافسة بشكل متزايد؛ حيث تسعى الجامعات لتدريب الطلاب ذوي الجودة العالية والاحتفاظ بهم، وبالأخص البحث العلمي الذي يساعد في إعداد أجيال؛ لمواجه متغيرات العصر والانفجار المعرفي الذي يُميز العصر الحالي، وذلك من خلال تنمية واكتساب مهارات التفكير والابتكار والمعرفة وحل المشكلات وقدرتهم على اتخاذ القرار، بإضافة إلى العمل الجماعي والتعامل مع هذه المهام وإنجازها.

وتكرس الجامعة البحثية جهودها البحثية في العلوم الأساسية، لكي تضمن للدولة مكانه للبقاء على الساحة العلمية، فلا تكتفي بإنشاء المراكز أو المعامل بحوث تطبيقية أو التقنيات العالية، فالعلوم الأساسية هي بمثابة الوقود الذي يدير ماكينة الابتكار ومولدات المعرفة، ومع تقدم التقنيات بسرعة هائلة؛ فان العلوم الأساسية هي الأخرى في تقدم، بما يضاف اليها من نظريات حديثة وما يكشفه العلم من اضافات جديدة تثريها (معهد البحوث والاستشارات، ٢٠١٠، ص٢١).

ويتضح أن الجامعة البحثية تقوم بجذب الطلاب المتميزين، مما ينتج عنها مخرج بحثي متميز، والاهتمام بعملية استكشاف قدرات الطلاب والمشاركة الإيجابية والمؤشرات المهمة لنجاح الجامعة، فالأداء الداخلي للمؤسسية الذي يوفر المزيج الواضح بين التعليم البحثي والاعتزاز بالهوية البحثية المتميزة وحماية الملكية الفكرية.

بهذا تشكل الجامعات البحثية مجتمعات علمية تسهم في انتاج ونقل المعرفة العلمية، فهي المصدر الأساس للتقدم العلمي والتنمية، كما أن تعزيز عملية انتاج المعرفة لها مردود اجتماعي وتأثيراً كبيراً، ويتمثل في: –

أ. وفرت الجامعة البحثية التعليم المتقدم لشريحة من الأفراد (الطلاب) للتكيف مع سوق العمل.

ب. ركزت على انتاج المعرفة التي تؤدي للتقدم العلمي والنمو الاقتصادي.

ج. ركزت على رأس المال المعرفي؛ لأنه أساس الاقتصاد العالمي الذي يتزايد فيه التنافس ويكون العامل الحاسم؛ لنمو الإنتاج للمدى الطويل وزيادة القدرة التنافسية الاقتصادية.

د. حولت التعليم الجامعي التقليدي للتعليم الريادي العالي.

ه. ساعدت الجامعة البحثية على تكوين مجتمع أكاديمي داخلي أو خارجي عن طريق تفاعل بين الباحثين الجامعين والمؤسسات الصناعية والمنظمات غير الحكومية.

و. وضعت خريطة للتميز العلمي والتكنولوجي؛ للاستفادة منها في الجهات التي تستخدم التكنولوجيا؛ للوصول إلى مستوى مرموق من الخدمات البحثية.

ز. إنتاج خريجين يتسمون بالمرونة والثقة بالنفس؛ لتحمل المسئولية والاستعداد المستمر؛ للتعلم والتقييم داخل وخارج الجامعات (Goldstein, H., and others, 2016 , P. 1).

تأسيساً على ما سبق فإن الجامعة البحثية جزء مهم من التحول في التعليم العالي في جميع أنحاء العالم، بما تحويه من أنظمة تعليمية متنوعة ومختلفة وأكثر تنافسية بين جامعات القمة البحثية في البحث العلمي؛ حيث تمثل قوى عابرة للحدود الوطنية، فالجامعات البحثية عالية الأداء ذات مكانة بارزة في مختلف المجالات؛ حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتقدم العلمي مما ينتج عنه تنمية رأس المال البشري الذي يعود على الفرد والمجتمع بالتقدم والتميز.

٢. **العائد الاقتصادي**

يحتل العائد الاقتصادي مكانة هامة لأنه يتم نقل المعرفة إلى الصناعة لتحقيق التنمية الاقتصادية، كما يُلاحظ أن هذا العائد يساعد في تمويل أنشطة للبحث والتطوير التي تعد مطلبا ملحا لجميع المجتمعات العالمية.

لم يكن التحول والحركة نحو الإنتاج العلمي والازدهار الاقتصادي مفاجأة، فتوجد علاقة متبادلة بين الجامعات والمجتمع أدت إلى نمو جميع مستويات التعليم وإنتاج المعرفة التي أثرت تأثير كبير على الاقتصاد والمجتمع، وبما أن التنمية الاقتصادية القائمة على التعليم توفر الموارد اللازمة للبحوث والإنتاج العلمي الذي يحفز النمو الاقتصادي، ولقد تضافرت البحوث في العلوم والتكنولوجيا ولعبت أدواراً حاسمة في النمو الاقتصادي، وتعد الاستثمارات في العلوم والتكنولوجيا أمراً هاماً في تحديد الإنتاجية الاقتصادية، كما تُسهم بالتالي في الإنتاج العلمي وتُستَثْمر بشكل كبير في التعليم العالي والبحث والتطوير Powell, J. J., and others, 2017, (P.21) ، يتضح فيما يلي العائد الاقتصادي للجامعة البحثية:

١. نقل المعرفة إلى الصناعة مما يجعلها تُساعد في تمويل أنشطة إضافية للبحث والتطوير.

٢. تنمية الثقة المتبادلة بين الجامعات البحثية والصناعة، مما يعود بالنفع على إقامة شراكات ذات استراتيجية طويلة الأجل مما يفيد المجتمع.

٣. شجعت الجامعة البحثية التطوير والابتكار كشكل تنظيمي جديد من التكامل بين العلم والاقتصاد؛ لإنتاج الكثير من المعرفة الجديدة.

٤. الوصول إلى أحدث الابتكارات والأجهزة والمعدات الصناعية؛ لتحسين مهارات إدارة المشروعات، واستكمال قاعدة الكفاءة في الجامعة البحثية بالمهارات والتقنيات الجديدة التي تم تطويرها في الصناعة، وتحسين فهم احتياجات السوق وصعوبات الصناعة.

٥. عززت الأنشطة التدريسية العملية كاشتراك أعضاء هيئة التدريس في الصناعة، وإثراء مواد التدريس مع أمثلة عملية وتعلم كيفية تطبيق المهارات المعرفية؛ لحل المشاكل التجارية الحقيقية.

٦. بناء جسور الثقة والتعاون بين الجامعات البحثية والجهات المستفيدة من الإنتاج العلمي المتميز.

٧. قامت الجامعة البحثية بزيادة التمويل الداخلي لها من خلال التعاقدات الصناعية والخدمية؛ مما يقوي هذه الجامعات البحثية وتحقق لها المصداقية.

٨. توظيف الخريجين الجدد من الجامعات البحثية في الصناعة؛ للوصول إلى اقتصاد قوى وقدرة تنافسية على المستوي العالمي، وتوجد مجموعة متنوعة من الأنشطة وتتمثل فيما يلي:

- برامج تبادل الخبرة بين الموظفين في المؤسسات الصناعية.
- المنح والمعونات والأوقاف من قبل الشركاء الصناعيين.
- توفير التعليم مدى الحياة وتدريب المهنيين.
- البحوث التعاونية والعقود.
- العمل الاستشاري (European Communities, 2017, p.20).

ويتزايد التعاون بين الجامعات البحثية والشركات في أنشطة البحث والتطوير على أساس إنتاج المعرفة من خلال النموذج الثلاثي الحلزوني، وقد أجرى٨٠٠ بحث تعاوني بين الشركات والجامعات البحثية في إسبانيا ما بين ١٩٩٥ م –٢٠٠٠م، كما تأسيس مركز التعليم والبحوث جاما(The Gamma education) في٢٠٠٦م، في مجال هندسة الشحن والتكنولوجيا البحرية، وهو مركز بحثي تشترك فيه جامعتان وعضو صناعي واحد هما: الجامعة التقنية وكلية إدارة الأعمال والاقتصاد والقانون في جامعة أخرى بالسويد وجمعية أصحاب السفن، وجاء مركز جاما يهتم بصناعة الشحن؛ حيث أصبحت هدف صناعي نظراً للحاجة إلى الاستثمار في البحوث في مجال الشحن من أجل التركيز على القضايا البيئية وضمان تعليم الموظفين ، وفي ٢٠٠٩م، درست جامعة أوروبية جميع أشكال التعاون التي شاركت فيها الجامعة مع أكثر من ١٠٠٠ شركة كنقطة انطلاق؛ حيث صمم نموذج اقتصادي قياسي من أجل تحديد خصائص الشركاء، وفي إطار التعاون بين الشركات الصناعية والجامعة البحثية كان الهدف المؤسسي للشركات الصناعية تطوير الشركات وزيادة الإنتاج والقدرة التنافسية والإيرادات، سهولة التمويل الخارجي المستقبلي للبحوث عن طريق العلاقة الجيدة بين الجامعات البحثية والصناعة من أجل تأمين المنح الحكومية المستقبلية، توفير بيئة موارد أكثر ثراء، ويُلاحظ أن الباحثين الذين يتعاونون في القطاع الخاص لديهم أداء بحثي متفوق مقارنة بغير المتعاون (Lind, F. , 2013, p.70, 80 and others).

يتضح مما سبق أن من أهم وأبرز العوائد الاقتصادية للجامعة البحثية هو تعاون الجامعات البحثية مع القطاعات المختلفة من قطاع رجال الأعمال (القطاع الخاص) والحكومة والجامعات وهذا ما يطلق عليه بالنموذج الحلزوني الثلاثي، الذي يبرز التميز البحثي وامتزاجه مع قطاعات المجتمع للتغلب على عقبات تطبيق البحث العلمي والتأكيد على توفر بيئة محفزة للبحث بالجامعات البحثية والتي ينتج عنها سعة بحثية عالية لنقل المعرفة وتطبيقها.

٣. العائد الاجتماعي

يعد الأثر الاجتماعي للجامعة البحثية هو نتاج اللقاء الخلاق لأصحاب المصلحة مع العلماء والباحثين؛ لتحقيق أهداف مشتركة، فلها عائد اجتماعي فعال في بناء ثقافة بحثية حقيقية ذات استثمار طويل المدى، فهي ضرورة مهمة للنمو الاقتصادي والازدهار المجتمعي، وتنمي المسئولية العلمية الاجتماعية التي ترجع على المجتمع ككل، من خلال الشراكة المجتمعية بين

القطاعات المختلفة، مما يربط بين التعليم والمجتمع في الجامعة البحثية كمصدر جوهري؛ لإنتاج المعرفة الجديدة المبتكرة لصالح المجتمع المحلى والدولي.

تؤدي السياسات الناجحة للجامعة البحثية من خلال التعامل مع الاختراعات والتعاون مع الصناعة إلى عدد من الفوائد للمجتمع ككل، ولا سيما الاقتصاد المحلي، بل تشمل على امتيازات كثيرة مثل تعليم أفضل وظائف جديدة ومنتجات جديدة في سوق العمل؛ حيث حققت شركات تسويق التكنولوجيا الابتكارية الإمبراطورية (إمبريال كوليدج)، بلندن إيرادات تتجاوز ٣٠ مليون جنيه استرليني من التراخيص، ووفرت أكثر من١٠٠٠وظيفة منذ عام ١٩٩٧م، فنصف الاختراعات المسجلة والبراءات في التسعينات التي اختارها المكتب الأوروبي كانت على أساس الأهمية الاقتصادية لجائزة المخترع، وتستند هذه الاكتشافات بنسبة ٢٥٪ على المجتمع تم تحقيقها من خلال البحث التعاوني مع الصناعة من أجل المجتمع ككل(European Communities,2017, p.21).

ويُلاحظ أن العائد الاجتماعي يؤدي دوراً هاماً للأداء البحثي داخل الجامعة البحثية؛ حيث يتم التحقق بدقة من العلاقة الإيجابية بين الأداء البحثي بالجامعات واحتياجات المجتمع من ناحية أخرى. يُعتبر التقارب الاجتماعي بين أعضاء هيئة التدريس والباحثين في صالح التعاون البحثي في التخصصات المفيدة للمجتمع، فيؤدى إلى تطور وتكامل الجامعة البحثية في الشبكات العلمية العالمية والتوجه نحو التكنولوجيا المتعددة المجالات تدفع المجتمع للأمام؛ والتي بنيت على المنافسة والتعاون المتزايد في مجالات العلوم والتكنولوجيا، وما يترتب عليها من تحفيز الاتجاه العالمي نحو البحث والابتكار والإبداع لخدمة المجتمع (Justin J. W. Powell and Jennifer Dusdal, 2017 , p.76).

ويعتمد أداء وتنظيم البحوث إلى حد كبير على التواصل الجيد بين الباحثين والشركاء من المجتمع على كافة الأصعدة، لأن الهدف الرئيس للنشاط البحثي داخل الجامعات البحثية هو إنتاج التقدم العلمي لصالح المجتمع المحلي والعالمي.

وعلى هذا يمكننا تلخيص العائد المجتمعي للجامعة البحثية في: تأثر الجامعة البحثية علي المجتمع من خلال البحوث التي تقوم بها وتعتبر جزءاً لا يتجزأ من السياسات التي تؤدى إلى مساهماتها في مجتمع المعرفة؛ لحل التحديات المجتمعية والعالمية، وبناء منطقة بحوث أوروبية مفتوحة وشاملة، فأصبح الأثر المجتمعي للجامعات البحثية هو طليعة السياسات المتعلقة بالتعليم العالي

والبحوث بسبب التغيرات الهائلة المتصلة بالعولمة وكثافة المنافسة العالمية والتطورات الاجتماعية ذات الصلة بالعالم، والتي تُعتمد علي المعرفة الجديدة ورأس المال البشري المتعلمة بدرجة عالية، فكثفت الحكومات مطالبها للاهتمام بالجامعات البحثية لتأثيرها على المجتمع بشكل عام.

أ. بناء جو من الإلهام لعدد كبير من الطلاب للابتكار، والحفاظ على القدرات البحثية لديهم لإعدادهم للعيش والتعامل في عالم يحتاج إلى التحديات والفرص التي لا يمكن التنبؤ بها والاستفادة منها.

ب. إجراء بحوث أكاديمية بطريقة واسعة في التخصصات المتعددة؛ لإحداث تغييرات في الصحة والمناخ وجميع المجالات؛ للوصول إلى حلول مجتمعية للمشكلات التي يعاني منها المجتمع.

ج. التعاون مع خبراء وجامعات في السياقات المشتركة المتعددة الاختصاصات التي يشار إليها في كثير من الأحيان بالإنتاج المشترك للمعرفة، أنظمة الشبكات المفتوحة وغير الخطية.

د. تقوم الجامعة البحثية بالتطوير المستمر في المجالات المجتمعية عن طريق التعاون بينها وبين القطاع المجتمعي والصناعي، ووضع خطة استراتيجية لكل مؤسسة في مجالات محددة تتفرد بها هذه الجامعة البحثية عن ذويها.

ه. استخدام المعارف الأكاديمية باعتبارها جزءًا دينامياً من عملية أوسع نطاقًا؛ للإنتاج المعرفي يحقق فيها أصحاب المصلحة خبراتهم ومعارفهم وبصيرتهم (Van ,W. and others, 2017, p.2).

تأسيساً على ما سبق فإن الجامعة البحثية هي الأكثر أهمية بالنسبة للمجتمع، فهي عامل أساسي في التنمية المستقبلية للقدرات العلمية في جميع الدول، وتعتمد على السعي إلى إنتاج المعرفة المتطورة عن طريق بناء شبكات علمية دولية ومشتركة بين الثقافات وعلى جميع المستويات، وليس مجرد أعضاء مؤسسين في الأكاديميات.

رابعاً: واقع الجامعات البحثية المصرية

استحدثت مصر اثنان من الجامعات البحثية تابعة للقطاع الخاص والمفترض أنها جامعات غير قابلة للربح وهي جامعة النيل والجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا وتهدف الجامعتان إلى تحقيق طفرة في مجال البحث العلمي والتكنولوجي في مصر الذي يترتب علية الإسهام الجاد في تحقيق التنمية الاقتصادية العلمية. (محمد أحمد، ٢٠١٦، ص٢٢١)

أولاً جامعة النيل:

نشـــأة جامعة النيل أنشـــئت جامعة النيل عام٢٠٠٦ كجامعة بحثية ذات مكانة عالمية من قبل (المؤســـســـة المصـــرية لتطوير التعليم التكنولوجي)، بدعم من وزارة الاتصـــالات وتكنولوجيا المعلومات المصـــرية، وهي جامعة خاصـــة لا تهدف إلى الربح وذلك طبقا لأحكام القانون رقم ١٠١لسنة١٩٩٢بشأن إنشاء الجامعات الخاصة. تقرير (جامعة النيل،٢٠٢٥، ص١)

رؤية جامعة النيل أن تصـــبح جامعة النيل جامعة بحثية ذات مكانة عالمية (تقرير جامعة النيل،٢٠٢٥، ص١).

رسالة جامعة النيل المساهمة في نمو الاقتصاد القومي من خلال دراسة تطبيقات التكنولوجيا التي من شأنها أن تخدم مصر والمنطقة.

تهدف جامعة النيل إلى إعداد جامعة معنية بالتعليم العالي والبحوث العلمية المتعددة التخصصات طبقا للمعايير العالمية أن تصبح الجامعة جزءاً من مدينة تكنولوجية تدعم بناء الكفاءات والقدرات لتطوير مصر (تقرير جامعة النيل،٢٠٢٥، ص١).

١. **شـــروط الالتحاق بالجامعات البحثية في مصـــر** التي يلزم توافرها في الطالب المتقدم للالتحاق بهذه بجامعة النيل.

- درجة البكالوريوس: تقبل الحاصلين على شهادة الثانوية العامة، الشهادة الثانوية البريطانية IGCSE، ويلزم إتقان اللغة الإنجليزية، واجتياز أحد اختبارات اللغة الإنجليزية بدرجة٦١ وأكثر في اختبارIBT، أو٥٠٠ درجة أو أكثر في اختبارITP من قبل أميدا ست، و٦ درجات أو أكثر في اختبارIELTS.
- **درجة الماجستير:** يشترط الحصول على الحد الأدنى درجة جيد GBA٠, ٣ويشترط أيضاً إتقان اللغة الإنجليزية، واجتياز أحد اختبارات اللغة الإنجليزية بدرجة٦١أو أكثر في اختبارIBT، أو٥٠٠ درجة أو أكثر في اختبارITP، و٦ درجات أو أكثر في اختبار IELTSوأيضاً اجتياز المقابلة الشخصية.
- **درجة الدكتوراه:** يشترط الحصول على الحد الأدنى درجة جيد GBA٠, ٣ويشترط أيضاً إتقان اللغة الإنجليزية، واجتياز أحد اختبارات اللغة الإنجليزية بدرجة ٦١ أو أكثر في اختبارIBT، أو ٥٠٠ درجة أو أكثر في اختبارITP، و٦ درجات أو أكثر في اختبارIELTS وأيضاً اجتياز مقابلة شخصية (تقرير جامعة النيل،٢٠٢٥، ص٢).

٢. **البرامج الدراسية الخاصة بالجامعات البحثية بمصر**، تتكون الجامعة من كلية الهندسة وتكنولوجيا المعلومات وإدارة الاعمال في البكالوريوس، يوجد بها تخصصات بالماجستير

كعلوم الهندسة وتكنولوجيا المعلومات، إدارة الأعمال، البنوك والتمويل، نطرح الدراسة أكثر من ٢٥ مقرراً اختياريا لطلبة الهندسة وتكنولوجيا المعلومات تحتوي مقررات الدراسات العليا على عمق استراتيجي لمصر والمنطقة، تقوم جامعة النيل بتقويم العملية التعليمية بشكل مستمر، يعتمد نظام التقويم على تقويم الطلاب بجانب تقويم الأساتذة تتيح الدراسات العليا للطالب مقررات في موضوعات مختارة تتماشى مع أحدث التطورات العالمية، وأيضا دراسات موجهة يختارها الطالب بناء على رغبة شخصية أو دعماً لظروف عمله (تقرير جامعة النيل،٢٠٢٥، ص٣).

٣. **التمويل بجامعة النيل** (تقرير جامعة النيل،٢٠٢٥، ص٩)، ويعتمد التمويل بشكل أساسي على توفير الموارد المالية من الرسوم الدراسية والتي تبلغ ما بين ١٤ ألف إلى حوالي ٢٥ ألف جنيه في الفصل الدراسي الواحد حسب التخصصات التي يختارها الطالب، يدفع الطالب حوالي٣٠٠٠ جنيه لكل ساعة معتمدة للمصريين،٥٠٠ دولاراً أمريكياً لكل ساعة معتمدة لغير المصريين، وتسعى الجامعة لعقد شراكات بين المؤسسات والجامعات والشركات العالمية للحصول على بعض المنح الدراسية.

ثانياً: الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا

١. **نشأة الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا** تعد جامعة العلوم والتكنولوجيا في مصر-اليابان جامعة بحثية ذات طموح لزرع بيئة أكاديمية وتصبح معياراً بالنسبة للدول المصرية والإفريقية في مجال التعليم، وأنشئت الجامعة المصرية اليابانية في مارس ٢٠٠٩وهى جامعة حكومية ذات شراكة مع الحكومة اليابانية تأسست بناء على اتفاقية ثنائية بين مصر واليابان وهي جامعة بحثية متميزة تتبع المعايير العالمية؛ حيث يمثل طلاب الدراسات العليا أربعون بالمائة من ثروتها البشرية (أحمد عبد المنعم،٢٠١٣، ص٣٧).

٢. **رؤية الجامعة** أن تكون الجامعة ذات مستوى عالمي من التميز في مجالي التعليم الجامعي والبحث العلمي، أن يكون لها انجازات وتأثير إقليمي وعالمي.

٣. **رسالة الجامعة تبرز** في أن تكون جامعة وطنية لتصبح الجامعة نموذجاً رائداً تعتمد على الشراكة الفعالة بين مصر واليابان كعملاق اقتصادي و صناعي، وتسعي لدعم الحكومات والصناعة والمجتمع المدني، أن تتمكن الجامعة من تحقيق الاعتراف والاعتماد الدوليين للدرجات الممنوحة لخريجيها (تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص١).

٤. **أهداف الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا**

تتمثل أهداف الجامعة في أنها تنفذ نظام تعليمي حديث تعتمد على المفاهيم الأكاديمية اليابانية ويقوم على أساس نظام تعليمي قائم على المختبرات العملية، يهتم النظام التعليمي بالمشكلات

المجتمعية والعمل على حلها، إدخال برامج أكاديمية حديثة ومتعددة التخصصات، إنشاء مراكز التميز للبحوث الأساسية والتطبيقية ذات الصلة بالمجتمعات والصناعات والبيئة لتعزيز مهارات العمل الجماعي متعدد التخصصات، بناء شراكات مع المؤسسات البحثية والأكاديمية اليابانية الرئيسية بالإضافة إلى الشركات الصناعية لإجراء البحوث التطبيقية التي من شأنها أن تُعرض الطلاب وأعضاء هيئة التدريس إلى أنشطة أبحاث الحياة الواقعية، واطلاعهم على معارف النظم اليابانية والتقنيات المتقدمة، بناء آليات تفاعل قوية مع الصناعات المحلية والإقليمية تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص٣).

٥.شروط الالتحاق بالجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا

- **درجة البكالوريوس:** تم قبول دفعة أولى بالبكالوريوس في ٨ أغسطس ٢٠١٧ من الحاصلين على شهادة الثانوية العامة وما يعادلها بكلية الهندسة بحد أدنى(٨٥% علمي رياضة فقط)،٧٥% من خريجي مدارس STEM، والقبول بكلية إدارة الاعمال والإنسانيات بحد أدني ٧٥% للثانوية العامة علمي علوم وما يعادلها وحد أدني للثانوية العامة(٧٠% رياضة – أدبى) و٦٥%خريجى مدارس STEM، وحد صول المتقدم على شهادة لغة انجليزية٦٠ TOEFL،٦ في اختبار IELTS، واجتياز اختبار اللغة الإنجليزية الخاص بالتقديم بالجامعة (APTIS)، ويلزم اجتياز المقابلة الشخصية للقبول بالجامعة، والتحق بها حوالي٩٠ طالب كدفعة أولي للمرحلة الجامعية (تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص٢).
- **درجة الماجستير:** الحصول على درجة بكالوريوس الهندسة في تخصصات الجامعة بتقدير عام جيد جداً على الأقل (٧٥% على الأقل) أوGBA ٢,٥من ٤،٠ طبقا للساعات

المعتمدة، تحقيق شروط اللغة (٧٩) TOEFL أو ما يعادلها، النجاح في امتحان القبول الذي تعقده الجامعة وكذلك النجاح في المقابلة الشخصية، سداد المصروفات.

- **درجة الدكتوراه:** نفس الشروط السابقة بالإضافة إلى الحصول على درجة الماجستير في التخصص المطلوب التسجيل فيه لدرجة الدكتوراة بتقدير عام جيد جدا على الأقل (٧٥% على الأقل) أوGBA٢،٥ من٤،٠ بنظام الساعات المعتمدة وتمنح نفس التخصصات التي سبق ذكرها في الماجستير (تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص٢).

١- **الملامح الدراسية الخاصة بالجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا،** تتكون الجامعة مبدئيا من كلية الهندسة وأخرى للإدارة والأعمال وعلى المدى الطويل كلية أخرى لعلوم الحياة ،يساند الجامعة ائتلاف من اثنتي عشرة جامعة من كبريات الجامعات اليابانية، أساسها البحث العلمي

والتعليم المتنوع، فخرجت الدفعة الرابعة من طلاب الماجستير والدفعة الأولى من طلاب الدكتوراة في فبراير ٢٠١٣، وفي الوقت الحالي تم إعداد برنامج المرحلة الجامعية لقسم الهندسة والعلوم الإنسانية والدراسات اليابانية وتسعى برامج المرحلة الجامعية إلي تطبيق نشاط تعليمي جديد من خلال التجارب المعملية متضمنا العلم القائم على المختبرات العملية والمشاريع البحثية في كلية الهندسة، وإدخال نظام الندوات والحلقات النقاشية في كلية الأعمال الدولية والعلوم الإنسانية، بالإضافة للفنون الحرة وتعليم اللغة اليابانية، هذه البرامج للطلاب الذين يرغبون في مواصلة دراستهم للماجستير(ماجستير) أو دكتوراه في الفلسفة (تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص٢).

٢- **التمويل بالجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا،** هناك العديد من السمات التي تميز الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا وهي الشراكة بين حكومتي مصر واليابان والتي ساعدت في إنشاء وتشغيل الجامعة، وتقدم هيئة التعاون الدولية اليابانية (JICA) المعونة الفنية من معامل تعليمية وبحثية ورواتب الأساتذة اليابانيين الذين يمثلون١٥%من جملة الأساتذة، تمنح مؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني المنح الخاصة لتمويل الطلاب وتمويل المراكز البحثية، ويتمثل ذلك في الجهات المساندة والداعمة وزارة الخارجيةMOFA، وزارة التعليم والثقافة MEXT، وهيئة التعاون الدولية اليابانية JICA ومؤسسة التجارة الخارجية JETRO وغيرها، منذ عام ٢٠١٠ قامت هيئة التعاون الدولي اليابانية JICA بتوفير أدوات وأجهزة علمية للجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا بما يفوق كلفتها١٢٠مليون جنيه مصري، بالنسبة الرسوم الدراسية السنوية بكلية الهندسة ١٠٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، للطلاب الدوليين هي٦٢٠٠ دولار أمريكي سنوياً، رسوم كلية التجارة الدولية ٧٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، تبلغ الرسوم الدراسية السنوية للطلاب الدوليين ٤٢٠٠دولار أمريكي سنوياً، علوم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات ٨٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، للطلاب الدوليين هي٥٠٠٠ دولار أمريكي سنوياً ، صيدلية ١١٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، للطلاب الدوليين هي٦٨٠٠ دولار أمريكي سنوياً، رسوم كلية الفن والتصميم٦٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، تبلغ الرسوم الدراسية السنوية للطلاب الدوليين ٤٢٠٠دولار أمريكي سنوياً، رسوم كلية العلوم التطبيقية الأساسية والتصميم٦٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً، تبلغ الرسوم الدراسية السنوية

للطلاب الدوليين ٤٢٠٠دولار أمريكي سنوياً (تقرير الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٢٥، ص١٠).

وهناك مبررات تدفع الدول العمل بالجامعات البحثية في مصـــر وأهمها: تبني الجامعات البحثية المنهج التكاملي في دعم المـ شروعات العلمية والبحثية، تعيد بلورة مفهوم الـ شراكة المجتمعية بين قطاعات المجتمع (ســـالم بن محمد، ٢٠١١، ص٣٢)، توفر الجامعات البحثية تدفقاً مســـتمراً من التعليم الجيد للخريجين والابتكارات العلمية والتكنولوجية المركزية لاقتصـــاد قوي، وثقافة نابضـــة بالحياة لرخاء المجتمع (The National Science Board,p3)، تقوم الجامعات البحثية ذات الطراز العالمي إلي تدويل التعليم العالي وإدخال أفكار تعليمية ومناهج ووســـائل تعليمية جديدة وتحســـين قدره الدولة التنافســـية الوطنية والدولية (Futao Huang,2015, p. 209)، تعمل الجامعات البحثية علي تعزيز اقتصاد الدول ومجتمعاتها المدنية من خلال توفير تعليم عال تنافسي على المســـتوى الدولي وعالي الجودة ودفع الجامعات الأخرى إلى آفاق جديدة (Gerard, A. ,Akira Arimoto,2015. p.2).

النتائج:

١. تمثل الجامعة البحثية المفتاح للبنية التحتية التعليمية وهي الأساس للقدرة التنافسية.
٢. تعتبر الجامعة البحثية مراكز للتعلم والثقافة والبحث وريادة الأعمال.
٣. تقود الجامعة البحثية الحراك الاجتماعي والنمو الاقتصادي والتميز.
٤. تقوم الجامعة البحثية بدور متميز في التعليم بـ صفة خا صة والمجتمع بـ صفة عامة دور لا يمكن إغفاله.
٥. تدرك الجامعة البحثية أن الطلاب هم أركانها الأساسية.
٦. توفير الجامعة البحثية تجربة ممتازة لحياة الطلاب من خلال التفاعل والمـ شاركة والانفتاح على الآخر.
٧. تـهدف الـجامـعة البحثية داخل المجتمـعات المتقدمة إلى التـنافس الـعالمي والابتكار والتميز والإبداع؛ لتحسين المستوي العلمي والاقتصادي والاجتماعي للدول.
٨. الجامعة البحثية أحد المرتكزات التي تقوم عليها التنمية العلمية والاقتصادية والاجتماعية.
٩. يظهر الـتأثير الإيجابي للـجامعة البحثية في جميع النواحي من خلال التعاون بين القطاعات الثلاثة (التعليم والحكومة والصناعة)؛ لتحقيق التنمية الشاملة في جميع القطاعات.
١٠. توفير الجامعة البحثية مناخ ملائمًا؛ لإنجاز المشـــروعات الجديدة والمتطورة التي تســـاعد على نهضة وتقدم المجتمع؛ لكي يتنافس بطريقة عالمية مع المجتمعات العالمية المعاصر.

١١. تعزيز الجامعة البحثية ثقافة الإبداع والابتكار لمواكبة عصـــر العولمة، بناء اقتصـــاد قائم على الإبداع والابتكار، الاهتمام المتزايد بالجامعات البحثية لخدمة المجتمع المحلى والدولي.

١٢. و ضوح رؤية الجامعة البحثية لتحقيق التميز المحلى والدولي، الم ساهمة في تقدم البحث العلمي على المستوى المحلي والعالمي، إتاحة كافة الأدوات لتكوين بيئة تعليمية جيدة.

١٣. و ضوح الر سالة الجامعة البحثية والاهتمام بالتطوير الم ستمر على كافة الم ستويات الت صدي للتحديات المحلية والعالمية الحالية والم ستقبلية اكت ساب مهارة التعلم مدى الحياة، احترام حرية الطالب البحثية في مو ضوع بحثه، وإعداد خريجين مؤهلين ذوي كفاءة عالية، لا بد من التو سع في الشراكات الداخلية والعالمية.

١٤. وضـــوح أهداف الجامعة البحثية مما أدى إلى تصـــدرها قائمة الجامعات العالمية وفقا لعدة ت صنيفات، الحفاظ على القدرة التنافـ سية، توفير باحثين مؤهلين للقيام بالبحوث العلمية، تر سيخ ثقافة البحث العلمي والتعلم الذاتي والتعليم المســـتمر للتنمية الشـــاملة، إعداد الطلاب لمهارات التفكير والإبداع، تعزيز الجامعات البحثية وتوجيه أفضل لمواهب كلياتها وأعضاء هيئة التدريس وموظفيها والإداريين لاحتياجات المجتمع وللمنافـ سة الاقت صادية العالمية، توفير تعليم عالٍ عالي الجودة لجميع الطلاب، بناء القدرة التنافـ سية الإقليمية والعالمية، المكانة المتميزة للكليات في كل مجال.

١٥. تحفيز الطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس على الإبداع والابتكار، واستخدام طرق التدريس الحديثة، ت ضافر الجهود بين جميع المؤ سـ سات الحكومية والـ شركات الخا صة المعنية بالبحث العلمي، ت شجيع التفاعل للباحثين مع باحثين آخرين سواء داخل الجامعة أو في جامعات أخرى بالعالم، تشجيع الطلاب وأعضاء هيئة التدريس على البحث التعاوني، حماية براءات الاختراع.

المقترحات الإجرائية للبحث:

١. توفير البيئة ذات التقنية المتطورة التي ت سعى لتمكين الباحثين، وتوفير الحرية الأكاديمية لجميع المهتمين وذلك من خلال الهيئات المختصة بالجامعات.

٢. بناء ثقافة داعمة للجامعة البحثية لتطبيق وذ شر الوعي بثقافة البحث العلمي لدى جميع المعنيين بالبحث العلمي وذلك من خلال مؤتمرات وندوات تدعم ذلك.

٣. ت شجيع وإر سال البعثات العلمية للخارج للا ستفادة من الخبرات البحثية الدولية، والاطلاع على تجارب الجامعات البحثية في الدول الأجنبية والاستفادة من إيجابياتها وسلبياتها.

٤. تأسيس هيئة تقوم على التعاون بين الجامعة والقطاع الصناعي، تتكون من أعضاء هيئة تدريس بالجامعة ورجال الصناعة لمعرفة احتياجات سوق العمل لسد العجز.

٥. رفع مخصصات ميزانية البحوث العلمية في الجامعة لتفعيل دور الجامعة البحثية لتنمية مصادر تمويل البحث العلمي من خلال تعديل في لائحة الأموال المخصصة للجامعات البحثية.

٦. رفع معدل الإنفاق على البحث العلمي لكي يتوافق مع المعدلات العالمية لتفعيل دور الدولة في تنمية مصادر تمويل البحث العلمي.
٧. إعادة البرامج الأكاديمية الحالية وتبني أساليب التدريس الحديثة وتحقيق شراكة مع المؤسسات البحثية، وإمكانية توظيف التقنيات الحديثة في هذا النوع من الجامعات.
٨. زيادة الوعي بأهمية البحث العلمي لخدمة المجتمع، وحث المسئولين والمؤسسات على دعم البحث العلمي لمساهمته في حل المشكلات التي تواجهه المجتمع، وتبني خطة استراتيجية قومية للنهوض بالبحث العلمي.
٩. يلزم الدقة في اختيار الطلاب المتميزين على المستوى العلمي من خلال اشتراط الجامعة من اجتياز امتحان التوفل، وعدد من الدورات التي تؤهلهم لاختيار الاتجاه الأمثل لدراستهم، وجود اختبار مقابلة شخصية لمعرفة مستوى كل طالب اتخاذ الإجراءات للوصول إلى العالمية من خلال الاختبارات للطلاب في عدة مجالات وإلزامهم بحد أدنى للدرجات.
١٠. يشارك الطلاب الدراسات العليا في الأنشطة البحثية مما يربط المعرفة وقدرات الجامعة مع المجتمعات، عمل مقابلات شخصية لطالبي الماجستير والدكتوراه، الالتزام بالحد الأدنى من درجات القبول المبدئي للدرجة.
١١. التطلع لتخصصات الفريدة الموجودة لديهم وكيفية الاستفادة منها في مجتمعنا، ان تكون التخصصات ذات درجة عالية من العالمية لمواكبة العالم وعصر العولمة، توفر المختبرات داخل الجامعة وخارجها لمزاولة الطلاب الجزء العملي بدون قيود، التوافق بين التخصصات والشركات لتوفير فرص للطلاب بسوق العمل.
١٢. الاستثمار في البحث والتطوير، وتنمية البحث العلمي داخل الجامعات البحثية والتحول إلى ثقافة البحث العلمي، جمع مواهب كثيرة ومتنوعة في مجموعة واسعة من التخصصات، تعزيز فرص البحث التعاوني المتعدد التخصصات عبر الحرم الجامعي وخارجه، تكوين شراكات بحثية دولية مشتركة، تنوع الأنشطة البحثية والتعليمية التي تجريها بالجامعات البحثية، يجب على الجامعات البحثية أن تنشئ بيئة بحث وتعلم فريدة ومتميزة تلبي احتياجات الطلاب، مراعاه مستويات الطلاب الذين لديهم مستويات مختلفة من الإعداد الأكاديمي، توفر أنواع مختلفة من الإمكانات، توفر تقنيات حديثة لزيادة كفاءة بيئة التعلم.
١٣. تحمل الجامعات مسؤولية أكبر عن استدامتها المالية طويلة الأجل، توفر موارد كافية تشارك بفاعلية في الجامعات البحثية، توفر نسبة عالية من التمويل الحكومي من المخصصات الحكومية، فتح التعاون المستمر بين الجامعات البحثية ورجال الأعمال لدعم تمويلها، وجود علاقات وصلات قوية بالمؤسسات والشركات لتقديم التبرعات والهدايا والإيرادات من المنح البحثية، والأعمال الخيرية الخاصة، المكافآت من الشركات المتنوعة التي ليست جزءاً من المركز الأكاديمي للجامعة.
١٤. اعتماد آليات للتواصل بين الباحثين والجهات المحتاجة لمخرجات البحوث العلمية.
١٥. تحقيق النمو الاقتصادي السريع عن طريق عداد كوادر بشرية ماهرة، زيادة استقلالية الجامعة، التوجيه للاقتصاد قائم على التنافسية العالمية.
١٦. التوجه نحو الحراك الاجتماعي الذي يعود على المجتمع، إقامة علاقات متبادلة بين المؤسسة البحثية والصناعة، دعم الإبداع العلمي.

١٧. ا ستخدام أ ساليب متطورة لإدارة المعرفة والابتكار في خلق المعرفة الجديدة في الأو ساط الأكاديمية، توفر بنية تحتية متكاملة للبحوث على م ستوى عالمي، الانفتاح الوا سع على العالم الذي يمكن التفاعل مع الشـــركاء الأوروبيين والدول المجاورة لمعالجة المشـــكلات العالمية، التركز على التميز والاكتشاف الأكاديمي.

١٨. توفر برامج أكاديمية جديدة، وإنشـــاء كليات مهنية، إنشـــاء مكاتب لتســـهيل الشـــراكات بين الجامعات البحثية والصناعة.

المراجع

أبو المعاطي، دعاء. (٢٠١٢). جودة المؤسسات التعليم العالي والتعليم المستمر وتحديات مجتمع المعرفة، البحرين،٤ و٥ ابريل، ص ٨٦٧.

الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون (٢٠١٧). الاســـتراتيجية العربية للبحث العلمي والتكنولوجي والابتكار، تقرير في الدورة الثانية والعشـــرين (٢٢) لمجلس جامعة الدول العربية، **مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، ص٢٧.

بلبكاى، جمال. (٢٠١٦). البحث العلمي في الجامعات العربية: الواقع، التحديات، والتوجهات المســـتقبلية **مجلة الانسان والمجال**، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز الجامعي نور البشير بالبيض، مج ٢، ع ٤، الجزائر، ص ص١-٣٠.

الجوطى، حفيظ. (٢٠١٣). جامعة المستقبل، الدار البيضاء، **دار توبقال للنشر**، ص٥٨.

الحريري، خالد. (٢٠١٧). تصـــور مقترح لتســـويق البحوث التطبيقية في الكليات العلمية والتطبيقية بالجامعات اليمنية وتوظيفها لخدمة المجتمع وتنميته، المجلة العربية لضـــمان جودة التعليم الجامعي، اليمن، ع٣١، مج ١٠، ص ١٤٨.

حسين، محمد (٢٠١٦). تصنيف الجامعات عالمياً في كلُ جمهورية مصر العربية وتايوان دراسة مقارنة، مجلة التربية المقارنة والدولية، الجمعية المصـــرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، ص ١٢٥-٢٦٣.

حفني، خالد. (٢٠٢٢). الجامعات البحثية كمدخل لتطوير البحث العلمي في ضـــوء الاتجاهات العالمية المعاصرة: دراسة تحليلية، مجلة العلوم التربوية، جامعة القاهرة مج ٣٠، ع٤.

خور شيد، معتز. (٢٠١٦). هل تمثل الجامعات البحثية ضرورة في ع صر المعرفة؟، جريدة الم صري اليوم، مؤسسة المصري اليوم للصحافة والنشر، مصر، ع ٤٣٣٤، ٢٥ ابريل، ص١.

الده شان، جمال. (٢٠١٠). العلاقة الا ستراتيجية بين البحث العلمي الجامعي وال صناعة، الواقع والآفاق المســـتقبلية، ورقة عمل مقدمة إلى الندوة الســـابعة لقســـم أصـــول التربية جامعة طنطا "التخطيط الاستراتيجي للتعليم العالي"، كلية التربية، جامعة طنطا.

رفعت، فاطمة. (٢٠٢٤). الجامعات البحثية مدخل لتطوير منظومة البحث العلمي في ضوء رؤية م صر ٢٠٣٠ "دراسة مستقبلية"، **مجلة كلية التربية**، جامعة المنوفية، ع٢.

السالم، سالم. (٢٠١١). البحث العلمي في مجال دراسات المعلومات دراسة للتحديات التي تواجه الشراكة المجتمعية، **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية**، مج١٧، ع٢، ص٣٢.

السبئي، ماجد. (٢,٢٥). معوقات تطبيق الجامعات اليمنية لمق ومات الجامعة البحثية، **مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنساني**، مج٤، ع٤، ص ٥٦٢-٥٨٨.

سليمان، عبد الرحمن. (٢٠١٨). **المؤتمر الدولي السنوي الثاني لقطاع الدرا سات العليا والبحوث** " البحث العلمي من منظور استراتيجية٢٠٣٠ آفاق وتحديات"، ١٨ و١٩ يوليو، جامعة عين شمس، الغردقة، ص١٠٢.

الـ صديقي، سعيد. (٢٠١٤). الجامعات البحثية وتحدي التـ صنيف العلمي: الطريق نحو التميز، مجلة روى استراتيجية، **مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية**، إبريل، ع ٦، مج ٢، ص١٠.

الطيب، م صطفي. (٢٠١٣). ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي (درا سة تحليلية-ميدانية)، **المجلة العربيـــة لضمـــان جودة التعليم الجامعي**، مج ٦، ع ١٣، ص١٠٠.

عبد المنعم، أحمد، آخرون. (٣٠١٣). الجامعة المصـــرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا-نموذج جديد لجامعة بحثية في مصـــر والوطن العربي مع شـــراكة فاعلة للحكومة اليابانية، **مجلة ســـجل المنتدى**، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، السعودية، ط ٣، ص٣٧.

عمر، ماجد. (٢٠٢٥). مُعَوِّقَات تطبيق الجامعات اليمنية لمُقَوِّمَات الجامعة البحثية. **مجلة جامعة صـــنعاء للعلوم الإنسانية**، مج٤، ع٤.

عيد، رم ضان. (٢٠١٢). الجامعات البحثية ومجتمع المعرفة التحولات والنماذج في دول آ سيا، المؤتمر السنوي العشريين، **الجمعية المصرية للتربية المقارنة**، مصر، ص ١٦١ – ١٦٩.

فوزي، محمود، نجـــــم، عمـــــاد. (٢٠١٨). تعزيز تنافسية التعليم العالي المصري مدخلاً لتطوير واقع مؤسساته في تصنيفات نخبة الجامعات العالمية "، **المجلة التربوية**، جامعة سوهاج، ع ٥٣، مصر، ص٣٢٨.

الكميم، سماح علي. **(٢,٢٢)**. دور الوقف في تمويل الجامعة البحثية، **مجلة جامعة البيـ ضاء**، مج (٤)، ع (٢)، **ص ص ٦٧١-٦٨٦.**

لائحة الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا. (٢٠٢٥). شروط الالتحاق، **الجامعة المصرية اليابانية للعلوم والتكنولوجيا**، القاهرة، ص١.

لائحة جامعة النيل. (٢٠٢٥). نشأة الجامعة، **جامعة النيل الأهلية**، القاهرة، ص١.

معهد البحوث والاستشارات. (٢٠١٠). نحو مجتمع المعرفة " جامعات البحث "، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، **مركز الإنتاج الإعلامي**، الإصدار العاشر، ص١٢.

النجار، را ضي. وآخرون. (٢٠٢١). الجامعات البحثية مدخلا لتح سين الانتاجية العلمية لأع ضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر، **مجلة كلية التربية**، جامعة الازهر، مج٤٠، ع ١٩٢.

الهيتي، نوزاد، الشـــمري، حســـيب. (٢٠١٧). البحث العلمي والتطوير في العالم العربي الواقع الراهن والتحديات، **مجلة المثنى للعلوم لإدارية والاقت صادية**، كلية الإدارة والاقت صاد، قطر، مج ٧، ع ٢، ص٦٦.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (٢٠١٥). مقترح الخطة التنفيذية لاســـتراتيجية التعليم العالي والبحث العلمي للعلوم والتكنولوجيا والإبتكار٢٠١٥-٢٠٣٠، مصر، ص٢٨.

Altbach, P. G(2013) . Advancing the National and Global Knowledge Economy: The Role of Research Universities in Developing Countries, Boston College University Libraries, **Taylor** & **Francis**, 38(3), p.317.

Altbach, P. G. (2009) .Peripheries and Centers: Research Universities in Developing Countries, **Asia, Asia Pacific Education Review**، Springer Netherlands,10(1) , March, p.16.

American Academy of Arts & Sciences (2016). Public Research Universities: Recommitting to Lincoln's Vision—An Educational Compact for the 21st Century, **American** Academy of Arts & Sciences, Cambridge,2016, p.17.

Amran, F. and others (2014) .Funding Trends of Research Universities in Malaysia , International Conference on Accounting Studies 2014, Procedia-Social and Behavioral Sciences, Elsevier ,164, p.127.

Anna Kartashova and Other(2015) . Educational Activity of National Research Universities as a Basis for Integration of Science, Education and Industry in

Regional Research and Educational Complexes, **Procedia-Social and Behavioral Sciences**, 214, Pp. 619 – 627.

Atkinson, R. C., & Blampied, W. A(2008) : Research Universities: Core of the US Science and Technology System, **Technology in Society**, 30(1), p.30.

Atkinson, R.D., and others(2011) . University Research Funding: The United States is Behind and Falling, **The Information Technology & Innovation Foundation**, ERIC, Washington, May, p2.

Dan Zhou (2017) . The Research on the Functions of Universities in an Innovation Cluster and the Realization Mechanisms, **Open Journal of Business and Management**, 5, p.65

Dan, E.(2012) . Diminishing Funding and Rising Expectations: Trends and Challenges for Public Research Universities Virginia, **National Science Foundation**, USA, July, p.8.

Dania, L. and others)2014) .University – Business Collaborative Research: Goals, Outcomes and New Assessment Tools, The Euima Collaborative Research Project Report, **European University Association (EUA),** Belgium, pp.1-80.

David P. A., and Metcalfe, S(2007) .Universities and Public Research Organizations in the ERA, **European Commission**, Paper for the 8th of June, Brussels Meeting of the EC (DG-Research) Expert Group on 'Knowledge and Growth, University of Queensland, 2007, p.5.

European Commission(2010) .Improving Knowledge Transfer between Research Institutions and Industry across Europe: Embracing Open Innovation, **Directorate-General for Research Directorate-General for Enterprise and Industry**, Belgium, p.8.

Fenwick, B(2012) . The Current Health and Future Well-Being of The American Research University, The Research Universities Futures Consortium, Accessed November, Vol.8, p27.

Frida Lind, Alexander Styhre, and others(2013): Exploring university-industry collaboration in research centres, **European Journal of Innovation Management**, 16(1), p.70, 79.

Futao Huang (2015) . Building the World-Class Research Universities: A Case Study of China, **Springer Science**, 70(2), p.205.

Gerard A. Postiglione, Akira Arimoto (2015) .Building research universities in East Asia, **High Education**, 70(2) , China, p.2.

Goldstein, H., Radinger-Peer, V., & Sedlacek, S.(2016) .The Pathways and Challenges of University Engagement: Comparative Case Studies in Austria, Modul University, **Working Paper** , 7, November, p.5.

Harvey Goldstein, Verena Peer, and Sabine Sedlacek (2016) . The Pathways and Challenges of University Engagement: Comparative Case Studies in Austria, Modul University, **Working Paper**, 7, November, p.5.

Higher Education Funding Council for Wales (HEFCW) Higher Education Funding Council for Wales(2019) .Research and Innovation: The Vision for Wales, university of Wales, **catalog**, UK, p.3.

Huang, F(2015). Building the World-Class Research Universities: A Case Study of China, Higher Education, **Springer Science**, 70(2), p.205.

Justin J. W. Powell and Jennifer Dusdal (2017) .The European Center Of Science Productivity: Research Universities and Institutes In France, Germany, And The United Kingdom, The Century of Science: The Global Triumph of the Research University، **International Perspectives on Education and Society**,33, pp.1-36.

Karin Amos, and others(2015) . The Research University In Context: The Examples of Brazil And Germany, **International Perspectives on Education and Society**, 9, p.133.

Lavalle, A. Carlos, Victor Luis de Nicolas (2011) . Peru and its new challenge in higher education: Towards a research university, International NutritionInc, United States, August7, pp.1-12.

LaValle. C &de Nicolas, V. L.(2017) . Peru and Its New Challenge In Higher Education: Towards a Research University, LÒS ONE, **Public Library of Science San Francisco**, 12 (8), p.3.

Look at: * Anna Kartashova and Other: Educational Activity of National Research Universities as aBasis for Integration of Science, Education and Industry in Regional Research and Educational Complexes, Procedia - **Social and Behavioral Sciences**, 214, 2015, Pp. p. 624 – 625.

Mariia V. Rubtcova, Oleg V.Pavenkov and others (2016) . Research Universities in Russia: Achievements and Challenges, **International Conference on Role of Media in Democracy**, 25th to 26th November 2016 Bhubaneswar, Odisha, India, p.1.

Michael M. Crow and William B.(2015) . Designing the New American University: A Review, Manchester Institute of Innovation Research, **work paper**, University of Manchester, Manchester, UK, August, P.4.

National Academy of Science (2012) . Research Universities and the Future of America: Ten Breakthrough Actions Vital to Our Nation‘ s Prosperity and Security, Committee on Research Universities Board on Higher Education and Workforce Policy and Global Affairs, **the National Academies Press**, Washington, D.C, pp .1-227.

Nazarbayev University(2018) .STRATEGY 2018–2030, **Catalog**, Nazarbayev University, Kazakhstan, p.23.

Palonnikau, A.,and others(2015) . Educational Research in Changing University, Worldwide trends in the development of education and academic research, **Procedia - Social and Behaviora Sciences**, Elsevie, 214, p.685.

Perna, L. W., and others(2012) . Understanding the Role of Research Universities in Improving College Preparation and Access at Local Urban High Schools, Metropolitan Universities, **Pennsylvania**, 22(3), p.65.

Philip G.Altbach (2013) . Advancing the National and Global Knowledge Economy: The Role of Research Universities in Developing Countries, Boston College Libraries, **Taylor & Francis**, 38(3), p.2.

Powell, J. J., & Dusdal, J.(2017) .The European Centre of Science Productivity: Research Universities and Institutes in France, Germany, And the United Kingdom, The Century of Science: The Global Triumph of the Research University, **International Perspectives on Education and Society**, Emerald Publishing Limited.33, p.61.

Richard, C. & William, A. (2008) . Research Universities: Core of the US Science and Technology System, **Technology in Society**, 30, p.30.

Sheriff, N. M., & Abdullah, N.(2017) . Research Universities In Malaysia: What Beholds? , **Asian Journal of University Education** , 13(2), Dec, P.39.

The American Academy of Arts & Sciences (2015). Public Research Universities: Why They Matter, The Lincoln Project: Excellence and Access in Public Higher Education, Cambridge, p.1.

The Group of Eight(2013) . The Role and Importance of Research-Intensive Universities in the Contemporary World, Discussion **paper**, turner, Australian Capital Territory, Group of Eight House, p.6.

The Industrial Research Institute (IRI) .(2016). The Global R&D Funding Forecast, **A Supplement to R&D Magazine**, Washington, D.C, p.4.

The National Research Council (2012) . Research Universities and the Future of America Ten Breakthrough Actions Vital to Our Nation's Prosperity and Security, **Washington**, P.2.

The University of Western Australia :Strategic Plan (2014) . 2014-2020, UWA 2020 Vision Australia, **Catalog,** UWA, p.3.

Wanbing.S.(2013)."An analysis of the Issues in Developing Research Universities in China", **Journal of Knowledge-based Innovation in China**, 5 (1), 29 Mar, p.8.

بيع الكالئ بالكالئ: صوره ومقاصده وحكمه

Sale of debt: its forms, objectives, and jurisprudential ruling

الباحث الرئيس: همسة فؤاد يوسف دراوشة

طالبة دكتوراه في الفقه وأصوله-جامعة القدس

البريد الإلكتروني: hamsadarawshi85@gmail.com

الباحث المشارك: أ. د. محمد مطلق عساف

بروفيسور في الفقه وأصوله

رئيس دائرة الفقه والتشريع ومنسق برنامج ماجستير الفقه والتشريع

كلية الدعوة وأصول الدين جامعة القدس/ فلسطين

البحث مستل من رسالة الدكتوراه

تاريخ استلام البحث ١٣/٧/٢٠٢٥م

تاريخ انتهاء التحكيم وإجازته للنشر ١٩/٩/٢٠٢٥م

بيع الكالئ بالكالئ: صوره ومقاصده وحكمه

همسة فؤاد يوسف دراوشة

طالبة دكتوراه في الفقه وأصوله–جامعة القدس

الأستاذ الدكتور محمد مطلق عساف

القدس–فلسطين

المستخلص

تناول البحث الحديث عن النهي عن بيع الكالئ بالكالئ، والذي يعتبر من المنهيات المهمة في فقه المعاملات المالية الإسلامية. وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في تناوله واحداً من البيوع الآجلة والديون في صورها المختلفة، كما أن الكشف عن مقاصد هذا النهي يعين على استيعاب الحِكَم الشرعية من تحريم هذه البيوع، مما يمكّن الدارسين أو المتعاملين من معرفة الأحكام الفقهية لبعض البيوع المعاصرة.

وقد تطرق البحث إلى عرض اختلاف الفقهاء في تفسير "الكالئ بالكالئ" وتحديد صوره، وتطرق إلى استدلالات الفقهاء للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ والوقوف على توجيهاتها واستنباط المقاصد منها.

وخلص البحث إلى أن من مقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ: إبراء الذمة، وتحقيق مقصد القبض والانتفاع، وحماية المتعاقدين من الغرر، وحفظ الأموال وتداولها.

الكلمات المفتاحية: بيع، مقاصد، صور، الكالئ، النهي.

Abstract

This research addresses the prohibition of **selling a debt for a debt** (known in Arabic as *al-kāliʾ bi-l-kāliʾ*), a key issue in Islamic financial jurisprudence. The importance of this study lies in its focus on deferred sales and various forms of debt transactions. Understanding the rationale (*maqāṣid*) behind this prohibition sheds light on the wisdom of Islamic rulings and aids scholars and jurists in assessing contemporary financial practices.

The study examines the differing opinions among classical jurists regarding the interpretation and forms of *al-kāliʾ bi-l-kāliʾ*, and reviews their legal

evidences and reasoning. It further explores the underlying objectives of the prohibition from a *maqāṣid al-sharīʿah* perspective.
The research concludes that the prohibition serves several core purposes, including:

- Releasing liabilities from unfulfilled obligations;
- Ensuring actual delivery (*qabḍ*) and lawful benefit before further transactions;
- Preventing excessive uncertainty (*gharar*);
- Preserving wealth and promoting its lawful circulation.

Keywords: sale, objectives, forms, debt, prohibition.

مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورسوله، وبعد؛

فإن بيع الكالئ بالكالئ يعدّ من الموضوعات الفقهية المالية المهمة، نظراً لما يترتب عليه من آثار اقتصادية واجتماعية. وقد أجمع العلماء على أن هذا البيع لا يجوز، إلا أنهم اختلفوا في صوره، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه المسألة حرصاً على تحقيق مقاصد هذا النهي وتجنب محاذيره.

أهمية البحث:

تكمن أهمية موضوع البحث في كونه منتشراً في بعض المعاملات المعاصرة، خاصة في البنوك والشركات والأسواق المالية، مما يستدعي بيان علة النهي والمقاصد الشرعية المرجو تحقيقها من هذا النهي.

مشكلة البحث:

إن واقع الحياة الاقتصادية والتي تستمد قوتها وازدهارها من القيم الرأسمالية، يتعارض مع قيم ومبادئ الاقتصاد الإسلامي. فالاقتصاد اليوم، أخذ ينشط ويزدهر من بيع الديون والتجارة فيها حتى تحولت الديون إلى (أوراق مالية)، قابلة للتداول، فأصبح بيع الكالئ من أهم مصادر الربح والاستثمار في الأسواق. وهذا الواقع دفع بعض المستثمرين للمطالبة بإباحة هذا البيع نظراً للأرباح المحققة من هذا البيع، بل وذهب بعض المعاصرين لإعادة النظر فيه، والقول بإباحته مخالفين بذلك أقوال السلف والخلف الذين أجمعوا على تحريم بيع الكالئ.

فجاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما هي الصور التي تدخل في بيع الكالئ بالكالئ؟

٢. ما هي استدلالات الفقهاء وتعليلاتهم للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ؟

٣. ما هي مقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ وكيف تتجلى في البيوع المعاصرة؟

أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١. بيان حقيقة هذا النهي واستعراض آراء الفقهاء حوله.

٢. الكشف عن المقاصد الشرعية للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ ومحاذير التعامل به.

الدراسات السابقة:

١. دراسة بعنوان: (بيع الدين وتطبيقاته المعاصرة في الفقه الإسلامي)، للدكتور أسامة بن حمود اللاحم، وهو كتاب من جزئين، ط١، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٢م.

٢. بحث بعنوان: (عقد الكالئ بالكالئ تدليلًا وتعليلًا)، للدكتور سامي سويلم، نشره مركز البحث والتطوير شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، سنة ٢٠٠١م.

ووجه الاختلاف بين هاتين الدراستين وهذا البحث؛ أن بحث د. اللاحم توسع في بيان صور بيع الدين وتناول التطبيقات المعاصرة لهذا البيع. وبحث الدكتور سويلم ركّز على بيان العلل التي ذكرها الفقهاء للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ.

بينما هدَف هذا البحث إلى تقديم نظرة مقاصدية للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ، وذلك من خلال التوسع في بيان استدلالات وشروحات فقهاء المذاهب للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ، ومن ثمَّ استنباط المقاصد الشرعية لهذا النهي من هذه الاستدلالات.

منهج البحث:

اتبع الباحثان في هذه الدراسة المناهج الآتية:

المنهج الوصفي، مع الاستفادة من المنهج الاستقرائي والاستنباطي: حيث تقوم هذه الدراسة على وصف المادة العلمية، وذلك من خلال استقراء الأدلة، ثم تحليلها واستنباط المقاصد منها.

وقد التزم الباحثان بالإجراءات الآتية:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها إلى مواضعها، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة والآثار؛ فإذا كان الحديث مرويًا في الصحيحين أو في أحدهما يُخرّج منهما أو من أحدهما، وأما إذا لم يكن فيهما، فيتم تخريجه من كتب السنة والمصنفات، ثم يُذكر حكم أهل العلم والاختصاص على ذلك الحديث.
٣. الرجوع إلى المصادر الأصلية في بحث المسائل المطروحة في هذه الدراسة، إلا إذا تعذر ذلك، فيتم التوثيق بالواسطة.
٤. الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

خطة البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. وتم تقسيمة كالآتي:

المقدمة: أشار الباحثان فيها إلى الموضوع، وذكرا مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريف بيع الكالئ بالكالئ وأدلة النهي عنه، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم بيع الكالئ بالكالئ.

المطلب الثاني: النصوص الواردة في النهي عن بيع الكالئ بالكالئ.

المبحث الثاني: صور بيع الكالئ بالكالئ واستدلالات العلماء في النهي عنها، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فسخ ما في الذمة.

المطلب الثاني: ابتداء الدين بالدين.

المطلب الثالث: بيع الدين بالدين.

المبحث الثالث: مقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مقصد العبادة وإبراء الذمة والقبض والانتفاع والتداول والرواج.

المطلب الثاني: مقصد حفظ المال والعدل ومنع الغرر.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم نتائج الدراسة والتوصيات التي يوصي بها الباحثان.

المبحث الأول: تعريف بيع الكالئ بالكالئ وأدلة النهي عنه.

لما كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كان لازمًا قبل الشروع في بيان صور ومقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ أن نبين المقصود ببيع الكالئ بالكالئ، حتى يجيء الحكم على شيء متصور في ذهن القارئ، وفي هذا المبحث يتناول الباحثان مفهوم بيع الكاليء بالكاليء بالبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم بيع الكالئ بالكالئ

الفرع الأول: الكالئ في اللغة: يقال كلأ الدَين أي تأخر، والكالئ النسيئة، وقيل الكلاءة أي الحفظ، ومنه الكلأ أي المرعى؛ لأن به حفظ قوام الأنعام وبقاؤها[1].

الفرع الثاني: الكالئ شرعًا: فسّره ابن عمر وهو أحد رواة الحديث بأنه "الدَين بالدين"، وتتابع على هذا كثير من الفقهاء والشراح. وذكر الفقهاء صورًا متعددة لبيع الكالئ بالكالئ، وجميعها ترجع إلى أصل واحد وهو الدين بالدين[2].

وقد وضع بعض المعاصرين تعريفًا يشتمل على ضابط يبيّن ما إذا كانت المعاوضة تدخل في بيع الكالئ بالكالئ أم لا، وهو: **"بيع أنشأ دَينًا وخلا عن القبض من الطرفين"**[1].

وتوضيح هذا التعريف: أن بيع الكالئ بالكالئ هو بيع معاوضة ينشأ عنه دَين يثبت في ذمة المدين، دون أن يقبض في مقابله ما ينتفع به. وسيظهر إن شاء الله أهمية هذا الضابط في فهم استدلالات وعلل تحريم هذا البيع وحكمته.

المطلب الثاني: النصوص الواردة في النهي عن بيع الكالئ بالكالئ.

قال الله تعالى:﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة 188] [2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْكَالِئِ بِالْكَالِئِ)[3]، قال اللغويون: هو النسيئة بالنسيئة. غير أن هذا الحديث الذي رواه الدارقطني والطبراني[4] رغم ضعفه، إلا أن معناه

---

١ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: ٧٧٠ه)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (كلأ)، ٢/٥٤٠، المكتبة العلمية، بيروت (بدون سنة نشر). الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦ه)، مختار الصحاح، مادة (كلأ)، ٢٧١، تح: يوسف محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م.

٢ سويلم، سامي بن إبراهيم، عقد الكالئ بالكالئ تدليلًا وتعليلًا، ٨، مركز البحوث والتطوير، شركة الراجحي المصرفية، ٢٠٠١م، ١٤٢٢ه.

صحيح، والأمة تلقته بالقبول بين عامل به على عمومه وبين متأول له[٥].وهذا الحديث معروف عند أهل المدينة، وتناقلوه خلفًا عن سلف. وعمل أهل المدينة به يعتبر من شواهد صحة الحديث والتي يُتقوى بها؛ فما تناقلوه من الأحكام واتصل العمل به يجرى مجرى الخبر المتواتر[٦]. وقد قال مالك: "شُهْرَةُ الْحَدِيثِ بِالْمَدِينَةِ تُغْنِي عَنْ صِحَّةِ سَنَدِهِ"[٧].

وفي رواية أخرى عند البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه: (نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَالِئٍ بِكَالِئٍ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ)[٨].

والهدف من نقل هذه الأقوال هو إثبات صحة الاحتجاج بهذا الحديث، فلا يتصور تناول الكلام عن هذا الحديث وعن علله واستدلالات العلماء به، إن لم يصح ولم يثبت هذا النهي.

---

١ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٩.

٢ سورة البقرة، آية ١٨٨.

٣ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد (ت: ٥٣٨٥)، سنن الدارقطني، رقم الحديث (٣٠٦٠)، ٤٠/٤، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٥٤٥٨)، السنن الكبرى، رقم الحديث (١٠٥٣٦)، ٤٧٤/٥، تح: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.
والحديث ضعّفه ابن حجر وذكر أن اسناده ضعيف. وقال الشوكاني عنه: (وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ تَفَرَّدَ بِهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ... وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ: لَا تَحِلُّ الرِّوَايَةُ عَنْهُ عِنْدِي، وَلَا أَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ غَيْرِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ فِي هَذَا أَيْضًا حَدِيثٌ يَصِحُّ، وَلَكِنَّ إجْمَاعَ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بَيْعُ دَيْنٍ بِدَيْنٍ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَهْلُ الْحَدِيثِ يُوهِنُونَ هَذَا الْحَدِيثَ). ولا بد من القول إن كلام الشافعي حول وهن إسناد الحديث إنما جاء في سياق المناظرة، فالشافعي يثبت متن الحديث ويمنع الدَين بالدَين، فذكر في الأم: "وَبِهَذَا نَقُولُ: لَا يَصْلُحُ أَنْ يَبِيعَ دَيْنًا بِدَيْنٍ وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهٍ". ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٥٨٥٢)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ٣٢٣، تح: ماهر ياسين الفحل، ط١، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م. الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٥٢٠٤)، الأم، ٩٩/٣، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م. الشوكاني، نيل الأوطار، ١٨٦/٥.

٤ يؤيد هذا الحديث ما أخرجه الطبراني عن رافع بن خديج قال: (نهى رسول الله ﷺ نهى عن كالئ بكالئ ودين بدين)، ولكن في إسناده موسى بن عبيدة المذكور أعلاه، فلا يصلح شاهدًا. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت:٥٣٦٠)، المعجم الكبير، رقم الحديث (٤٣٧٥)، ٢٦٧/٤، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

٥ ابن حجر، أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٥٨٥٢)، التلخيص الحبير، ٧١/٣، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٨٩م.

٦ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٢١-٢٢.

٧ ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت: ٥٨٦١)، فتح القدير، ٤٩٣/٣، ط١، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩ه، ١٩٧٠م.

٨ البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث (١٠٥٣٩)، ٤٧٤/٥. حكم الألباني: إسناده ضعيف. الألباني، محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠ه)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ٨٧٣، المكتب الإسلامي (بدون طبعة وسنة نشر).

المبحث الثاني: صور بيع الكالئ بالكالئ واستدلالات العلماء في النهي عنها

أجمع الفقهاء على أن بيع الكالئ بالكالئ منهي عنه في الجملة[١]. قال ابن قطان: "وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن بيع الدين بالدين لا يجوز"[٢]. فتأجيل أحد العوضين إذا كانا من الأموال الربوية يحيل البيع إلى ربا[٣]، وقد نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: "إِذَا لَمْ يَجُزْ غَائِبٌ بِنَاجِزٍ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَجُوزَ غَائِبٌ بِغَائِبٍ"[٤].

إلا أنهم اختلفوا في أحكامه لاختلافهم في صوره وما يدخل تحت هذا النهي، وذكر الدسوقي[٥] أن بيع الدَين بالدَين في المجمل يتناول ثلاث صور، وهي: فسخ ما في الذمة، وابتداء الدين بالدين، وبيع الدين بالدين. وفيما يأتي بيان لهذه الصور.

المطلب الأول: فسخ ما في الذمة.

أي فسخ الدين من ذمة المدين بدين آخر إلى أجل، وهذا لا يخلو من حالتين:

أ. **أن يكون بمثل الدين الأول أو بأقل منه**، فهذا جائز عند العلماء، فهو حطيطة إذا كان أقل، أو سلف إذا كان مساويًا، ولا تدخل هذه الصورة في بيع الدين بالدين المنهي عنه[٦].

ب. **أن يكون أكثر من الدين الأول**، فيؤجل استيفاء الدين مقابل زيادة على الدين الأول، فهذا معاوضة بين دَين ودَين، وتشتمل على أكثر من صورة: قال الخرشي: "فَسْخَ الدَّيْنِ فِي الدَّيْنِ هُوَ أَنْ يَفْسَخَ مَا فِي ذِمَّةِ مَدِينِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ جِنْسِهِ إلى أَجَلٍ، أَوْ يَفْسَخَ مَا فِي ذِمَّتِهِ فِي غَيْرِ جِنْسِهِ إلى أَجَلٍ،

---

١ ابن المنذر، محمد بن إبراهيم (ت: ٣١٩ه)، الإجماع، ٩٦، تح: فؤاد أحمد، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م. الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠ه)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ١٨٦/٥، تح: عصام الدمياطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م. وذكر سامي السويلم في بحثه "عقد الكالئ بالكالئ تدليلًا وتعليلًا" ثلاثة عشر عالمًا ممن نقلوا وصرّحوا بالإجماع في هذ المسألة. سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ١١.

٢ ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك (ت: ٦٢٨ه)، الإقناع في مسائل الإجماع، ٢٣٤/٢، تح: حسن فوزي الصعيدي، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م.

٣ السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت: ٤٨٣ه)، أصول السرخسي، ١٤٨/٢، تح: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند (بدون سنة نشر).

٤ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢ه)، فتح الباري بشرح البخاري، ٣٨٠/٤، ط١، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٨٠ه.

٥ الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (ت: ١٢٣٠ه)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٦١/٣، دار الفكر (بدون طبعة وسنة نشر).

٦ الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٦١/٣-٦٢.

كَعَشْرَةٍ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مُؤَخَّرَةٍ، أَوْ فِي عَرْضٍ مُؤَخَّرٍ"[1]. والصور المذكورة في كلام الخرشي هي كالآتي:

الصورة الأولى: فسخ الدين بالدين الذي حلّ أجله مقابل زيادة في مقداره، وقد يتوصل الدائن إليها من خلال معاملة غير مقصودة لذاتها، وهذا حرام بإجماع العلماء؛ لأنه عين ربا الجاهلية، وفي الغالب لا يفعل ذلك إلا معدم محتاج[2].

وقد تناول ابن تيمية هذه الصورة بالبيان والتفصيل والتعليل في مواطن كثيرة من مؤلفاته، وذكر أن المدين الذي يلجأ إلى مثل هذه المعاملة، إما يكون معسراً، وإما موسراً[3]:

فإن كان معسراً فلا يجوز للدائن أن يقلب عليه الدين[4] بإجماع المسلمين، بل يجب إنظاره، ولا تجوز الزيادة عليه بمعاملة ولا غيرها، والتي يُقصد بها بيع الدراهم بأكثر منها إلى أجل؛ لأنها معاملة فاسدة ربوية[5]، لقوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠][6]. وقد ضرب ابن تيمية بعض الأمثلة على فسخ الدين في الدين على المدين المعسر، ومن هذه الأمثلة:

جاء في مجموع الفتاوى: "وَسُئِلَ: عَنْ رَجُلٍ لَهُ مَعَ رَجُلٍ مُعَامَلَةٌ فَتَأَخَّرَ لَهُ مَعَهُ دَرَاهِمُ فَطَالَبَهُ وَهُوَ مُعْسِرٌ فَاشْتَرَى لَهُ بِضَاعَةً مِنْ صَاحِبِ دُكَّانٍ وَبَاعَهَا لَهُ بِزِيَادَةِ مِائَةِ دِرْهَمٍ حَتَّى صَبَرَ عَلَيْهِ. فَهَلْ تَصِحُّ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ؟

---

١ الخرشي، محمد بن عبد الله (ت: ١١٠١هـ)، شرح الخرشي على مختصر خليل، ٧٦/٥، ط٢، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧هـ.

٢ الكاساني، أبو بكر بن مسعود (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١٤٨/٥، ط١، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٧هـ. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٠٣/٢، تح: محمد إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣ حماد، نزيه، في فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة قراءة جديدة، ١٢٠، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٤ قلب الدين: ذكر نزيه حماد أن مصطلح قلب الدين ورد ذكره في مصنفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وحكاه بعض متأخري الحنابلة، ولم يُعرف استعماله بهذه التسمية على لسان أحد من الفقهاء قبل ذلك، غير أن فقهاء المالكية استخدموا مصطلح "فسخ الدين بالدين" واشتُهر في مذهبهم كما ذُكر أعلاه، ويمكن القول إن مفهوم كلا الاصطلاحين ودلالتهما قريبة جداً. حماد، في فقه المعاملات المالية والمصرفية، ١١٩.

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، ٤٣٨/٢٩-٤٣٩، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، ٢٠، ط١، دار الكتب العلمية (بدون سنة نشر).

٦ سورة البقرة، آية ٢٨٠.

فَأَجَابَ: لَا تَجُوزُ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ؛ بَلْ إنْ كَانَ الْغَرِيمُ مُعْسِرًا فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ. وَأَمَّا الْمُعَامَلَةُ الَّتِي يُزَادُ فِيهَا الدَّيْنُ وَالْأَجَلُ فَهِيَ مُعَامَلَةٌ رِبَوِيَّةٌ وَإِنْ أَدْخَلَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ الْحَانُوتِ. وَالْوَاجِبُ أَنَّ صَاحِبَ الدَّيْنِ لَا يُطَالِبُ إلَّا بِرَأْسِ مَالِهِ لَا يُطَالِبُ بِالزِّيَادَةِ الَّتِي لَمْ يَقْبِضْهَا"[1].

وهذه المعاملة المذكورة غير مقصودة لذاتها، بل حيلة لزيادة الدين مقابل زيادة الأجل، ناهيك أن الغريم مكره عليها لإعساره، وفي هذه الحالة كان الواجب إنظار المعسر.

أ. أما إذا كان المدين موسراً، فلا يجوز له الدخول في مثل هذه المعاملة باختياره، بل وجب عليه الوفاء، ولا حاجة إلى قلب الدين لا مع يساره ولا مع إعساره[2].

الصورة الثانية: بيع الدائن دينه الذي حلّ أجله للمدين نفسه بثمن مؤجل من غير جنسه مما يجوز أن يباع نسيئة، أو بمنافع عين مملوكة للمدين كدار أو سيارة إلى أجل محدد[3].

وهذا البيع غير جائز في قول جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة في المذهب؛ لأنه من بيع الدين بالدين المنهي عنه، ووقع الإجماع على فساده[4].

وذكر العلماء عدة أسباب للنهي عن هذه المعاملة، منها ما ذكره القرافي من مقصد الشارع حسم مادة الفتن؛ لأنه بشغل الذمتين ستتوجه المطالبة من الجهتين، مما سيؤدي إلى كثرة النزاعات والعداوات، فمنع الشرع ما يفضي لذلك من بيع الدين بالدين[5].

وممن خالف قول الجمهور في هذه المسألة ابن تيمية وابن القيم، وأجازوا صورتين:

---

١ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٩/٤٣٨-٤٣٩.

٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٩/٤١٩.

٣ حماد، في فقه المعاملات المالية والمصرفية، ١٢٤، ١٣١.

٤ الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/٢٠٤. الخرشي، شرح الخرشي، ٥/٧٦. الرملي، محمد بن أبي العباس (ت: ١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ٤/١٨٤، دار الفكر، بيرت، لبنان، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (ت: ١٠٥١هـ)، دقائق أولي النهي لشرح منتهى الإرادات، ٢/٩٥، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٥ القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (ت: ٦٨٤هـ)، الذخيرة، ٥/٢٢٥، تح: محمد أبو خبزة وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

الأولى: "بيع الواجب بالساقط"، قال ابن القيم: "وأما بيع الواجب بالساقط فكما لو أسلم إليه في كر حنطة بعشرة دراهم في ذمته، فقد وجب له عليه دين وسقط له عنه دين غيره، وقد حكي الإجماع على امتناع هذا، ولا إجماع فيه، قاله شيخنا واختار جوازه، وهو الصواب، إذ لا محذور فيه"[١].

وصورته: "أن زيداً استقرض من عمرو عشرة دراهم، فقال عمرو لزيد: أشتري منك عشرة كيلو من القمح سلماً بالعشرة التي هي قرض عليك، وتؤدي عشرة كيلو من القمح بعد شهر. فوجب دين عشرة كيلو من القمح على عمرو، وسقط دين عشرة دراهم من ذمته، فصار بيع الواجب بالساقط"[٢].

ويلاحظ مما سبق ذكره أن ابن تيمية لم يجز فسخ ما في الذمة مقابل زيادة (كما في الحالة الثانية من الصورة الأولى لصور بيع الكالئ بالكالئ)؛ لأنها ذريعة يُتوصل بها إلى الربا عن طريق التحيل على قلب الدين. والسؤال هنا: ما الفرق بين الصورتين؟

لا يجوز إطلاق القول بجواز بيع الواجب بالساقط كي لا يؤدي إلى التحيل على الربا، ولهذا اشترط لصحة بيع الواجب بالساقط ألا يربح في البيع الثاني، ولكن يكون البيع بقدر القيمة فقط[٣].

والثانية: "بيع الساقط بالواجب"[٤]، وقال ابن القيم: "وأما إذا كان الدين في ذمة المسلم إليه فاشترى به شيئا في ذمته فقد سقط الدين من ذمته وخلفه دين آخر واجب فهذا من باب بيع الساقط بالواجب"[٥].

وصورته: "أن زيداً أسلم عشرة دراهم في عشرة كيلو من القمح إلى عمرو يؤديها بعد شهر مثلًا، فصار القمح ديناً في ذمة عمرو، وحين حلّ أجل القمح، قال زيد: أبيعك عشرة كيلو من القمح

---

١ ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢٩٣/١-٢٩٤.

٢ العثماني، محمد تقي، فقه البيوع على المذاهب الأربعة مع تطبيقاته المعاصرة مقارنًا بالقوانين الوضعية، ٣٣١/١، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٤٤٣هـ، ٢٠٢٢م.

٣ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 512/٢٩-٥١٠،٥٠٣.

٤ لا فرق بين "بيع الواجب بالساقط" و"بيع الساقط بالواجب" في الحكم عند ابن تيمية وابن القيم، لكنهما يختلفان في أمر واحد، وهو أن المتقدم والساقط في بيع الواجب بالساقط هو الثمن، والمتأخر والواجب هو المثمن (عقد السلم المعروف). وأما المتقدم والساقط في بيع الساقط بالواجب هو المثمن، والمتأخر والواجب هو الثمن (عقد البيع المعروف). إدريس، محمد نعيم، المسائل الفقهية المتعلقة بيع الديون: دراسة فقهية مقارنة، ٤٤، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠٢١م.

٥ ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢٦٤/٣. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥١٢/٢٠.

التي هي في ذمتك بعشرة كيلو من الشعير تؤديها بعد شهر، فسقط عن عمرو دين عشرة كيلو من القمح، ووجب عليه دين عشرة كيلو من الشعير"[1].

واستدل الجمهور على تحريم بيع المسلم فيه قبل قبضه[2] بنهي النبي ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضه[3]، وعن ربح ما لم يضمن[4].

وردّ ابن تيمية وابن القيم على الجمهور بأن النهي عن بيع الطعام قبل قبضه متوجه للطعام المعيّن لا للديون[5]، فدين السلم دين ثابت في الذمة فجاز الاعتياض عنه كبدل القرض؛ ولأنه أحد العوضين في البيع فجاز الاعتياض عنه لاستيفائه، وفائدة ذلك سقوط ما في ذمته، فلا فائدة في أخذه منه ثم إعادته إليه[6]، فأخذُ البدل يقوم مقام الدَين الذي في الذمة، كما أن أخذ البدل لا يقال له: باعه، بل يقال له: وفّاه حقه، فالبيع المعروف هو أن يملك المشتري ما اشتراه، وهذا لم يملك شيئًا، بل سقط الدين من ذمته[7].

وبعد استعراض أقوال العلماء المتعلقة بالحالة الثانية بصورها المختلفة -بيع الدائن دينه الذي حلّ أجله للمدين نفسه بثمن مؤجل-يرى الباحثان أن الراجح هو قول جمهور العلماء الذي ينص على حرمة هذا البيع، للإجماع المذكور في المسألة، كما أن بيع الدين الحال للمدين بثمن مؤجل

---

١ العثماني، فقه البيوع، ٣٣١/١.

٢ الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٢هـ)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ١٧/٤، ط١، مطبعة العبيكان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: ٦٢٠هـ)، المغني، ٤١٥/٦، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أَمَّا الَّذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَهُوَ الطَّعَامُ أَنْ يُبَاعَ حَتَّى يُقْبَضَ). البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٠٢٨)، ٧٥١/٢، كتاب: البيوع، باب: بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عندك. وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه:أن رسول الله ﷺ قَالَ: (مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ مثله. مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٢٥)، ١١٥٩/٣، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض.

٤ الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، رقم الحديث (١٢٣٤)، ٥٢٧/٣-٥٢٨، تح: أحمد شاكر وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٥٠٤)، ٣٦٤/٥، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م. النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، رقم الحديث (٦١٨٠)، ٦٦/٦، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. حكم الترمذي: حديث حسن صحيح.

٥ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥١٩/٢٩.

٦ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥١٣/٢٩-٥١٤.

٧ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ٤٨٨/٢، تح: نبيل السندي وآخرون، ط٢، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

هو ذريعة لربا النسيئة، لأن استبدال الدين الحال بمؤجل هو مظنة زيادة في الدين مقابل الأجل، ولا يلجأ إلى مثل هذه المعاملة إلا المدين المضطر لعدم قدرته على سداد دينه الحالي، ففي ذلك استغلال لحاجة الناس، والشرع أمر بإنظار المعسر. والذين أجازوا هذا البيع واشترطوا ألا يباع الدين الحال إلا بالقيمة يرد عليهم: إن القيمة قد تزيد عند بيع الدين بالدين وتنقص بعد ذلك، والعكس صحيح، فتقع الخسارة على أحد الطرفين، وفي ذلك ظلم لأحد الأطراف وسبب للمنازعات بينهما[١].

المطلب الثاني: ابتداء الدين بالدين

ابتداء الدين بالدين قد يكون مع المدين نفسه، وقد يكون مع طرف ثالث، ومثال الصورة الأولى: أن يقول شخص لآخر: اشتريت منك طنًا من القمح، تسلمها لي بعد شهر بألفين، أدفعها لك بعد شهرين. ومثال الصورة الثانية: أن يكون لزيد طنّ من القمح على عمرو سَلَمًا، فيقول زيد لخالد: بعتُ منك ديني الذي هو في ذمة عمرو بخمسة آلاف تدفعها لي بعد شهر[٢]. والصورتان كلتاهما غير جائزتين اتفاقًا[٣]. وسبب النهي أن فيه إشغال ذمة كل من الطرفين بدون فائدة، ولم يحصل المقصود من العقد؛ فلا البائع انتفع بالثمن، ولا المشتري انتفع بالسلعة[٤].

وهذه الصورة موافقة لما يسمى في التعاملات المعاصرة ببيع الآجال (forward contract)[٥].

وتجدر الإشارة إلى أن المالكية يعدون الثمن الذي يتأخر قبضه أقل من ثلاثة أيام في حكم المعجل[٦]، يقول المواق نقلًا عن ابن سراج: "فَلَمْ يَجْعَلْ فِي الْمُدَوَّنَةِ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ أَجَلًا"[٧]، وذلك لعدم حصول مقصود العقد لأحد الجانبين، وكثرة الغرر عند الدخول على الذمة في العوضين، وأما تجويز

---

١ إدريس، المسائل الفقهية المتعلقة ببيع الديون، ٤٦.

٢ العثماني، فقه البيوع، ٣٣٢/١.

٣ الكاساني، بدائع الصنائع، ٢٠٢/٥. النووي، محيي الدين بن شرف (ت:٦٧٦ه)، المجموع شرح المهذب، ٢٧٥/٩، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٤ه (بدون طبعة). البهوتي، دقائق أولي النهى، ٩٥/٢. المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم (ت: ٨٩٧ه)، التاج والإكليل لمختصر خليل، ٤٧٦/٦، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٦ه، ١٩٩٤م.

٤ الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٦٣/٣. القرافي، الذخيرة، ٢٢٥/٥. ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢٦٤/٣.

٥ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٩.

٦ الأبياري، علي بن إسماعيل (ت: ٦١٦ه)، التحقيق والبيان في شرح البرهان، ٥٤٦/٣، تح: علي بن عبد الرحمن الجزائري، ط١، دار الضياء، الكويت، ١٤٣٤ه، ٢٠١٣م.

٧ المواق، التاج والإكليل، ٢٣٣/٦.

تأخير قبض رأس مال السلم بشرط اليوم واليومين، فهذا عندهم ليس من بيع الدين بالدين، بل يعتبر تأخيراً قريباً لا يُخرج البيع عن كونه بيع نقد، ولا يُعد في العرف بيع أجل، بل له حكم النقد[1]، واستدلوا بقاعدة فقهية في مذهبهم وهي: "ما يقارب الشيء يُعطى حكمه"[2].

ويرى الباحثان أن رأي المالكية في هذه المسألة يناسب طبيعة المعاملات في هذا الزمان، وذلك لأجل حاجة الناس لتجهيز المال وتحصيله ودفعه للطرف الآخر، ومن باب التيسير على الناس لا بد من استثناء مدة لأجل الدفع، فكما هو معلوم أن من طرق دفع الثمن تحويله من حساب بنكي إلى آخر، أو عن طريق بطاقات الائتمان، والإجراءات البنكية قد تحتاج إلى أكثر من يوم لحين وصول المبلغ للبائع، والقول بخلاف ما ذهب إليه المالكية قد يوقع الناس في حرج شديد، فاقتضت المصلحة والحاجة العامة عدم اعتبار هذا التأخر من بيع الدين بالدين.

المطلب الثالث: بيع الدَّين بالدَّين

وهو بيع الدَّين من غير من هو عليه، أي: بيع الدين لطرف ثالث وليس للمدين نفسه، وقد وقع الخلاف بين العلماء حوله. فذهب الحنفية والشافعية في رواية عنهم والحنابلة إلى أن بيع الدَّين من غير من عليه الدَّين لا يجوز إطلاقًا، وحجتهم عدم التمكن من التسليم[3]، قال الكاساني: "وَلَا يَنْعَقِدُ بَيْعُ الدَّيْنِ مِنْ غَيْرِ مَنْ عَلَيْهِ الدَّيْنُ؛ لِأَنَّ الدَّيْنَ إمَّا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنْ مَالٍ حُكْمِيٍّ فِي الذِّمَّةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنْ فِعْلِ تَمْلِيكِ الْمَالِ وَتَسْلِيمِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ غَيْرُ مَقْدُورِ التَّسْلِيمِ فِي حَقِّ الْبَائِعِ، وَلَوْ شَرَطَ التَّسْلِيمَ عَلَى الْمَدْيُونِ لَا يَصِحُّ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ شَرَطَ التَّسْلِيمَ عَلَى غَيْرِ الْبَائِعِ فَيَكُونُ شَرْطًا فَاسِدًا فَيَفْسُدُ الْبَيْعُ"[4].

أجاز المالكية بيع الدين من غير المدين بشروط، ويظهر من شروطهم أنها احترازية لضمان تحصيل الدين، وهي: أن يكون المدين حاضراً في البلد، ومقراً بالدين، وأن يكون الدين مما يجوز بيعه قبل قبضه وذلك احترازاً عن الطعام، وغير محجور عليه ونحو ذلك[5].

---

١ الأبياري، التحقيق والبيان، ٥٤٦/٣.

٢ الخرشي، شرح الخرشي، ٢٠٢/٥.

٣ مالك، مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، ٢٩٢-٢٩٣، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، المكتبة العلمية (بدون سنة نشر). النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ٥١٤/٣، تح: زهير الشاويش وآخرون، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م. المرداوي، علي بن سليمان بن أحمد (ت: ٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٢٩٩/١٢، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤ الكاساني، بدائع الصنائع، ١٤٨/٥.

٥ ينظر شروط المالكية: الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد (ت: ١٠٩٩هـ)، شرح الزرقاني على مختصر خليل، ١٤٨/٥، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٦٣/٣.

ذكر محمد تقي العثماني أن منشأ الخلاف في هذه المسألة راجع إلى نظر كل فريق إلى الدَين، فمن جعله مستور العاقبة لا يُعلم هل يُحصل أم لا، جعل بيعه من بيوع الغرر، ومنعه. ومن وضع شروطًا احترازية وغلب على الظن تحصيل الدَين، أجازه[1].

الذي يراه الباحثان أن مذهب الجمهور الذي لا يجيز بيع الدين من غير من هو عليه أقوى دليلًا؛ لأن المقرّ بالدين لا يقرّ إلا بشغل ذمته بالدين، ولا يستلزم من إقراره أداء الدين، بل هنالك من يماطل رغم إقراره بالدين.

خلاصة القول، إن الحكمة من تحريم بيع الدين بالدين عند الفقهاء: منع إفضاء البيع للربا، وذلك يكون في حال كان البيع للمدين نفسه. وأما إن كان لغير المدين، فإنه حرّم لأنه قد يفضي للربا، أو المخاطرة، أو ربح ما لم يضمن.

المبحث الثالث: مقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ

بالنظر إلى استدلالات الفقهاء وأقوالهم المتعلقة بالنهي عن بيع الكالئ بالكالئ يرى الباحثان أن عقد الكالئ بالكالئ مناف لمقاصد الشريعة في البيوع، وذلك من عدة مطالب:

المطلب الأول: مقصد العبادة وإبراء الذمة والقبض والانتفاع والتداول والرواج

إن إبراء الذمة أمر مطلوب شرعًا، لما في شغلها من مفاسد، وقد ثبت ذلك بأحاديث متعددة؛ تنفر من الدَين تارة[2]، وتحثّ على أدائه تارة أخرى[3]. وقام سامي سويلم باستقراء النصوص الشرعية المنفرة من الدَين، واستقراء أحكام الشرع وأدلته فوجد أن مجموعها يفيد القطع بهذا المقصد[4]، فقد تشوفت الشريعة إلى تجفيف مصادر المديونية لتقليص مفاسده، فعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ

---

١ العثماني، فقه البيوع، ٣٢٨/١.

٢ كحديث النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الهم وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وغلبة الرجال). البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٠٠٨)، كتاب: الدعوات، باب: الاستعاذة من الجبن والكسل، ٢٣٤٢/٥. وقد فسّر ابن حجر ضَلَع الدين المذكور بالحديث بـــ: "ثقل الدين وشدته". ابن حجر، فتح الباري، ١٤٨/١، ١٧٤/١١.

٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا الدَّيْنَ). مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٨٨٦)، كتاب: الإمارة، باب: من قتل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلا الدين، ١٥٠٢/٣.

٤ للاطلاع والتوسع ينظر: سويلم، سامي، موقف الشريعة الإسلامية من الدَين، ١٢-١٧، مجلة بحوث الاقتصاد الإسلامي، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ"[1]. فالمال ميدان من ميادين العبادة، فهو مناط بعض أركان الإسلام كالزكاة وجبر الصوم والحج، ويفهم من الحديث أن أداء الدين من العبادات التي حثّ الشرع عليها إذ أنه يدخل في النفقات الواجبة[2]، ويتجلى مقصد العبادة في حرص الشارع على أداء النفقات الواجبة ومنها الدَين ونهى عن بيعه، كما أنه اعتبر أن مماطلة المدين الموسر ظلم، لقوله ﷺ: "مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ"[3].

إذا تقرر ذلك، فإن الشارع الحكيم حينما شرع الدَين إنما شرعه بهدف تحقيق مصلحة للمكلفين تفوق مفاسده. وبالنظر إلى صورة الدَين نرى أنها مبادلة عبر الزمن، لأنه في بعض الأحيان تكون هناك حاجة لامتلاك سلعة لكن المدين لا يمتلك ثمنها إلا في وقت لاحق، وفي مقابل ذلك قد يوجد أناس لديهم المال لكن حاجتهم إليه ليست ملحة، فيقبل بمداينة المدين. فالمدين يقوم بالاستمتاع بتعجيل منفعة مقابل تأجيل السداد، والدائن يقدم الدين عاجلًا على أمل تحقيق ربح في الآجل[4].

يتبين من ذلك أن بيع الكالئ بالكالئ لا هو يحقق مصلحة القرض ولا يحقق مصلحة البيع، بل تبقى ذمة الطرفين مشغولة بدون مصلحة شرعية معتبرة وبدون فائدة، وهذا الأمر فيه ضرر وإرهاق للفرد والمجتمع، فالدَين عبء على المدين ومقيد لحريته وتصرفاته المالية[5].

ومن المقاصد الخاصة في باب البيوع مقصد الانتفاع، وأما مقصد القبض فهو مكمل ومتمم لمقصد الانتفاع، فقد أباحث الشريعة الإسلامية البيوع لتحقيق مصالح الناس وسد حاجاتهم، وتحقيق ذلك يكون بتبادل السلع والخدمات. ولا بد من القبض لتحقيق مصلحة التبادل حتى يتمكّن الناس من الانتفاع. فإذا تم البيع بصورة بيع الكالئ بالكالئ أي كانت خالية من القبض، فلن يتمكن الناس

---

١ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٢٥٩)، كتاب: الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: أداء الديون، ٨٤٢/٢.

٢ ابن بيه، عبد الله بن الشيخ محفوظ، مقاصد الشريعة في المعاملات المالية، ١٤٤، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٨م.

٣ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٢٧٠)، كتاب: الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: مطل الغني ظلم، ٨٤٥/٢.
مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٦٤)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم مطل الغني، وصحة الحوالة، واستحباب قبولها إذا أحيل على مليّ، ١١٩٧/٣.

٤ سويلم، موقف الشريعة الإسلامية من الدَين، ٦.

٥ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٥١.

من الانتفاع[1]. وقد نصّ ابن تيمية أن المقصود من العقود: القبض، وبيع الكالئ بالكالئ هو التزام بلا فائدة ولا منفعة للمتبايعين[2].

ومن مقاصد المعاملات المالية: التداول والرواج[3]، ومن معاني الرواج التي تحدث عنها ابن عاشور: "انتقال المال بأيد عديدة في الأمة... فتيسير دوران المال على آحاد الأمة وإخراجه عن أن يكون قاراً في يد واحدة أو متنقلًا من واحد إلى واحد مقصد شرعي"[4]، واستدل ابن عاشور لهذا المقصد بنهي النبي ﷺ عن البيع قبل القبض، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قَالَ: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ مثله[5]؛ لأن بيع السلعة قبل قبضها يمنع رواجها وتداولها[6].

بالنظر إلى كلا المقصدين السابقين يمكن القول إن خلو العقد من القبض الفعلي للسلعة والثمن سيؤدي إلى حجز السلع والأثمان عن التداول طوال مدة العقد، وهذا سيؤثر سلباً على مقصد تداول الثروة، ويجعلها أقل انتفاعاً واستهلاكًا، لاستقرارها عند أقل عدد من الناس.

المطلب الثاني: مقصد حفظ المال والعدل ومنع الغرر

إن بيع الكالئ بالكالئ إذا كان أكثر من الدين الأول فهو من الربا لأنه زيادة لم يقابلها عوض، والمعاوضة على الزمن مجرداً فيه أكل للمال بالباطل، قال الجصاص مفسراً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨][7]: "حَظَرَ (الله تعالى) أَنْ يُؤْخَذَ لِلْأَجَلِ عِوَضٌ... وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي امْتِنَاعِ جَوَازِ أَخْذِ الْأَبْدَالِ عَنْ

---

١ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٤٨.

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، **نظرية العقد**، ٢٣٥، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، مصر (بدون طبعة وسنة نشر).

٣ يرى ابن بيه أن استخدام كلمة التداول أو التبادل أولى من كلمة رواج؛ لأن الرواج نقيض الكساد، والتداول نقيض الكنز والاحتكار. ويرى الباحثان أن ما ألمح إليه ابن بيه هو ملمح دقيق، ومعنى التداول هو المعنى المراد تحقيقه من المال. ابن بيه، **مقاصد الشريعة في المعاملات**، ١٤٦.

٤ ابن عاشور، **مقاصد الشريعة**، ٤٧٥/٣.

٥ مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث (١٥٢٥)، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض، ١١٥٩/٣.

٦ سويلم، **عقد الكالئ بالكالئ**، ٤٩.

٧ سورة البقرة، آية ٢٧٨.

الْآجَالِ"[1]. فالأجل لا قيمة له، ولا يتصور الأجل مجردًا عن المنفعة؛ لأنه صفة للمنفعة، فهو عرض لا يقوم بذاته، ومن ثم لا يجوز المعاوضة عليه استقلالًا، وهذه حكمة من حكم تحريم ربا النسيئة، أنه معاوضة على الزمن استقلالًا، وهذا لا يتصور كونًا[2]، فلم يصح شرعًا.

السؤال هنا: لماذا يباح البيع الآجل ولا يباح بيع الكالئ بالكالئ؟ إن بيع الآجل تتحقق فيه مصلحتان: مصلحة الاقتراض، ومصلحة رواج وتداول السلع مما يؤدي إلى نشاط في الأسواق، كما أن الأجل صفة تابعة للثمن وليس مستقلًا. أما في بيع الكالئ فهو خالٍ من كلتا المصلحتين، وهو معاوضة على التأجيل مقابل التأجيل[3].

من الأصول المقررة شرعًا في المبادلات المالية: العدل، وهو مقصد كلي أعلى، لقوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [سورة الرحمن: ٩]٤، وقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢]٥. إلا أنه غير متحقق في بيع الكالئ بالكالئ؛ لأن العدل في المعاوضات يقتضي التكافؤ والتوازن في الحقوق والواجبات بين الأطراف، وإن حصول الاختلال بينهما ظلم لا يقرّه الشرع. وهذا الأصل منصوص عليه في حديث النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى أَنَّ الخَرَاجَ بِالضَّمَانِ)[6]، ومن الفوائد المستفادة من هذا الحديث أن الإسلام دين عدل، بحيث لا يحكم بجور على أحد المتعاقدين[7]. ففي البيع الآجل يقوم المشتري بضمان الثمن مقابل حقه في الانتفاع بالسلعة، وفي السلَم يضمن البائع السلعة مقابل انتفاعه بالثمن الذي قبضه، وفي القرض، ينتفع المقترض بالمال في مقابل ضمانه لنفس مقدار

---

١ الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٥٣٧٠ه)، أحكام القرآن، ٥٦٦/١، تح: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م.

٢ لأن العوضين من جنس واحد، ولا تفاوت بينهما في المنفعة لأن المنفعة المبذولة هي المنفعة المقبوضة، فلا يجوز التأجيل؛ لأنه معاوضة على الأجل وزيادة بدون مقابل.

٣ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٥٤، ٥٧.

٤ سورة الرحمن، آية ٩.

٥ سورة الشعراء، آية ١٨٢.

٦ الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث (١٢٨٥)، ٥٧٣/٣-٥٧٤. أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٥٠٧)، ٣٦٨/٥. ابن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث (٢٤٢٢٤)، ٢٧٢/٤٠. حكم الترمذي على الحديث: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ". الترمذي، سنن الترمذي، ٥٧٤/٣.

٧ ابن عثيمين، محمد بن صالح، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ٦٨/٤، تح: صبحي رمضان وإسراء بيومي، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

المال، ولهذا لم يبح الشرع القرض الربوي؛ لأن المقترض يضمن أكثر من مبلغ القرض، وهذا نوع من اختلال ميزان الحقوق والواجبات، فمُنع ذلك لاشتماله على الظلم١.

وكذلك الأمر بالنسبة لبيع الكالئ بالكالئ، فإن التوازن بين الحقوق والواجبات معدوم؛ لأن الطرفين يضمنان بدون حق الانتفاع بشيء. وليس صحيحاً أن يقال إن العدل موجود لأن الضمان يقابله الضمان، فالعدل لا يتحقق إلا عند التوازن بين الحقوق والواجبات لكل طرف على حدة، لا بين الواجبات مجردة عند كلا الطرفين، وهذا ما أكده بن بيه حين ذكر أن العدل يكون من جهة الكسب ومن جهة الإنفاق والتصرف٢. فإن تحمل كلا الطرفين واجب الضمان للآخر لا يحقق أي مصلحة أو منفعة للطرف الذي يقابله٣.

هدفت الشريعة الإسلامية إلى تحصيل المنافع في المعاوضات، فحرّمت الغرر لما فيه من مفاسد وامتناع تحصيل هذه المنافع. وبيع الكالئ متضمن للغرر المنهي عنه من عدة فروع، منها:

الفرع الأول: ارتفاع احتمالية عدم الوفاء بالعقد: بيع الكالئ بالكالئ فيه انشغال لكلا الطرفين بدين بغير فائدة، وهذا الأمر سيزيد من احتمالية عدم الوفاء بالعقد مقارنة فيما لو كان الدين على أحدهما فقط. وفي هذه الحالة يكون ارتفاع احتمالية عدم إتمام المعاملة من الغرر المنهي عنه٤.

هذه الحقيقة تنبه لها الفقهاء قديماً، فأشار إليها الماوردي عند تناوله الحديث عن السلم، فقال: "وَلِأَنَّ فِي السلم غررًا، فلو جاز فيه تأخير الثَّمَنِ لَازْدَادَ فِيهِ الْغَرَرُ، وَزِيَادَةُ الْغَرَرِ فِي العقد تبطله"٥.

الفرع الثاني: ارتفاع المخاطر في عقود الكالئ: وقد بيّن سامي سويلم مآل هذه المعاملة، فكل طرف في هذه المعاملة أصبح مديناً للآخر دون قبض لأصل الدَين. أما في المقرض أو البيع الآجل فالمدين يقبض أصل الدين، وهذا يمكّنه من استغلال المبلغ ليدرّ عليه دخلًا يمكنه من الوفاء بالدَين. والمدين في بيع السلم يستفيد من الثمن في إنتاج المسلَم فيه أو توفيره. وهذا يعني أن عقود المداينات تتضمن مقومات الوفاء بنفسها.

---

١ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٥٨.

٢ ابن بيه، مقاصد الشريعة في المعاملات، ١٤٦.

٣ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٥٨-٥٩.

٤ ابن القيم، إعلام الموقعين، ٣٠٢/١. سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٦١

٥ الماوردي، الحاوي الكبير، ٤٠٧/٥.

أما في عقد الكالئ فإن البائع سيضطر لتأمين مصدر آخر لتمويل المبيع، وفي الغالب سيكوم طرفًا ثالثًا، وهذا سيعرضه إلى مخاطر مضاعفة لأنه سيتحمل المخاط من جهتين، جهة المشتري وجهة المموّل. وضرب سويلم مثالًا مذكورًا في كتاب: (تحدي الآلهة: القصة الرائعة للمخاطرة)، (Against the Gods: The remarkable story of risk) للكاتب بيتر برنشتاين والذي يتناول الحديث عن تاريخ فلسفة وفكرة المخاطر وتأثيرها على الاقتصاد[١]؛ حيث يصوّر حال المزارعين المتعاملين بعقود الكالئ: فالمزارع يعيش بمديونية مزمنة، حيث يضطر لتمويل جميع استثماراته عن طريق الديون البنكية الربوية لأنه لا يملك تمويل مشروعه، إلا أن تقلب الأسعار يجعله في عرضة دائمة لخسارة كل شيء وعدم الوفاء بديونه، فالفائدة الربوية من القرض الذي يحصل عليه محددة مسبقًا، بينما سعر المحصول متقلب.

والحل الذي يقدمه الشرع يكون إما بتمويل يسمح باقتسام المخاطرة، وهو المشاركة من طرف ثالث، وإما من خلال قبض الثمن من المشتري مقدماً، وفي هذه الحالة يستفيد المزارع ثلاثة أمور: الاحتماء ضد مخاطر تقلب الثمن، والحصول على تمويل، وضمان جدية المشتري وعدم نكوسه؛ لأنه –أي المشتري–هو المموّل نفسه فيكون حافزاً له لمراقبة ومتابعة إتمام العقد.

وأما في عقد الكالئ بالكالئ فهناك ازدواج في متابعة البائع للمموّل وللمشتري، وازدواج من جهة متابعة كل من المشتري والبائع لبعضهما البعض لأن كل واحد منها مدين للآخر. وهذه الازدواجية منتفية في عقد السلم، فهو إذن أكثر كفاءة[٢].

الخاتمة

وتشتمل الخاتمة على النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان هي على النحو التالي:

النتائج:

١. إن حقيقة بيع الكالئ بالكالئ هو بيع معاوضة ينشأ عنه دَين يثبت في ذمة المدين، دون أن يقبض في مقابله ما ينتفع به.

---

١ Bernstein. Peter, **Against the Gods: The remarkable story of risk**, 305-306, John Wiley & sons Inc., Canada, 1996.

٢ سويلم، عقد الكالئ بالكالئ، ٦١-٦٢.

٢. أجمع الفقهاء على أن بيع الكالئ بالكالئ لا يجوز، إلا أنهم اختلفوا في صوره وما يدخل تحت هذا النهي.

٣. يتناول بيع الكالئ بالكالئ في المجمل ثلاث صور: فسخ ما في الذمة، وابتداء الدين بالدين، وبيع الدين بالدين.

٤. إن فسخ الدين بالدين الذي حلّ أجله له صورتان: الأولى: فسخ الدين بالدين مقابل زيادة في مقداره من خلال معاملة غير مقصودة لذاتها، وهذا حرام بإجماع العلماء؛ لأنه عين ربا الجاهلية. والثانية: فسخ الدين بالدين مقابل ثمن مؤجل من غير جنس الدين، وهذا لا يجوز في قول جمهور الفقهاء؛ لأنه من صور بيع الكالئ بالكالئ المنهي عنه، وهذا الذي رجحه الباحثان.

٥. ابتداء الدين بالدين قد يكون مع المدين نفسه أو مع طرف ثالث، وفي كلا الحالتين لا يجوز شرعًا؛ لأن فيه إشغال ذمة كل من الطرفين بدون فائدة.

٦. رجح الباحثان أن الثمن الذي لا يتأخر قبضه عن ثلاثة أيام هو في حكم المعجل، وهذا الترجيح يناسب طبيعة المعاملات المالية المعاصرة التي قد يتأخر فيها رصد المال في الحسابات البنكية وفي بطاقات الائتمان بسبب الإجراءات المتبعة.

٧. رجح الباحثان قول جمهور الفقهاء في أن بيع الدين من غير من هو عليه لا يجوز إطلاقًا، لعدم التمكن من التسليم.

٨. من مقاصد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ التي استنبطها الباحثان: مقصد إبراء الذمة، القبض والانتفاع، حفظ المال، التداول والرواج، العدل في الأموال، منع الغرر.

التوصيات: يوصي الباحثان بالآتي:

١. مزيد من البحث حول صور بيع الدين بالدين المعاصرة مع بيان حكمها.

٢. دراسة المخاطر والآثار الاقتصادية للصور المعاصرة لبيع الكالئ بالكالئ.

٣. تطوير صيغ جديدة وبدائل شرعية للممارسات والتعاملات المحظورة، تكون مستندة إلى مقاصد الشريعة وذلك بهدف تحقيق الأهداف الاقتصادية الشرعية المطلوبة، لتجنب المحاذير الموجودة في بيع الكالئ بالكالئ.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك، الإقناع في مسائل الإجماع، تح: حسن فوزي الصعيدي، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ه، ١٩٩١م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تح: نبيل السندي وآخرون، ط٢، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠ه، ٢٠١٩م.

ابن المنذر، محمد بن إبراهيم، الإجماع، تح: فؤاد أحمد، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، ط١، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩ه، ١٩٧٠م.

ابن بيه، عبد الله بن الشيخ محفوظ، مقاصد الشريعة في المعاملات المالية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٨م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، ط١، دار الكتب العلمية (بدون سنة نشر).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، نظرية العقد، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، مصر (بدون طبعة وسنة نشر).

ابن حجر، أحمد بن علي، التلخيص الحبير، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩ه، ١٩٨٩م.

ابن حجر، أحمد بن علي، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تح: ماهر ياسين الفحل، ط١، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م.

ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح البخاري، ط١، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٨٠ه.

ابن عثيمين، محمد بن صالح، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، تح: صبحي رمضان وإسراء بيومي، ط١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ه، ٢٠٠٩م.

الأبياري، علي بن إسماعيل، التحقيق والبيان في شرح البرهان، تح: علي بن عبد الرحمن الجزائري، ط١، دار الضياء، الكويت، ١٤٣٤ه، ٢٠١٣م.

إدريس، محمد نعيم، المسائل الفقهية المتعلقة بيع الديون: دراسة فقهية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠٢١م.

الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي (بدون طبعة وسنة نشر).

البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، دقائق أولي النهي لشرح منتهى الإرادات، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ه، ١٩٧٥م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي، أحكام القرآن، تح: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م.

حماد، نزيه، في فقه المعاملات المالية والمصرفية المعاصرة قراءة جديدة، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م.

الخرشي، محمد بن عبد الله، شرح الخرشي على مختصر خليل، ط٢، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧ه.

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، سنن الدارقطني، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٤م.

الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر (بدون طبعة وسنة نشر).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تح: يوسف محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م.

الرملي، محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ١٨٤/٤، دار الفكر، بيرت، لبنان، ١٤٠٤ه، ١٩٨٤م.

الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد، شرح الزرقاني على مختصر خليل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢ه، ٢٠٠٢م.

الزركشي، محمد بن عبد الله، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ط١، مطبعة العبيكان، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، تح: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند (بدون سنة نشر).

سويلم، سامي بن إبراهيم، عقد الكالئ بالكالئ تدليلًا وتعليلًا، مركز البحوث والتطوير، شركة الراجحي المصرفية، ٢٠٠١م، ١٤٢٢ه.

سويلم، سامي بن إبراهيم، موقف الشريعة الإسلامية من الدَين، مجلة بحوث الاقتصاد الإسلامي، ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.

الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.

الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تح: عصام الدمياطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

العثماني، محمد تقي، فقه البيوع على المذاهب الأربعة مع تطبيقاته المعاصرة مقارناً بالقوانين الوضعية، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٤٤٣ه، ٢٠٢٢م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت (بدون سنة نشر).

القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الذخيرة، تح: محمد أبو خبزة وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط١، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٧ه.

مالك، مالك بن أنس، موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، المكتبة العلمية (بدون سنة نشر).

المرداوي، علي بن سليمان بن أحمد، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ١٤١٥ه، ١٩٩٥م.

المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم، التاج والإكليل لمختصر خليل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٦ه، ١٩٩٤م.

النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١ه، ٢٠٠١م.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٤ه (بدون طبعة).

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تح: زهير الشاويش وآخرون، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٢ه، ١٩٩١م.

Bernstein. Peter, Against the Gods: The remarkable story of risk, 305- 306, John Wiley & sons Inc., Canada, 1966 .

جهود فرديناند دي سوسور في علم الدلالة

Ferdinand De Saussure's efforts in semantics

الباحث الرئيس: د . سعيد شواهنة

جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية .

Saeedsh@najah.edu

الباحث المشارك: عمر سميح عيّاش

كلية الدراسات العليا–جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية

Omar2018ayyash@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ١٦/٦/٢٠٢٥م

تاريخ انتهاء التحكيم وإجازته للنشر: ١٠/٨/٢٠٢٥م

جهود فرديناند دي سوسور في علم الدلالة

د . سعيد شواهنة/ جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية .

عمر سميح عيّاش/ كلية الدراسات العليا–جامعة النجاح الوطنية، قسم اللغة العربية

المُستخلص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف جذور تأثير أفكار اللغوي السويسري فرديناند دي سوسور في علم الدلالة، من خلال كتابه: فصول في علم اللغة العام، ويستكشف جهوده التأسيسية لهذا العلم، ويقارب بينها وبين الأفكار العامة لعلم الدلالة.

يتبع البحث المنهج الوصفي، فقد درس كتاب سوسور فصول في علم اللغة العام، وتعمّق داخل الأفكار التي اجترحها، مستكشفا التواشج بين النظريات المختلفة في علم الدلالة، وأفكار سوسور.

ويجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

هل أسهمت أفكار سوسور في التأسيس لعلم الدلالة؟ وكيف تجلّى التواشج بين النظريات المختلفة في علم الدلالة وأفكاره؟ وإلى أي مدى اعتمد أصحاب تلك النظريات على أفكاره في صياغة نظرياتهم؟

الكلمات المفتاحية: فرديناند دي سوسور، علم الدلالة، النظرية الإشارية، النظرية التصورية، النظرية السلوكية، النظرية التوليدية.

Abstract

This research aims to explore the roots of the influence of the ideas of the Swiss linguist Ferdinand de Saussure on semantics, through his book, Chapters in General Linguistics. It explores his efforts in establishing semantics and compares them with the general ideas of semantics.

The research follows a descriptive approach. It examines Saussure's book, Chapters in General Linguistics, delving into the ideas it articulated, and exploring the interconnections between various theories of semantics and Saussure's ideas.

The research answers the following questions: Did Saussure's ideas contribute to the establishment of semantics? How did the interconnections between various theories of semantics and Saussure's ideas manifest themselves? To what extent did the proponents of these theories rely on Saussure in their findings?

Keywords: Ferdinand de Saussure, semantics, semiotic theory, conceptual theory, behavioral theory, generative theory.

مقدمة

يسعى هذا البحث إلى تتبع جذور تأثير عالم اللغة السويسري: فرديناند دي سوسور في حقل علم الدلالة واستكشافها، وذلك من خلال كتابه الوحيد بين أيدينا: فصول في علم اللغة العام، أو علم اللغة العام، بحسب اختلاف الترجمات المختلفة للعنوان، فهناك أكثر من ترجمة للكتاب[١]، تختلف وتتفق فيما تقدمه. وقد اعتمدنا على ترجمة يوئيل يوسف عزيز[٢]، إذ نراها الأدق من حيث الدقة الاصطلاحية.

وكما هو معلوم، فإن هذا الكتاب، في أصله، هو محاضرات ألقاها سوسور في جامعة جنيف، في أواخر حياته، ولم ينشرها في كتاب، بل نشرها تلميذاه: شارل بالي، وألبرت سيكاهي، في العام ١٩١٦، أي: بعد ثلاث سنوات من وفاته.

تبرز أهمية سوسور في أنه حاول من خلال هذا الكتاب/ المحاضرات، تأسيس علم خاص باللغة، يُدرس دراسة وصفية مستقلة شأنها شأن سائر العلوم، في وقت كانت اللغة تُدرس دراسة تاريخية تزامنية، أو على حد وصفه دراسة ديكرونية[٣]، ليس هذا وحسب، إنما بما احتواه كتابه؛ حيث فتح باباً واسعاً للتأسيس على أفكاره، فانطلقت المناهج الأسلوبية، والبنيوية، والتفكيكية، والدلالية، كاعتماد هذه المناهج في فكرة الثنائية التي اجترحها سوسور، معتمدةً على ما جاء في كتابه فصول في علم اللغة العام.

لقد آثرتُ أن أبحث في كتاب سوسور وداخل الأفكار التي اجترحها عن كل ما يتصل بجهوده في علم الدلالة، ولاحظت بعد ذلك مدى التواشج بين النظريات المختلفة في علم الدلالة، وأفكار سوسور، ووجدت ترابطاً جعلنا ندعم الاعتقاد السائد أن أصحاب تلك النظريات اعتمدوا على سوسور فيما وصلوا إليه، كثنائية الدال والمدلول مثلاً، فقد اعتمدت عليها النظريتان الإشارية والتصورية، إلى غير ذلك من الوشائج المختلفة التي سأبينها في البحث.

وقد وجدتُ، أيضاً، أن جهوده لم تقتصر فقط على النظريات التي استفاد منها علماء الدلالة، إنما لتنظيره أيضاً في اللغة، وتفصيله لدورها، وتمييزه بينها وبين اللسان والكلام، ولتعريفه اللغة

---

١ الترجمة الأولى لصالح القرمادي ومحمد عجينة ومحمد الشاوش ١٩٨٥ بعنوان "دروس في الألسنية العامة" ، ثم الترجمة الثانية ليوسف غازي ومجيد نصر ١٩٨٦ بعنوان "محاضرات في الألسنية العامة"، ثم الترجمة الثالثة لأحمد نعيم الكراعين ١٩٨٥، بعنوان "فصول في علم اللغة العام"، تلتها الترجمة الرابعة ليوئيل يوسف عزيز سنة ١٩٨٥، بعنوان "علم اللغة العام". أما الترجمة الخامسة لعبد القادر القنيني ١٩٨٧، بعنوان "محاضرات في علم اللسان العام".

٢ دي سوسور، فرديناند. (١٩٨٥). علم اللغة العام. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. د.ط. دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر. بغداد

٣ يقصد سوسور بالديكرونية التعاقبية التاريخية.

بأنها نظام اجتماعي، وحديثه عن الثنائيات، والأصوات، والفسلجة[1] الصوتية، وتاريخ علم اللغة، وموضوعه، وحديثه عن علم لغة الكلام، والعناصر الداخلية والخارجية فيه، وكذلك حديثه عن النظام الصوتي، والفونولوجي، ومبادئه العامة، كل تلك، أسهمت في أن فتحت الباب على مصرعيه لمن جاء بعده، وكأنما هي حدود وقواعد وتصورات ملموسة مهدت الطريق، ليس للدلاليين وحسب، إنما لسائر المناهج والتيارات التي جعلت اللغة أساساً في دراستها.

بقي فقط، أن نشير إلى ما يقوله شارل بالي إن سوسور "لم يدرس في كتابه علم اللغة العام، أو في كتبه الأخرى، ومحاضراته علمَ الدلالة بصورة منتظمة"[2]، ويبدو أن سوسور كان يميل إلى هدف أسمى وهو تأسيس علم للغة، يجمع تحت مظلته مجموعة كبيرة من العلوم اللغوية، من بينها علم الدلالة، لذا، فإن ما نبحث عنه من آثار سوسور وجهوده في علم الدلالة ما هي إلا استنتاجات متفرقة من كتابه، يمكن أن تشكل لبنات أساسية بني عليها علم الدلالة لاحقاً.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تنوع أفكار سوسور وغناها في كتابه فصول في علم اللغة العام، واتساعها ليشمل تأثيرها جوانب متعددة من علم اللغة، وامتداد تأثيرها في نظريات علم الدلالة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تتبع جذور تأثير أفكار عالم اللغة السويسري: فرديناند دي سوسور في حقل علم الدلالة، وذلك من خلال كتابه الوحيد بين أيدينا: فصول في علم اللغة العام، ويتوغل البحث في كتاب سوسور، وداخل الأفكار التي اجترحها، عن كل ما يتصل بجهوده في علم الدلالة، ولاحظنا، بعد ذلك، مدى التواشج بين النظريات المختلفة في علم الدلالة، ونظريات سوسور وأفكاره.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على عملية تأثّر المدارس الدلالية بأفكار سوسور، مما يفتح المجال لدراسة الأسس النظرية التي قامت عليها.

---

١ يقصد بالفسلجة كيفية نطق الأصوات من خلال الأعضاء بالإضافة إلى دراسة أعضاء النطق، ينظر في: دي سوسور، فردينان. (١٩٨٥). علم اللغة العام. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. د.ط. دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر. بغداد ص٥١.

٢ ينظر في مقدمة الكتاب: دي سوسور، فردينان. (١٩٨٥). علم اللغة العام. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. د.ط. دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر. بغداد، ص٣٤

منهج البحث:

اتبع البحث منهجاً وصفياً قائماً على قراءة جهود سوسور الدلالية، ومحاولة إجراء مقاربة بينها وبين الأفكار العامة لعلم الدلالة، التي لها، هي الأخرى، تيارات وتصورات ونظريات، تختلف وتتفق، مع بعضها بعضاً. لذا كان المصدر الأساسي لهذا البحث هو كتاب علم اللغة العام لفرديناند دي سوسور، وقد وجدت نزراً يسيراً مما كتبَ عن جهوده في علم الدلالة، لعل أبرزها بحث بعنوان: جهود فرديناند دي سوسور في علم الدلالة، وهو بحث للطالبة: عبلة الشريفي، من جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر، حيث إن الباحثة عرجت بشكل غير عميق على جهوده، دون أن تحلل بشكل دقيق تلك الجهود، التي أسهمت في تكوين علم الدلالة، أما الجديد في بحثنا هو التعمق في جهود سوسور من خلال كتابه بشكل دقيق، واستكشاف تأثيره في علم الدلالة من خلال الأفكار والنظريات الحديثة التي أتت بعده.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث. أما الأقسام السبعة فكانت كالآتي:

-الأطر العامة الممهدة لعلم الدلالة عند سوسور: وفيها درست الفصول الثمانية التي سبقت الجزء الأول من كتابه فصول في علم اللغة العام، والغالب أن هذه الفصول تقع في علم اللغة العام، والصوت، وفقه اللغة، وغيرها من المباحث، حيث درست أثرها في تكوين علم الدلالة.

-سوسور وتأسيس علم الإشارات/ العلامات: وفيها درست دعوة سوسور غير المسبوقة لتأسيس علم الإشارات، الذي هو من ضمن مباحث علم الدلالة.

-طبيعة الإشارة اللغوية- ثنائية الدال والمدلول: وفيها درست تعريف سوسور لطبيعة الإشارة اللغوية، التي أثرت على علم الدلالة، وكذلك ثنائية الدال والمدلول، وأثرها في علم الدلالة.

-سوسور والنظرية الإشارية: وفيها درست أثر سوسور في النظرية الإشارية.

-سوسور والنظرية التصورية: وفيها درست أثر سوسور في النظرية التصورية.

-سوسور والنظرية السلوكية: وفيها درست أثر سوسور في النظرية السلوكية.

-سوسور والنظرية التوليدية: وفيها درست أثر سوسور في النظرية التوليدية.

المبحث الأول: الأطر العامة الممهدة لعلم الدلالة عند سوسور

إن سوسور يعتبر اللغة نظاماً من العلامات، وليس مجرد مجموعة من الكلمات أو الأصوات، وبالتالي فإن علم اللغة الذي "يدرس اللغة من أجل ذاتها"[١] يختلف عن علم الدلالة الذي هو "دارسة المعنى"[٢]. ومجالاته التي تشمل كل ما يتصل بدراسة الدلالة سواء أكانت خاصة باللفظ المفرد أو الجملة[٣]، وقد سعى سوسور لتقديم مجموعة من المفاهيم، وترسيخ بعض الأطر، ورسم بعض القواعد، وإرساء بعض التصورات التي تنصب جميعاً لتأسيس مفهوم شامل ومتصور لعلم اللغة العام، ومحاولة رسم مراحل متصورة لعلم اللغة تتمثل "بالقواعد والفيلولوجيا (فقه اللغة) وفقه اللغة المقارن"[٤]، فهذه المراحل الثلاث هي التي مر بها علم اللغة، أو هي الحقائق التي يتصورها علم اللغة، فهو يرى أن هذه اللازمات الثلاثة هي التي يهتم بها علم اللغة، وهذه التقسيمات ليست منقطعة ومحددة إلا فيما بينها، أما كل مرحلة فهي تتضمن مجموعة من الأنساق اللغوية، والتحليلات، والظواهر[٥].

لقد وضح سوسور موضوع علم اللغة ومجاله، وكذلك وضح علاقته بالعلوم الأخرى، فمثلا هو يرى أن "مجال علم اللغة يجب أن يتضمن أشياء ثلاثة، وهي: وصف تاريخ جميع اللغات المعروفة ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة على قدر المستطاع. وتحديد القوى التي تعمل بصورة دائمية وعامة في جميع اللغات، واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التاريخية الخاصة. بالإضافة إلى تحديد معالم هذا العلم وطبيعته"[٦].

إضافة إلى ذلك، عرّف سوسور مفهوم اللغة من أكثر من جانب، حيث يرى "أنها العلم الذي يدرس الكلمة، وبيّن أن الكلمة هي صوت وتعبير وفكرة من عدة زوايا، حيث إنها انطباع صوتي للأذن، وصوت من عضو النطق، كما أن هذا الصوت وحدة مركبة من نطق وسمع، يرتبط بفكرة ليكون وحدة فسيولوجية سيكيولوجية (وظيفية نفسية) مركبة، وأخيرا فإن الكلمة نفسها لها جانب اجتماعي أيضاً"[٧]، قائم على "العرف اللغوي الاجتماعي"[٨]. كما عرف "اللغة بأنها جزء

---

١ السعران، محمود. (د. ت). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. د ط. بيروت، دار النهضة العربية. ص٥١

٢ سليمان، فتح الله. (١٩٩١). مدخل إلى علم الدلالة. ط١. القاهرة، مكتبة الآداب. ص٧

٣ جبل، عبد الكريم. (١٩٩٧). في علم الدلالة: دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. د ط. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية. ص٢٠

٤ دي سوسور، ١٩٨٥، ص١٩

٥ دي سوسور، ١٩٨٥، ص١٩

٦ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٢٤

٧ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٢٦

٨ الداية، فايز. (١٩٩٦). علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق دراسة تاريخية- تأصيلية- نقدية. ط٢. دمشق، دار الفكر. ص١٨

من اللسان، فهي نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وبذلك، يصل سوسور إلى أن اللغة كيان موحد قائم بذاته، وهي بذلك تحتل العنصر الأول بين عناصر اللسان"[١]. إضافة إلى ذلك، "فاللغة أيضاً، نظام اجتماعي، ونظام من الإشارات"[٢].

يحدد سوسور العملية الإجرائية الفيزيائية للكلام، وذلك من خلال تحديد نطاق هذه العملية التي تحدث بين فردين في أقل مستوى، وهذان الفردان يتواصلان بينهما، حيث تتكون العملية الكلامية/ اللغوية من مرسل ومستقبل، أي: من العملية السمعية والعملية الصوتية، ويتحدث عن وجود جانب سيكولوجي، وجانب ذهني، وجانب فسلجي، وما يهمنا هنا هو الجمع بين الصوت والفكرة في ذهن المتكلم، المرسل أو المستقبل، ومن ثم، ينتج عن ذلك "صور أو انطباعات ذهنية واحدة؛ لأن جميعها تحدث في عقول المتكلمين"[٣]. ثم يوضح سوسور مميزات اللغة بأنها محددة، ومختلفة عن الكلام، ومتجانسة، وملموسة، فهي نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعنى والصور الصوتية، وكلا طرفي الإشارة سيكولوجي[٤].

ويوضح سوسور الفرق بين علم اللغة، وعلم الكلام، وعلم لغة الكلام، ويوضح أن هناك عناصر داخلية وخارجية للغة، تؤدي دورا أساسيا في تكوينها، وفي دراستنا لها، ويوضح أن "الهدف الملموس لعلم اللغة هو النتاج الاجتماعي المخزون في دماغ كل فرد من أفراد مجتمع ما، ونقصد بذلك اللغة، ولكن هذا النتاج يختلف باختلاف المجموعات اللغوية، إذاً علينا أن ندرس لغات وليس لغة واحدة؛ لذا يضطر اللغوي إلى أن يلم بأكبر عدد ممكن من اللغات، كي يحدد العناصر العامة المشتركة بينها، ويكون ذلك عن طريق الملاحظة والمقارنة"[٥].

يتحدث أيضاً، عن تأثير الكتابة، وأسباب تقديمها وفق الشكل المنطوق، فاللغة والكتابة عنده نظامان متمايزان من الإشارات والهدف الوحيد الذي يسوغ وجود الكتابة هو التعبير عن اللغة، وكذلك تحدث عن أنظمة الكتابة وهما: النظام الصوري والنظام الصوتي، ثم بين الأسباب التي تؤدي إلى عدم الانسجام بين الكتابة واللفظ، ثم عرف النظام الصوتي، وتحدث عن الكتابة الصوتية، ومتطلبات النظام الصوتي للكتابة، ثم عرف الفونيم، والمورفيم، وتحدث بالتفصيل عن الجهاز الصوتي، ووظيفته، وصنف الأصوات حسب النطق من الفم، وبين مخارج تلك الأصوات.

---

١ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٢٧

٢ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٤

٣ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٢

٤ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٣

٥ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٤٢

إن جميع المحاور التي تطرق إليها سوسور تمثل قاعدة للانطلاق في فضاء علم الدلالة، فلا يمكن أن نتخيل أن هذا العلم يمكن أن ينطلق من فراغ، لأن علم الدلالة يتضمن جميع الجوانب التي تحدث عنها سوسور؛ فمثلا التمييز بين علم اللغة وعلم الكلام بناء على قاعدة اجتماعية، أي: إن اللغة هي عبارة عن ظاهرة اجتماعية، بينما الكلام ظاهرة نطقية صرفة تحدث بين أفراد المجتمع تعتمد في الأساس على اللغة، يمكن أن يكون بمثابة لبنة أولى لدراسة المعنى في ضوء أن اللغة هي تعبير عن المجتمع، بمعنى آخر أن يدرس المعنى من زاوية التعبير الاجتماعي، أو الحقل الاجتماعي، أو السياق الاجتماعي، أو "الدلالة السياقية"[1] الاجتماعية، فهناك كثير من الكلمات تتغير دلالاتها بناءً على التغيير في المجتمع. وبناء على سياق الحال[2].

ومن الأمثلة الأخرى على ما ذكره سوسور في ما أسميته الأطر العامة التي مهدت لعلم الدلالة، دعوته إلى دراسة فقه اللغة المقارن، وهذه الدعوة خاصة بعلم اللغة؛ لاستكشاف القواعد العامة لكل لغة ومقارنتها مع لغة أخرى، إذ يمكن أن ينسحب ذلك أيضاً على علم الدلالة، فيدرس الباحث في علم الدلالة معاني الكلمة الواحدة بين لغتين مثلا أو عدة لغات، ويرى التغييرات التي طرأت على المعنى، أو يدرس استقبال تلك الكلمة في لغة ما في إطار المعنى حصراً والدلالة، ومثال ذلك كلمة كفر بالعربية، وانتقالها إلى الإنجليزية (cover) من العربية ، وكذلك كلمة شفّ العربية، وشيفون الفرنسية (chiffon)، وكلمة صفر العربية، وشيفرة الإنجليزية (cipher)، وغير ذلك من الكلمات. مع ملاحظة أن سوسور، أصلا، درسها، أعني: فقه اللغة المقارن، في باب علم اللغة ولم يدرسها في باب علم المعنى أو الدلالة، لكن، نلحظ أن ما أبداه سوسور يندرج في إطار خلق سبل معرفية من خلال التنظير يُسهم في علم الدلالة.

إن حديث سوسور عن دراسة الصوت المفرد، وربطه بالفكرة، يمكن أن يكون إسهاماً دلالياً أيضاً؛ فالكلمة الواحدة التي طالما شبهها مع الفكرة أو التصور الذهني كالورقة الواحدة: وجه للصوت، ووجه للمعنى، يمكن أن يدرس الصوت فيها وحدة ثابتة وخاصة بنفسه، يمكن أن يؤخذ لحقل الدلالة، ويدرس بنطاق المعنى، ومثال ذلك حروف العلة، فهي أصوات مستقلة في العربية (ا، و، ي)، هذه الحروف الثلاثة بمميزاتها الصوتية يمكن أن تدرس في موضعها من الكلمات دلالياً، وبيان أن لها معنى خاصاً بها، وإنني هنا، لا أعني، بالضرورة، المستوى المورفولوجي، إنما الدلالي، بمعنى أن المستوى الصرفي قد درسها زمنياً قبل أن يدرسها علم الدلالة، لكنه درسها في باب وجود قواعد قياس ثابتة للكلمات المجردة والمزيدة وفق صيغ ثابتة

---

١ نمر، هادي. (٢٠٠٧).علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ط١. إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع. ص٢٣٦.

٢ حيدر، فريد. (٢٠١١). فصول في علم الدلالة. ط٣. القاهرة، مكتبة الآداب. ص١٣٢-١٣٣.

ومحددة لا تتغير. إنني بالضرورة لا أعني هذا. إن ما عبر عنه سوسور بالصوت، وإن كان يعني به الجانب الفونيتيكي حصراً، فإن ذلك يعد إسهاماً دلاليا، لأن النظرية نفسها، أو الفكرة، يمكن أن تنقل إلى علم الدلالة.

إن ما ذكرته هنا في باب الأطر العامة الممهدة لعلم الدلالة هو خارج نظريات علم الدلالة، ويتصل بعلوم لغوية أخرى؛ فحديث سوسور في الفصول السبعة التي سبقت الجزء الأول من الكتاب، كان حديثا تأصيلياً عن علم اللغة العام الذي تضمن الحديث عن فلسفة اللغة، وتاريخها، والهدف منها، والجوانب الصوتية والكتابية، والنطقية، والعملية الفيزيائية للكلام، كله، يقع خارج حدود اهتمام علم الدلالة، لكنه، يتصل بها من حيث هي أنساق فكرية لغوية، أما الجوانب الأخرى البعيدة عن الدلالة، مثل الجانب الفيزيائي في الكلام، فإنه يسهم في دراسة جوانب أخرى من اللغة، لا تتعلق بالدلالة. ومن هنا، نرى الأهمية الكبرى في تلك الفصول السبعة في كونها مهدت، أو تمهد الطريق لعلم الدلالة، دون أن تكون بحد ذاتها، إسهاماً نظرياً أصيلاً أثر بشكل رئيس ومهم في علم الدلالة.

المبحث الثاني: سوسور وتأسيس علم الإشارات/ العلامات

لقد حاول سوسور في سياق حديثه عن هدف علم اللغة أن يحدد "مكانة اللغة نفسها بين الحقائق البشرية، وذلك بمقارنة اللغة نفسها، بنظام الكتابة، والألفباء الخاصة بالصم والبكم، والطقوس الرمزية"[1]، بمعنى أن سوسور حاول ربط اللغة بشيء محسوس ومدرك، حيث إن الكتابة والنطق ليسا–من وجهة نظره– محسوسين، بل يدخلان في دائرة اللا محسوس، وقد حاول ربط اللغة نفسها بظواهر محسوسة كالكتابة الألفبائية، أو بالحركات الجسدية كالطقوس الرمزية، أو بالحقائق الأنثروبولوجية، ويصل بذلك إلى القول بالحاجة إلى تأسيس علم للإشارات.

ومن اللافت للنظر أن هذا العلم، كما يتضح من حديث سوسور، لم يكن موجوداً، إنما تصوّره، حيث يقول: "يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات (وهي لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية: semiology الإشارة)"[2].

ثم يشير سوسور إلى ماهية هذا العلم، وما يدرسه، يقول: "ويوضح علم الإشارات ماهية مقومات الإشارات، وما هي القواعد التي تتحكم فيها، ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود

---

١ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٤

٢ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٤

إلى الآن، لم يمكن التكهن بطبيعته وماهيته، ولكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام، والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة ويحتل العلم الأخير مكانة محددة بين كتلة الحقائق الأنثروبولوجية"[١].

ويوضح سوسور أن علم الإشارة يجب أن يكون ضمن علم النفس، حيث إن دارس اللغة يجب أن يبحث في الإشارات التي تجعل من اللغة نظاما خاصا متمايزا عن معطيات علم الإشارات الذي يرى سوسور أن علم اللغة جزء منه، أي من علم الإشارات.

المبحث الثالث: طبيعية الإشارة اللغوية: ثنائية الدال والمدلول

اجترح سوسور ثنائية الدال والدلول، وربطها بطبيعة الإشارة اللغوية، لتصبح هذه الثنائية مزيجاً غير قابل للفصل، ولتتحول الإشارة نفسها عند سوسور إلى شيء واحد، فالعنصران: الدال والمدلول يرتبطان بعلاقة تلازمية، ويشبه سوسور في غير موضع من كتابه هذين العنصرين بالورقة البيضاء ذات الوجهين، يمثل الدال منها وجهاً، والمدلول وجهها الآخر. إن الإشارة اللغوية التي يتحدث عنها سوسور هنا والتي تتكون من الدال والمدلول، يبدو أنها امتداد لما وصفه في الفصل الثالث بعلم الإشارات العام، فالإشارة اللغوية عنده هي الجزء الذي يفترض أن يكون محسوساً قياسا بباقي العلوم التي تحدث عنها في معرض حديثه في الفصل الآنف الذكر عن الإشارات اللغوية، فليس ثمة ما يميز اللغة عن غيرها من الأشياء سوى الإشارة، فالإشارة، هي اللفظ المنطوق أو المكتوب الذي يحمل فكرة؛ فاللغة من وجهة نظر سوسور هي "عملية لتسمية الأشياء ليس إلا، أي إنها قائمة من الألفاظ، كل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه"[٢]، "فالإشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية"[٣].

إن هذه الفكرة عند سوسور، أخذها "بالمر" موظفاً إياها في علم الدلالة، حيث إنه عالج تلك الثنائية ضمن تصوره لنظام اللغة، فهو كأنما يقوم بالاستناد إلى مقياس ليتصور نظام اللغة نفسها، يقول بالمر في سياق حديثه عن الدال والمدلول: "إن اللغة يمكن أن ننظر إليها باعتبارها نظام اتصال يجعل شيئاً ما على اتصال بشيء آخر، رسالة من ناحية ومجموعة من العلاقات أو الرموز من ناحية أخرى، وقد أشار سوسور إلى هذه باعتبارها دالا ومدلولا، ومما يؤسف له أنه استخدم مصطلح علامة في الإشارة إلى ترابط هذين العنصرين، لكن بعض أتباعه المحدثين استخدموه

---

١ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٣٤

٢ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٨٤

٣ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٨٤

للدال وحده وهذا أكثر قبولا"[1]. إن حديث بالمر عن العلامة يختص عنده بالدال فقط، رغم أنه زاوج بين الدال والمدلول، لكنما كان يعتقد أن كلمة الإشارة يجب أن تطلق على الدال فقط، لا على الدال والمدلول معاً؛ لأنه يعتبر أن الدال إشارة على المدلول، لأن حديثه هنا خاص بالدلالة، فهو يريد أن الإشارة هي الدال، والمعنى هو المدلول، لكن سوسور استخدم الإشارة للدلالة على كليهما معا، لأنه عالج الثنائية هنا في فضاء علم اللغة العام، وليس علم الدلالة.

يتحدث، أيضاً، سوسور عن الجانب النفسي في العلاقة بين الدال والمدلول، والجانب الذهني، والعلاقة بينهما، يقول: "إن العنصرين اللذين يدخلان في الإشارة اللغوية هما ذوا طبيعة سيكولوجية يتحدان في دماغ الإنسان بآصرة التداعي وهذا أمر ينبغي تأكيده، فالإشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء والتسمية، ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت، بل الصورة السيكيولوجية للصوت، أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس. إذن فالصورة الصوتية هي حسية وإذا حدث وأن وصفتها بأنها مادية، فإنما أعني بذلك في طبيعتها الحسية.

الإشارة اللغوية هي كيان سيكولوجي له جانبان يمكن التعبير عنه بالرسم الآتي:

إن الصلة وثيقة بين الجانـ حي بالآخر، فسواء أردنا أن نجد معنى الكلمة التي تستخدمها اللاتينية للدلالة على ـة، فمن الواضح أن الارتباطات التي تقرها اللغة مطابقة للحقيقة. فكلمة شجرة تسمى بالإشارة، لا لسبب، إلا لأنها تحمل فكرة الشجرة، ويؤدي ذلك إلى أن الفكرة الحسية تنطوي على فكرة الكل"[2].

لقد تلقف الدلاليون هذه الثنائية ووظفوها في دراساتهم الدلالية، فأصبحت كلمة الدال مختصة باللفظ أو الكلمة، وأصبحت كلمة المدلول متعلقة بالمعنى حصراً، فمثلا: "هناك فرق بين الكلمات والموجودات؛ فكلمة الكرسي ليست كرسيا، بل هي كلمة تشير إلى الشيء الذي ندعوه كرسيا. هناك التعبير اللغوي، وهناك الموجود الخارجي، والتعبير اللغوي جزء من اللغة، ولكن الموجودات الخارجية جزء من العالم، فالدلالة هي علاقة بين التعابير اللغوية والموجودات الخارجة. إننا نسمي التعبير الذي يشير إلى الموجود الخارجي المعين تعبيرا دالا، ونسمي الموجود الخارجي

١ بالمر، ف.ر. (١٩٩٥). علم الدلالة: إطار جديد. ترجمة: صبري إبراهيم السيد. ط٢. دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، ص١٦

٢ دي سوسور، ١٩٨٥، ص٨٦

المحدد الذي يشير إليه تعبير الدال مدلولاً، فالعلاقة بين التعبير الدال والمدلول هي دلالة، ويتحصل لنا ثلاثة مصطلحات مهمة هي: دلالة ودال وتعبير مدلول"[1].

إلى غير ذلك، لقد أصبح من الواضح أن علم الدلالة، يعتمد بشكل أساسي على أمرين: الكلمة والمعنى، "فالكلمة هي الوحدة الأساسية للنحو وعلم الدلالة"[2]. ونجد الدلاليين أنفسهم يسقطون مبدأ سوسور على التقسيم نفسه، فالواضح أنهم أخذوا الدال ليدل على الكلمة نفسها، وأخذوا المدلول ليدل على معنى الكلمة، وهذا يعتمد منطقياً على ثنائية سوسور الدال والمدلول.

إن ثنائية سوسور، يعتبرها الدلاليون علامة فارقة، بالمعنى الإيجابي في علم الدلالة، فهم يعتبرون أن سوسور في هذا التصور هو من أرسى دعائم علم الدلالة، وهو المؤسس الفعلي له، يقول "جيرمان" مثلاً في ضوء دراسته للعلاقة بين الكلمة والشيء، وبين المدلول والتصور: "إن معنى الطاولة هو الموضوع المادي للطاولة، غير أن هذا التصور للعلامة اللغوية ليس بالأمر الهين، ففي الواقع نحن لا نصور بوضوح مدلولات معظم الصفات كجيد وجميل، والأفعال مثل يمشي، أو بعض أصناف الخطاب كحروف الجر وأدوات الربط. وعلاوة على ذلك ما هو موقفنا من الكلمات المجردة مثل الحرية، حتى ولو أن كلمة أو عبارة توافق موضوعا ماديا مثلا، فليس من الضرورة التطابق بين المدلول والدلالة. فنجم المساء ونجم الصباح عبارتان ليستا لهما نفس الدلالة مع أن لهما مدلولا واحدا، وهو الكوكب. لا بد، هنا، من إضافة أن حدود الحقيقة تكون غامضة في بعض الأحيان"[3].

إن الدلاليين يعتمدون على فكرة سوسور في نظرتهم، إنهم بحاجة إلى ذلك التصور الذي يجعل الكلمة التي هي موضع دراستهم دلالياً تنقسم قسمين متمايزين متجاورين، وقد وجدوا في ثنائية سوسور ذلك، "لأن طريقة تصور المعنى تكون بإنشاء علاقة بين كلمة ما والحقيقة بواسطة التصورات. في ضوء هذا المعنى فإن دلالة كلمة طاولة لم تعد الموضوع المادي لكلمة طاولة، ولكنها الفكرة أو التصور للطاولة، هذا التصور الذي يتصل بحقيقة الطاولة، وحتى ندرك جيدا بماذا يتعلق نعود إلى تصور سوسور"[4].

لقد زاوج سوسور بين الدال والجانب النفسي، والجانب التصوري، في حديثه عن الجهاز النطقي، "بالنسبة لسوسور إن العلاقة اللسانية ذات الطبيعة النفسية أساسا تكون جوهرا ذا وجهين،

---

١ الخولي، محمد علي. (٢٠٠١). علم الدلالة: علم المعنى. ط١. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن، ص٢٦

٢ لايز، جونز. (١٩٨٠). علم الدلالة. ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون. د ط. البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ص١٣-١٤.

٣ جرمان، كلود، وريمون، لوبلون. (١٩٩٧). علم الدلالة. ترجمة: نور الهدى لوشن. ط١. منشورات دار القبس. بنغازي، ص١٧-١٨

٤ جرمان، وريمون،١٩٩٧، ص١٨-١٩

مهيئا لتداعي المفهوم، والمدلول والصورة السمعية أو الدال، والدلالة هي العلم الذي يهتم بدقة بوجه مدلول العلامة اللغوية، زد على ذلك أن سوسور بنظريته حول العلامة اللغوية يعدّ من طرف معظم اللسانيين المؤسس الحقيقي لعلم الدلالة المعاصر، إلا أن الذي يجب فهمه من المدلول ليس واضحا؛ إذ يعد في بعض الأوساط مرادفا لشيء، وفي موضع آخر يعني التصور أو الفكرة، يعني جوهر علم النفس أو المنطق، وبعد سوسور بدأ السعي لإعطاء مفهوم دقيق لهذا التصور للعلوم اللغوية."[1]

إن الأعم الأغلب من الدلاليين، اعتمدوا على مبدأ الاعتباطية في العلاقة بين الدال والمدلول من حيث المعنى، فالكلمات عندهم ليس بينها وبين معناها أي رابط غير الرابط الذهني العقلي النفسي المنطقي (التلازمي)، وهذا ما رمز عليه سوسور في حديثه عن العلاقة بين الدال والمدلول، يقول سوسور: "فالإشارة اللغوية لها صفة جوهرية وهي: الطبيعة الاعتباطية للإشارة. إن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، ولما كنت أعني بالإشارة النتيجة الإجمالية للارتباط بين الدال والمدلول، تهيأ لي أن أقول، بأسلوب أبسط إن الإشارة اللغوية اعتباطية؛ فمثلا فكرة الأخت (sister) لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الاصوات التي تقوم بوظيفه الدال في اللغة الفرنسية، هذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر"[2].

المبحث الرابع: سوسور والنظرية الإشارية

"كان أوجدن وريتشارد في كتابهما المشهور معنى المعنى أول من طور ما يمكن أن يسمى بالنظرية الإشارية/ إذ "حاولا دراسة الصلة بين الأفكار والكلمات والأشياء"[3]، ويمكن توضيح النظرية الإشارية بالمثلث الآتي:

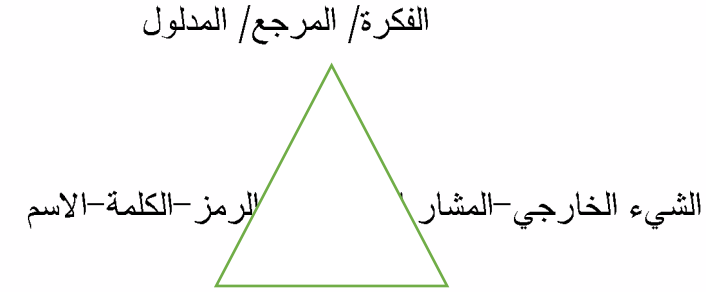

١ جرمان، وريمون،١٩٩٧، ص١٨-١٩

٢ دي سوسور،١٩٨٥، ص٨٦-٨٧

٣ إبراهيم، مجدي. (٢٠١٤). بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين. ط١. الإسكندرية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر. ص٢٦

هذا الرسم يميز ثلاثة عناصر مختلفة للمعنى، ويوضح أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز، والشيء الخارجي الذي تعبر عنه، والكلمة عندهما تحوي جزأين هما صيغة مرتبطة بوظيفتها الرمزية، ومحتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع"[1].

لقد تأثر السلوكيون هنا أولا بثنائية الدال والمدلول، شأنهم شأن غيرهم، وأخذوا بتصور سوسور الذي يتعلق باعتباطية العلاقة. "إن الفكرة عن الطبيعة المزدوجة للكلمة باعتبارها صيغة ومحتوى ترجع إلى عهد دي سوسور الذي أكد الطبيعة المزدوجة للرمز عن طريق مثاله القياسي الذي قدمه حيث شبهه بقطعة من الورق ذات وجهين، فكما لا يمكنك أن تقطع أحد الوجهين دون الآخر فكذلك لا يمكن أن تفصل جانبي الرمز عن الآخر لأنهما مرتبطان ارتباط جانبي الورقة"[2].

لقد تأثر السلوكيون بسوسور، لكنهم أيضاً لم يتفقوا معه على مفهوم الإشارة، التي بقيت عندهم غير مرتبطة بذلك التصور، الذي اعتبرها نتيجة لاجتماع دال مع مدلول، إلا أنها عندهم تختلف، "لأن النظرية الإشارية تعني أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها"[3].

المبحث الخامس: سوسور والنظرية التصورية

"إن النظرية التصورية تعتبر اللغة وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار أو تمثيلا خارجيا ومعنوياً لحالة داخلية، وهي ما يعطي تعبيرا لغويا معينا استعماله باطراد (في التفاهم) كعلامة على فكرة معينة، فالأفكار التي تدور في أذهاننا تمتلك وجودا مستقلا، ووظيفة مستقلة عن اللغة، وإذا قنع كل منا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة، وأنه فقط شعورنا بالحاجة إلى نقل أفكارنا الواحد إلى الآخر هو الذي يجعلنا نقدم دلائل (قابلة للملاحظة على المستوى العام) على أفكارنا الخاصة التي تعتمل في أذهاننا".[4] إن النظرية التصورية تعتمد على ما قاله سوسور من أن الكلام هو وسيلة منطقية لتوصيل الأفكار، وتعتمد على ما أسماه سوسور بالتصور الذهني للكلمة، فالتصور الذهني هو عمليا مرتكز أساسي لفهم الكلام، وقد وضح ذلك سوسور عندما فصّل العملية الصوتية الفيزيائية المكونة من شخصين، وقال بأن التصور الذهني ذاته أيضاً مرتبط بجانب سيكولوجي عند كل من المتحدث والسامع.

إن وجود فكرة تصورية عند سوسور شيء أساسي لكي تكتمل دائرة السامع والمتلقي، أما بالنسبة للنظرية التصورية "فتقتضي بالنسبة لكل تعبير لغوي، أو لكل معنى متميز للتعبير اللغوي

---

١ عمر، أحمد مختار. (١٩٨٥). علم الدلالة. ط١. عالم الكتب. القاهرة، ص٥٤-٥٥

٢ عمر، (١٩٨٥)، ص٥٥

٣ عمر، (١٩٨٥)، ص٥٥

٤ عمر، (١٩٨٥)، ص٥٧

أن يملك فكرة، وهذه الفكرة يجب أن تكون حاضرة في ذهن المتكلم، ويجب على المتكلم الذي ينتج التعبير أن يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة المعينة موجودة في عقله، في ذلك الوقت، وأن التعبير يجب أن يستدعي الفكرة نفسها في عقل السامع."[1] إننا نجد الأمر متشابهاً، مما يدل على أن تأسيس سوسور لفكرة التصور الذهني ساهم بشكل عميق وأولي في بناء النظرية التصورية. "لأن هذه النظرية تركز على الأفكار والتصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد معنى الكلمة، أو ما يعنيه المتكلم بكلمة استعملها في مناسبة معينة، سواء اعتبرنا معنى الكلمة هو الفكرة، أو الصورة الذهنية، أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة"[2].

المبحث السادس: سوسور والنظرية السلوكية

تحدث سوسور في سياق كلامه عن اللغة، وموقعها من حقائق اللسان عن عنصرين مكونين للعملية الفيزيائية للكلام، وقد أطلق عليه ما يسميه بالدائرة الكلامية، وهي شخصان يتحدثان مع بعضهما، يقول: "لنفرض أن بداية الدائرة هي في دماغ (أ) حيث ترتبط الحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من الأصوات اللغوية (الصور الصوتية) التي تستخدم للتعبير عن هذه الأفكار، فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها، وهذه الظاهرة السيكولوجية تتبعها عملية فسلجية، إذ يرسل الدماغ إشارة مناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات فتنتقل الموجات الصوتية من فم الشخص (أ) إلى الشخص (ب)، ولكن بأسلوب معكوس، إذ تسير الإشارة من الأذن إلى الدماغ، وهو إرسال فسلجي للصورة الصوتية، ويتم في الدماغ الربط السيكولوجي بين الصورة والفكرة، فإذا تكلم الشخص (ب) بدأ فعل جديد من دماغه إلى دماغ الشخص (أ)، متبعا خط السير نفسه الذي سار فيه الفعل الأول مارا بالمراحل نفسها".[3]

إن عناصر الدائرة الكلامية التي رسمها سوسور هي: مرسل ومستقبل وعناصر فيزيائية وعناصر فسلجية وعناصر سيكولوجية، يقول: "إن العناصر السيكولوجية (صور الكلمات والأفكار) تتميز عن الصوت نفسه، إن هذه الصور إنما هي سيكولوجية، كما أن الأفكار التي ترتبط بها سيكولوجية، ويمكن تقسيم الدائرة إلى:

١-جزء خارجي: الرنات الصوتية.

٢-جزء سيكولوجي وآخر غير سيكولوجي، ويضم الجزء الثاني الأعمال الفسلجية التي تقوم بها الأعضاء المنتجة للصوت، كما يضم الحقائق الفيزيائية الواقعة خارج الفرد.

---

١ عمر، (١٩٨٥)، ص٥٧

٢ عمر، (١٩٨٥)، ص٥٨

٣ دي سوسور،١٩٨٥، ص٢٩-٣٠

٣-جزء إيجابي فعال وآخر سلبي فعال، فكل شيء ينتقل من مركز الارتباط للمتكلم إلى أذن السامع هو إيجابي فعال، وكل شيء ينتقل من أذن السامع إلى مركز الارتباط عنده هو سالب غير فعال.

٤-تقوم كل الأشياء الفعالة في الجزء السيكولوجي من الدائرة بدور التنفيذ."[١]

إن هذا التصور الدقيق للعملية الكلامية، يشي بوجود عاملين: الأول مؤثر، وهو المتكلم، والثاني متأثر، وهو السامع، ثم إن العملية في شكلها الكلي تصبح كالدائرة، فالسامع الذي كان متأثرا، يصبح هو أيضاً مؤثرا بفضل تكلمه، وهذه الدائرة التي رسمها سوسور، تطرح فكرة قد تقودنا إلى اليقين بأن أصحاب النظرية السلوكية قد استشفوا أفكارهم في نظريتهم من حديث سوسور، الذي تضمن صراحةً الحديث عن الجانب التأثيري ودوره في الكلام، ناهيك عن أن سوسور قد طابق بين الصوت/الكلمة والبعد السيكولوجي، كما طابق بينه وبين التصور الذهني.

إن حديث سوسور عن الاتصال الناتج من خلال العملية الفيزيائية للكلام نجده بوضوح في النظرية السلوكية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن حديث سوسور كان في موضع الجانب التواصلي الفيزيائي ضمن إطار علم اللغة، أما الاتصال عند السلوكيين فأتى ضمن دائرة الجانب السيكولوجي، "فالنظرية السلوكية تركز على ما يستلزمه استعمال اللغة في الاتصال، وتعطي اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانيةً، وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة والتصور"[٢].

فكما أن الجانب النفسي والتبادلي موجود في العملية التواصلية عند سوسور، فإن الكلام يتضمن السلوك عند السلوكيين، "ويمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات لمثيرات ما تقدمها البيئة والمحيط"[٣].

المبحث السابع: سوسور والنظرية التوليدية

يشير سوسور إلى تحديد نطاق علم اللغة وهدفه، محددا مجاله الذي يجب أن يشتمل على: "وصف تاريخ جميع اللغات المعروفة، ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة، على قدر المستطاع، وتحديد القوى التي تعمل بصورة دائمية وعامة في جميع اللغات، واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التاريخية الخاصة"[٤].

---

١ دي سوسور،١٩٨٥، ص٣١

٢ عمر،١٩٨٥، ص٥٩

٣ عمر، ١٩٨٥، ص ٦٠

٤ دي سوسور،١٩٨٥،ص٢٤

إن حديث سوسور، نجده ماثلاً عند تشومسكي في النظرية التوليدية، وتحديداً فيما أسماه تشومسكي بالعموميات اللغوية: "ويعني أن جميع اللغات متشابهة في بنياتها الداخلية وهو ما يفسر خضوع التركيب في أي لغة لتلك المدخلات العميقة"[١].

كذلك يقول سوسور: اللغة موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات مخزونة في دماغ كل فرد من أفراد مجتمع معين"[٢]. إن الهدف الملموس لعلم اللغة هو النتاج الاجتماعي المخزون في دماغ كل فرد من أفراد مجتمع ما، ونقصد بذلك اللغة، لذا يضطر اللغوي إلى أن يلم بأكبر عدد معين من اللغات، كي يحدد العناصر العامة المشتركة بينها، ويكون ذلك عن طريق الملاحظة والمقارنة[٣].

"إن الأداء اللغوي يمثل ظاهرة الخطاب في النظرية التوليدية، والكفاية اللغوية تمثل حقيقة الخطاب، وعلى اللغوي كما يقول تشومسكي ألا يبني أحكامه على بنية اللغة السطحية، بل عليه أن يصل إلى البنية التحتية العميقة ليطّلع على القواعد الذهنية التي تنتظم اللغة، وقد توصل تشومسكي إلى أن العقل الإنساني يحوي آلية مكونة من مجموعة قواعد متناهية بمقدورها تحليل الجمل ومساعدة متكلم اللغة على إنتاج جمل لا متناهية بمعجم لغوي متناه، فضلا على فهم الجمل التي لم يسبق له أن سمعها، ورصد الالتباس الحاصل في الجملة[٤]". وبعبارة أخرى "مجموعة متناهية من المبادئ الصوريّة التّي تصف إجمالا المجموعة اللامتناهية من الأبنية التّي يحكم المتكلّم بكونها تكوّن جملا ممكنة في اللغة"[٥].

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

بناء على ما سبق، يتضح لنا أن سوسور كان له أثر كبير، في إطلاق علم الدلالة إلى حيز الوجود، بل يمكن اعتباره الأساس الفعلي، واللبنة الأولى لعلم الدلالة. ويتلخص أثره في:

أولا: أنه وضع الأطر العامة التي أُسِّسَ عليها علم الدلالة، والتي لولاها، لما نشأ علم الدلالة؛ فهي منطلقات وأسس كلية.

---

١ عبد الجليل/ منقور. (٢٠٠١). علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي. د.ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، ص٩٧

٢ دي سوسور،١٩٨٥، ص٣٨

٣ دي سوسور،١٩٨٥، ص٤٢

٤ عبد الجليل،٢٠٠١، ص٩٦-٩٧

٥ جاكندوف، راي. (٢٠١٠). علم الدلالة والعرفانية. د ط. تونس، دار سيناترا. ص٥٤

ثانياً: أنه أرسى طروحات عامة وعميقة، كالدال والمدلول، ونظريته في اللغة، والعملية التواصلية، وبنى الدلاليون، أساسيا، نظرياتهم على تلك الطروحات.

إنه في ضوء ذلك، لا نجد أي منهج أو نظرية، في علم الدلالة، إلا وتستلهم ذاتها وأفكارها، من سوسور، ومن طروحاته التي كانت عاملا معينا في هذا المنهج أو ذاك.

ويقترح الباحث هنا، إعادة دراسة كتاب سوسور وتحليله، وإعادة النظر في الترجمات المختلفة لكتابه، وتفكيك وتحليل نظرياته وأفكاره، بشكل منهجي أعمق، وإبراز نقاط الائتلاف والاختلاف، والأفكار التي أرست المناهج النقدية والأسلوبية واللغوية التي سادت في القرن الماضي.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، مجدي. (٢٠١٤). **بحوث في علم الدلالة بين القدماء** والمحدثين. ط١. الإسكندرية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر.

بالمر، ف.ر. (١٩٩٥). **علم الدلالة: إطار جديد**. ترجمة: صبري إبراهيم السيد. ط٢. دار المعرفة الجامعية: الاسكندرية.

جاكندوف، راي. (٢٠١٠). **علم الدلالة والعرفانية**. د ط. تونس، دار سيناترا.

جبل، عبد الكريم. (١٩٩٧). **في علم الدلالة: دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات**. د ط. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

جرمان، كلود، ولوبلون، ريمون. (١٩٩٧). **علم الدلالة**. ترجمة: نور الهدى لوشن. ط١. منشورات دار القبس. بنغازي.

حيدر، فريد. (٢٠١١). **فصول في علم الدلالة**. ط٣. القاهرة، مكتبة الآداب.

الخولي، محمد علي. (٢٠٠١). **علم الدلالة: علم المعنى**. ط١. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن.

الداية، فايز. (١٩٩٦). **علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق دراسة تاريخية- تأصيلية- نقدية**. ط٢. دمشق، دار الفكر.

دي سوسور، فردينان. (١٩٨٥). **علم اللغة العام**. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. د.ط. دار آفاق عربيّة للصحافة والنشر. بغداد.

سليمان، فتح الله. (١٩٩١). **مدخل إلى علم الدلالة**. ط١. القاهرة، مكتبة الآداب.

السعران، محمود. (د. ت). **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**. د ط. بيروت، دار النهضة العربية.

عبد الجليل، منقور. (٢٠٠١). **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي**. د.ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق.

عمر، أحمد مختار. (١٩٨٥). **علم الدلالة** . ط١. عالم الكتب. القاهرة.

لاينز، جونز. (١٩٨٠). **علم الدلالة**. ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون. د ط. البصرة، مطبعة جامعة البصرة.

نهر، هادي. (٢٠٠٧).**علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**. ط١. إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع.

البيوع المنهي عنها لعدم مالية المبيع استدلالا وتقصيدا

الباحث الرئيس: همسة فؤاد يوسف دراوشة

طالبة دكتوراه في الفقه وأصوله-جامعة القدس

البريد الإلكتروني: hamsadarawshi85@gmail.com

الباحث المشارك: أ. د. محمد مطلق عساف

بروفيسور في الفقه وأصوله

رئيس دائرة الفقه والتشريع ومنسق برنامج ماجستير الفقه والتشريع

كلية الدعوة وأصول الدين جامعة القدس/ فلسطين

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٧/٨م

تاريخ انتهاء التحكيم وإجازته للنشر: ٢٠٢٥/٨/١٢م

البيوع المنهي عنها لعدم مالية المبيع استدلالا وتقصيدا

همسة فؤاد يوسف دراوشة

طالبة دكتوراه في الفقه وأصوله-جامعة القدس

الأستاذ الدكتور محمد مطلق عساف

القدس-فلسطين

المستخلص

يتناول هذا البحث بيان البيوع المنهي عنها لعدم ماليتها، وذلك من خلال استقراء النصوص الشرعية التي تنهى عن هذه البيوع. وتطرق البحث لدراسة النهي عن بيع الميتة، والخمر، والخنزير، والأصنام، والكلب، والسنور. كما عَنِي البحث بتتبع أقوال الفقهاء واستدلالاتهم المتعلقة بهذه المنهيات وبيان عللها، ومن العلل التي ذكرها الفقهاء: النجاسة، وعدم الانتفاع المطلق بالمبيع، وسد الذرائع للشرك.

وتناول البحث كذلك مقاصد الشريعة من النهي عن هذه البيوع، وخَلُص إلى جملة من المقاصد، منها: حفظ المال، وسد وسائل الشرك، واجتناب النجاسات، وتحقيق حلية الانتفاع بالمباحات، وتحرير العباد من الرق والاستعباد، ومراعاة الحاجة والمصلحة، ودفع الضرر والأذى، ومقصد التملك والتصرف بالمبيع.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، البيوع المنهي عنها، مالية المبيع.

Abstract

This research examines the prohibited sales due to their lack of lawful monetary value through an inductive study of the textual sources that prohibit such transactions. The research addresses the study of the prohibition of selling: carrion, wine, pork, idols, dogs, and cats. The research also focuses on tracing the scholarly opinions and legal reasoning of the jurists regarding these prohibitions and elucidating their underlying causes. Among the causes mentioned by the jurists for these prohibitions are: ritual impurity, the complete lack of permissible benefit from the sold item, and blocking the means to polytheism.

The research also addresses the objectives of Islamic law behind prohibiting these sales, concluding with several objectives, including: preserving wealth, blocking the means to polytheism, avoiding ritual impurities, seeking benefit from lawful things, liberating people from slavery and enslavement, considering

necessity and public interest, preventing harm and injury, and the objective of ownership and disposal of the sold item.

Keywords: The objectives, the prohibited sales, the financial aspects of the sale.

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله، وبعدُ:

فإن المعاملات المالية تعد من أهم الجوانب التي نظّمتها الشريعة الإسلامية بدقة متناهية، حرصاً على حفظ أموال الناس من الضرر، ولأجل ذلك نهت الشريعة الإسلامية عن أنواعٍ من البيوع التي لا تحقق هذا المقصد.

ومن تلك البيوع: بيع ما لا منفعة فيه، أو ما لا يُعد مالًا في نظر الشرع، وبناءً عليه جاء النهي عن بيع الميتة والخمر والخنزير والأصنام، وكذلك النهي عن بيع الحشرات والهوام وغيرها مما لا نفع فيه، أو ما كانت منفعته محرمة شرعاً.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. تأتي أهمية هذا الموضوع في عنايته بتتبع تعليل الفقهاء للمنهيات، وكيفية فهم النص الشرعي في ضوء ذلك.

٢. وتأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن مقاصد الشريعة المتعلقة بهذه المنهيات.

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث ليجيب عن السؤال التالي: **ما هي المقاصد الشرعية المستنبطة من تعليلات وشروحات واستدلالات الفقهاء للنهي عن بيع المبيع لعدم ماليته؟**

أهداف البحث:

١. يهدف هذا البحث إلى عرض النصوص الشرعية التي تنهى عن بعض البيوع لعدم مالية المبيع، وجمع المادة التراثية المتعلقة بهذا النهي وتحليلها.

٢. ويهدف هذا البحث إلى تتبع نصوص الفقهاء وعرض شروحهم واستدلالاتهم[١] وتعليلاتهم لهذه المنهيات.

٣. ويهدف هذا البحث إلى استخراج المقاصد الشرعية لهذه المنهيات.

الدراسات السابقة:

فيما يخص الدراسات السابقة لموضوع البحث، فلم يجد الباحثان دراسة ترتبط مباشرة بموضوع البحث، لكن من الأبحاث التي لها علاقة بهذا البحث: بحث لجميل يوسف زريوا، بعنوان: "مقاصد النهي في البيوع المحرمة"، والمنشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد (٢٧)، ١٤٣٧هـ.

ووجه الاختلاف بين البحثين؛ أن الأخير يبيّن بعض مقاصد النهي في بعض البيوع المحرمة على اختلاف أسباب التحريم، وقد ذكر عدد قليل من المنهيات المذكورة في بحث الباحثين، أما بحثهما فقد ذكرا فيه جميع البيوع المنهي عنها بسبب عدم مالية المبيع.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على المناهج الآتية: المنهج الوصفي، مع الاستفادة من المنهج الاستنباطي: حيث تقوم هذه الدراسة على وصف المادة العلمية، وذلك من خلال استقراء الأدلة وأقوال الفقهاء المتعلقة بموضوع البحث، ثم تحليلها واستنباط المقاصد منها.

وقد التزم الباحثان بالإجراءات الآتية:

١. رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم، مع عزوها إلى مواضعها في القرآن الكريم، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة والآثار؛ فإذا كان الحديث مرويًا في الصحيحين أو في أحدهما اكتفوا بتخريجه منهما أو من أحدهما، وأما إذا لم يكن فيهما، فقد قاما بتخريجه من كتب السنة والمصنفات، ثم ذكرا حكم أهل العلم والاختصاص على ذلك الحديث.

٣. الرجوع إلى المصادر الأصلية في بحث المسائل المطروحة في هذه الدراسة، إلا إذا تعذر ذلك، فيتم التوثيق بالواسطة.

---

١ مصطلح الاستدلال في هذا البحث لا يُقصد منه ذكر الدليل وبيانه، إنما المقصود منه: بيان المدرَك الذي استند عليه الفقيه في الترجيح، وتعليل الأحكام، وذكر المسوِّغ والسبب لما ذهب إليه الفقيه من رأي (التعليل بمعناه اللغوي)، ومعرفة معاني الأحكام، ومعرفة غاياتها، والقرائن الحافة.

خطة البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. وتقسيمه كالتالي:

المقدمة: أشار الباحثان فيها إلى الموضوع، وذكرا مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: النصوص الواردة في النهي عن المبيع لعدم ماليته

المبحث الثاني: استدلالات العلماء المتعلقة بالنهي عن هذه البيوع

المطلب الأول: استدلال العلماء في النهي عن بيع الخمر

المطلب الثاني: استدلال العلماء في النهي عن بيع الخنزير

المطلب الثالث: استدلال العلماء في النهي عن بيع الميتة

المطلب الرابع: استدلال العلماء في النهي عن بيع الأصنام

المطلب الخامس: استدلال العلماء في النهي عن بيع الحر

المطلب السادس: استدلال العلماء في النهي عن بيع الكلب

المطلب السابع: استدلال العلماء في النهي عن بيع السنّور

المبحث الثالث: مقاصد منهيات البيوع لعدم مالية المبيع

الخاتمة:

وفيها عرض لأهم نتائج وتوصيات الدراسة التي توصل إليها الباحثان.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

المبحث الأول: النصوص الواردة في النهي عن المبيع لعدم ماليته

وردت نصوص شرعية تنهى عن بيع بعض الأعيان، وقد استنبط الفقهاء من هذه المنهيات أنه يشترط لانعقاد البيع: أن يكون المبيع مالًا متقومًا، أي ما يباح الانتفاع به مطلقًا، وهذا الشرط متفق عليه بين الفقهاء[1]، واشتراط المالية مصرح به عند الحنفية والحنابلة، ويعبر عنه المالكية

---

١ ابن عابدين، محمد أمين (ت: ١٢٥٢ه)، حاشية رد المحتار على الدر المختار (المعروف بـ حاشية ابن عابدين)، ٥٠٥/٤، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٦ه، ١٩٦٦م. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (ت: ١٢٣٠ه)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ١٠/٣، دار الفكر (بدون طبعة وسنة نشر). النووي، محيي الدين بن شرف (ت:٦٧٦ه)، المجموع شرح المهذب، ٢٢٦/٩، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٤ه (بدون طبعة). البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (ت: ١٠٥١ه)، دقائق أولي النهي لشرح منتهى الإرادات، ٥/٢، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.

وبعض الشافعية بكون المعقود عليه طاهراً منتفعاً به[1]. ومن النصوص التي تدل على هذا النهي ما سيأتي:

أ. قول الله ﷻ:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ب. قول الله ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

ج. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ: (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ). فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: (لَا، هُوَ حَرَامٌ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: (قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ)[4].

د. عن ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ، مُسْتَقْبِلًا الْحُجَرَ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: (لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ، حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ)[5].

---

١ الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ٢٦٣/٤، ط٣، دار الفكر، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. الحكمي، علي بن عباس، البيوع المنهي عنها نصًا في الشريعة الإسلامية وأثر النهي فيها من حيث الحرمة والبطلان، ٢٢، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

٢ سورة النحل، آية ١١٥.

٣ سورة المائدة، آية ٩٠.

٤ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، كتاب: البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام، ٧٧٩/٢، تح: مصطفى البغا، ط٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، رقم الحديث (١٥٨١)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، ١٢٠٧/٣، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

٥ ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، **مسند أحمد**، رقم الحديث (٢٢٢١)، ٩٥/٤، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، رقم الحديث (٣٤٨٨)، ٣٥٢/٥، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م. واللفظ لابن حنبل. وذكر الأرناؤوط في تعليقه على الحديث أنه: صحيح.

ه. عن ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاوِيَةَ خَمْرٍ[1]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟) قَالَ: لَا، فَسَارَّ إِنْسَانًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بِمَ سَارَرْتَهُ؟) فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا. فَقَالَ ﷺ: (إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حرم بيعها). ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها[2].

و. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْرًا. فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ). قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِعْ). قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنده منها في طريق المدينة، فسفكوها[3].

ز. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ)[4].

ح. عن أبي الزبير رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسِّنَّوْرِ؟ قَالَ: (زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ)[5].

ط. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (نهى رسولُ الله ﷺ عن ثمن الكلب، وإن جاء يطلب ثمنَ الكلبِ، فاملأ كفَّه ترابًا)[6].

---

١ راوية خمر: الوعاء الذي يكون فيه الماء أو الخمر، وسميت راوية لأنها تروي صاحبها وقيل لمكان البعير الذي يحملها. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:٧١١ه)، لسان العرب، مادة (روي)، ٣٤٦/١٤، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤ه.

٢ مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٧٩)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر، ١٢٠٦/٣.

٣ مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٧٨)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر، ١٢٠٥/٣.

٤ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢١١٤)، كتاب: البيوع، باب: إثم من باع حرًا، ٧٧٦/٢. ذكر مصطفى البغا في تعليقه: أعطى بي: عاهد باسمي وحلف. البخاري، صحيح البخاري، ٧٧٦/٢.

٥ مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٦٩)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور، ١١٩٩/٣.

٦ أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٤٨٣)، ٣٤٩/٥. ابن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث (٢٥١٢)، ١٤١/٣-١٤٢. واللفظ لأبي داود. حكم الأرنؤوط على الحديث كما جاء في سنن أبي داود: إسناده صحيح. وحكم الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين (ت:١٤٢٠ه)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١٤٢/١، المكتب الإسلامي.

المبحث الثاني: استدلالات العلماء المتعلقة بالنهي عن هذه البيوع

ورد النهي عن بيع بعض الأعيان، وهي: الأصنام والميتة والخمر والخنزير والحر والكلب والسنور[1]؛ وذلك لعدم ماليتها -على خلاف في بعضها عند بعض الفقهاء-. وقد ذكر العلماء عللًا متعددة للنهي عن هذه المبيعات، وفيما يأتي تعليلاتهم واستدلالاتهم.

المطلب الأول: استدلال العلماء في النهي عن بيع الخمر

ذكر الباحثان في المبحث السابق الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم بيع الخمر، وقد أجمعت الأمة على تحريم بيعه[2]؛ لأنها لا تعتبر مالًا في الشرع[3]؛ وقد قال جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة ببطلان البيع لأن المعقود عليه منهي عنه لذاته، إذ إنها ليست بمال، وعلة تحريم بيع الخمر عند الفقهاء أنها نجسة، ولا يباح الانتفاع بها[4].

والدليل على عدم ماليتها أن النبي ﷺ أجاز للرجل فتح المزادة التي فيها خمراً وإذهاب ما فيها كما جاء في الحديث، رغم أنه ﷺ نهى عن إضاعة المال[5].

وذكر بعض العلماء أن المقصد من نهي النبي ﷺ عن تخليل الخمر[6] والأمر بإراقتها هو تحريم تلك العين وإرادة التغليظ، وقطع العادة، لقرب عهدهم بشربها[7]، ودليل ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أبا طلحة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن أيتامٍ وَرِثُوا خمراً، قال: (أهْرِقْها)، قال: أفلا أجعلُها

---

١ السنور: الهرّ والهرّة. ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٥٨/٥، تح: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢ ابن المنذر، محمد بن إبراهيم (ت: ٣١٩هـ)، الإجماع، ٩٥، تح: فؤاد أحمد، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣ الخطابي، حمد بن محمد (ت: ٣٨٨هـ)، معالم السنن، ١٣٢/٣-١٣٣، ط١، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

٤ ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد (ت: ٧٤١هـ)، القوانين الفقهية، ١١٧ (بدون طبعة وسنة نشر). الشربيني، محمد بن محمد (ت: ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٣٤٠/٢، ٣٤٢، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م. ابن أبي عمر، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة (ت:٦٨٢هـ)، الشرح الكبير على المقنع، ١٧٣/١١، ٤٦١/١٢، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٥ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٤٤/٣، تح: بشار عواد وآخرون، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.

٦ الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، الأم، ١٦٢/٣-١٦٣، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. الماوردي، الحاوي، ١١٢/٦.

٧ ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت: ٨٠٤هـ)، التوضيح شرح الجامع الصحيح، ٥٦٩/١٤، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، دار النوادر، دمشق، سوريا، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

خَلاًّ؟ قال:(لا)[1]. وهذا الخمر كان لأيتام، وقد أمر الله تعالى بإصلاح مالهم وحفظه، لقوله تعالى ﷻ:﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2]، فكان من المتوقع أن يأمر النبي ﷺ بتخليل الخمر كي لا يضيع مالهم، لكنه ﷺ لم يفعل ذلك، وهذا دليل على تحريم الانتفاع بها بالتخليل أو البيع، وسبب تحريم التخليل أن الخمر غير متقوم، والتصرف فيه بالتخليل هو تصرف على قصد التموّل، فيكون التخليل حراماً كالبيع والشراء[3].

واستنبط العلماء من مجموع أحاديث النبي ﷺ الناهية عن هذه البيوع ضابطًا وهو: كل ما لا يجوز أكله أو شربه من المأكولات والمشروبات ولم يُبح الانتفاع به، لا يجوز بيعه، ولا يحلّ ثمنه[4]، وأما ما حُرّم أكله وأبيح الانتفاع به فيجوز بيعه، مثل بيع السباع المتخذة للصيد والحمر الأهلية[5].

وأما الحنفية فذهبوا في الأصح عندهم إلى أن الخمر مال متقوم، فقد جوّزوا جعل الخمر مالًا عن طريق تخللها وتخليلها[6]، وذكر السرخسي أن إباحة تخليل الخمر الذي يكون من صنع العباد إنما هو بهدف صلاح جوهر فاسد، فيكون من الحكمة، والشرع لا ينهى عن الحكمة، وبيان ذلك أن الخمر جوهر فاسد، وإصلاحه يكون بإزالة صفة الخمرية عنه، والتخليل يزيل تلك الصفة، فيكون جائزًا كدبغ الجلد، فإن عين الجلد نجس، ولهذا لا يجوز بيعه، فمتى دُبغ وحصل إصلاحه صار جائزًا شرعًا.

---

١ أصل الحديث عند مسلم من غير ذكر قصة أيتام أبي طلحة. مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٩٨٣)، كتاب: الأشربة، باب: تحريم تخليل الخمر، ١٥٧٣/٣. وأما اللفظ المذكور فقد أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٦٧٥)، ٥١٨/٥. حكم الأرناؤوط: حديث صحيح.

٢ سورة النساء، آية ٦.

٣ القدوري، أحمد بن محمد بن جعفر (ت: ٤٢٨ه)، التجريد، ٢٨١١/٦-٢٨١٢، تح: محمد سراج وعلي جمعة، ط٢، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت: ٤٨٣ه)، المبسوط، ٢٢/٢٤، مطبعة السعادة، مصر (بدون سنة نشر).

٤ ابن عبد البر، التمهيد، ٢٤١/٣.

٥ ابن عبد البر، التمهيد، ١٣٩/٦.

٦ ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت: ٨٦١ه)، فتح القدير، ٣٥٩/٩، ط١، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩ه، ١٩٧٠م. القدوري، التجريد، ٢٨١٢/٦-٢٨١٣.

وكلا الحالتين أي التخليل والدباغ إصلاح باعتبار مآلهما، والعبرة للمآل لا للحال[1]. ويظهر أن الحنفية قاسوا تخليل الخمر على دباغ الجلود بجامع الإصلاح والحفظ من النتن والفساد، وهذا تصرف إصلاح فوجب أن يكون مباحًا مشروعًا[2].

وأما الذين حرّموا تخليل الخمر فاعتبروا التخليل اقترابًا من الخمر على وجه التموّل، والمسلم مأمور باجتناب الخمر لقوله تعالى ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، كما أن قول الحنفية معارض بأحاديث النهي عن بيع الخمر وإراقتها بهدف تخسيسها وتحقيرها. ومعارض أيضًا بالأثر المروي عن عمر بن الخطابﷺ، في قوله: "لا تؤكل خمرٌ أُفسدت، ولا شيء منها، حتى يكون الله الذي أفسدها"[4].

وردُ الحنفية على ذلك: أن الاقتراب منها ليس على وجه التموّل بل لإعدام فسادها، فالاقتراب من الخمر لتخليلها وإزالة صفة الخمرية عنها شبيه بإراقة عينها، فكلا الأمرين يعتبر اقترابًا من الخمر ولكن بهدف إتلافها، فالأول إتلاف لصفتها، والثاني إتلاف لعينها[5]. والتخليل أولى من الإراقة؛ لأن فيه إحراز مال يصير حلالًا في المآل[6].

واستدل الحنفية أن أحاديث النبي ﷺ الآمرة بإراقة الخمر منسوخة لأن الحكم بالإراقة كان في أول زمان التحريم، فغلّظ عليهم لاجتنابها. والقول بإباحة تخليلها القصد منه إهانة الخمر وإعزاز الخل؛ لأن الناس يسعون إلى إتلاف الخمرية[7].

---

١ السرخسي، المبسوط، ٢٣/٢٤.

٢ بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥ه)، البناية شرح الهداية، ٣٩٤/١٢-٣٩٥، تح: أيمن صالح شعبان، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.

٣ سورة المائدة، آية ٩٠.

٤ عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١ه)، المصنف، ٥٤٨/٨، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧ه، ٢٠١٣م.

٥ السرخسي، المبسوط، ٢٤/٢٤.

٦ بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، ٣٩٥/١٢. الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن (ت: ٧٤٣ه)، تبيين الحقائق شرح كتر الدقائق، ٤٨/٦، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر، ١٣١٤ه.

٧ الأسمندي، محمد بن عبد الحميد (ت: ٥٥٢ه)، طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، ٤٤٣-٤٤٤، تح: محمد زكي عبد البر، ط٢، مكتبة دار التراث، مصر، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.

المطلب الثاني: استدلال العلماء في النهي عن بيع الخنزير

إن الخنزير غير متقوم في الشرع وليس بمال في حق المسلم، حتى وإن كان مالًا عند البعض كأهل الذمة، فالشرع أمر بإهانته، وفي تملكه بالعقد إعزاز له فكان باطلًا[١].

وقد سبق ذكر النصوص الصريحة الناهية عن بيع الخنزير، ولهذا حصل الاتفاق بين الفقهاء على حرمة بيع الخنزير لنجاسته ولعدم ماليته والانتفاع به، فكل ما كان نجسًا حرام بيعه وشراؤه والانتفاع بثمنه[٢].

المطلب الثالث: استدلال العلماء في النهي عن بيع الميتة[٣]:

أجمعت الأمة على عدم جواز بيع الميتة[٤]؛ لأنه لا يحل الانتفاع بها لكونها نجسة العين، ووضع الثمن فيها إضاعة للمال[٥]. وإنْ كان العلماء قد اختلفوا في جواز الانتفاع بالميتة كدهن السفن بشحوم الميتة والاستصباح بها، إلا أنهم اتفقوا على تحريم بيعها[٦].

واستدل العلماء على تحريم بيع الميتة بأحاديث النبي ﷺ الناهية عن الانتفاع بها، واعتبروها بيانًا على بطلان كل حيلة يُحتال بها إلى محرم[٧]، كما أن تغير هيئة الشيء وتغيير اسمه لا يغير حكمه[٨]، فإن الله ﷻ حرّم الميتة، فصارت نجسة الذات فلا يجوز الانتفاع بشيء منها كإذابة شحومها وبيعها. واستدل المالكية على ذلك من وعيد النبي ﷺ: (قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ...)[٩] فهذا تنبيه على تعليل

---

١ الزيلعي، تبيين الحقائق، ٤/٤٤.

٢ ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٤٦، تح: ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة رشد، السعودية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ)، الاستذكار، 8/510، ط١، تح: سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣ الميتة: "في الشرع هو اسم للحيوان الميت غير المذكى، وقد يكون ميتة بأن يموت حتف أنفه من غير سبب لآدمي فيه، وقد يكون ميتة لسبب فعل آدمي إذا لم يكن فعله فيه على وجه الذكاة المبيحة له". ويستثنى من ذلك السمك والجراد لورود النص على إباحتهما. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ١/١٥١، ١٣٠، تح: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤ ابن المنذر، الإجماع، ٩٤-٩٥.

٥ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٦٠.

٦ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، ٤/٤٢٥، ط١، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٨٠هـ.

٧ ابن العطار، علي بن إبراهيم بن داود (ت: ٧٢٤هـ)، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، ٣/١٦٥٠، ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٨ الخطابي، معالم السنن، ٣/١٣٣.

٩ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٢١٢١)، كتاب: البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام، ٢/٧٧٩. مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٨١)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، ٣/١٢٠٧.

تحريم بيع هذه الأشياء، وتحريم كل ذريعة يُتوصل بها إلى حرام، يقول ابن دقيق العيد: "فإنه وجّه اللوم على اليهود في تحريم أكل الثمن بتحريم أكل الشحوم... وأكل الثمن ليس هو أكل الأصل بعينه، لكنه لما كان تسبباً إلى أكل الأصل بطريق المعنى استحقوا اللوم"[1]. ويستثنى من ذلك ما خصّت السنة من الإهاب بعد الدباغ[2].

المطلب الرابع: استدلال العلماء في النهي عن بيع الأصنام

أجمعت الأمة على عدم جواز بيع الأصنام[3]؛ لأن وضع الثمن فيها حال بقائها على هيئتها إضاعة للمال لأنه لا ينتفع فيها[4]، ولا يجوز الانتفاع بثمنها لأنه محرم وخبيث[5]. وعلل العلماء النهي عن بيع الأصنام بأن فيه إعانة على الكفر، فهي وسيلة للشرك بالله[6].

وأجمل ابن القيم علة النهي عن بيع الأصنام بقوله: "وأما تحريم بيع الأصنام، فيستفاد منه تحريم بيع كل آلة متخذة للشرك على أي وجه كانت، ومن أي نوع كانت: صنماً أو وثناً أو صليباً، وكذلك الكتب المشتملة على الشرك، وعبادة غير الله، فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها، وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها، فهو أولى بتحريم البيع من كل ما عداها، فإن مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها"[7].

واختلف العلماء في حكم الانتفاع برضاض الأصنام حال كسرها، وذهب الأكثر على المنع من بيعها، حملًا للنهي على ظاهره، وعلل العلماء ذلك بأنه للمبالغة في التنفير عنها[8]، وقال ابن دقيق العيد: "قد يكون منع بيعها مبالغة في التنفير منها"[9].

---

١ ابن دقيق، تقي الدين ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ)، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ١٣٢/٢، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢ ابن عبد البر، التمهيد، ١٤٠/٦. القرافي، أحمد بن إدريس (ت: ٦٨٤هـ)، أنوار البروق في أنواء الفروق (المعروف بالفروق)، ٢٣٩/٣، عالم الكتب (بدون طبعة وسنة نشر).

٣ ابن المنذر، الإجماع، ٩٤-٩٥.

٤ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٣٦٠/٦.

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، ١٤٢/٢٢، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٦ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٤١/٢٢.

٧ ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٧٥/٥، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨ ابن حجر، فتح الباري، ٤٢٦/٤. الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ١٦٩/٥، تح: عصام الدمياطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٩ ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، ١٣١/٢.

المطلب الخامس: استدلال العلماء في النهي عن بيع الحر

ذكر الباحثان في المبحث السابق الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم بيع الحر، وأجمع العلماء على تحريم بيعه، فالعقد عليه حرام ويقع باطلًا؛ لأنه ليس مالًا[١]، وليس مملوكًا ولا يقبل الملك لغيره[٢]؛ لأنه أحق بنفسه من غيره، فالمسلمون أكفاء في الحرمة والذمة، وللمسلم على المسلم أن ينصره ولا يظلمه، وليس أعظم ظلمًا من أن يستعبده أو يعرضه لذلك. ومن باع حرًا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له، وألزمه حال الذلة والصغار، وهذا ذنب عظيم[٣].

هذا وقد ذهب العلماء إلى عدم جواز بيع أم الولد[٤] لنهيه ﷺ عن بيعها وهبتها ووراثتها؛ لأنه استقر لها حق الحرية والعتق، وفي بيعها إبطال هذا الحق، فلم يجز[٥].

وقد ذكر القرافي في الفرق الرابع والثمانين والمائة، أن عقود البيع لا تشرع، وتبطل إذا وقعت، وذلك في حال عدم حصول المقصود منها، وهو التملك والتصرف، ولذلك امتنع بيع الحر وأم الولد[٦].

المطلب السادس: استدلال العلماء في النهي عن بيع الكلب

الكلب من الحيوانات النجسة في قول عامة الفقهاء[٧]، وقد وردت النصوص الدالة على النهي عن اقتنائه لغير الحاجة[٨]. وذُكر في المطلب السابق الأحاديث الواردة في النهي عن بيع الكلب وتحريم ثمنه، إلا أن الفقهاء اختلفوا في حكم بيعه على قولين:

---

١ الزيلعي، تبيين الحقائق، ٤/٤٤.

٢ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: ٥٦٢٠هـ)، المغني، ٦/٣٥٩، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٤٩-٣٥٠.

٤ **أم الولد:** تصدق لغة على الزوجة وغيرها ممن لها ولد ثابت النسب وغير ثابت النسب، وأما في عرف الفقهاء فلها معنى أخص من ذلك: فهي الأَمَة التي يثبت نسب ولدها من مالكها. الشلبي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: ١٠٢١هـ)، حاشية الشلبي على تبيين الحقائق، ٣/١٠١، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣١٤هـ.

٥ النووي، المجموع، ٩/٢٤٢.

٦ القرافي، الفروق، ٣/٢٣٦-٢٣٨.

٧ الشربيني، مغني المحتاج، ٢/٣٤٠. ابن قدامة، المغني، ١/٦٤.

٨ ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ٥/٢٢٧. وسيأتي لاحقًا ذكر الأحاديث الناهية عن اقتنائه لغير الحاجة.

القول الأول: يحرم بيعه مطلقًا، سواء في ذلك كلب الصيد وغيره، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة وأكثر المالكية[1]. واستدلوا بالأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة في النهي عن بيع الكلب وتحريم ثمنه.

القول الثاني: جواز بيعه إذا كان ينتفع به، سواء للصيد أو الحراسة أو غيرهما، وهذا مذهب الحنفية وسحنون من المالكية[2]. واستدل أصحاب هذا القول بالروايات الدالة على استثناء كلب الصيد ونحوه.

والفقهاء الذين حرّموا بيع الكلب عللوا النهي بالآتي:

أ. عموم نهي النبي ﷺ يفيد التحريم، والنهي عن ثمنه يدل على بطلان البيع، لقول النبي ﷺ: (وإن جاء يطلب ثمنَ الكلبِ، فاملأ كفَّه تُرابًا)[3] ففيه دليل على أنْ لا قيمة للكلب، ومن لا قيمة له لا يباع[4]؛ وحمل النهي على الكلب الذي لا ينتفع به تعطيل صريح للحديث[5].

ب. حديث النبي ﷺ أنه: (أمَرَ بقتل الكلاب)[6]، فإذا كانت الكلاب مالًا يجوز تموله وملكه والانتفاع به، لم يأمر النبي ﷺ بقتلها؛ لأن في ذلك إضاعة للمال وإتلافه، وهذا لا يجوز. فدلّ أن الكلب معدوم وجوده فلا قيمة له[7].

---

١ ابن رشد الجد، محمد بن أحمد (ت: ٥٢٠ه)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ٨٢/٨-٨٣، تح: محمد حجي وآخرون، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ١١/٣. الشربيني، مغني المحتاج، ٣٤٠/٢. البهوتي، دقائق أولي النهى، ٨/٢.

٢ السرخسي، المبسوط، ٢٣٤/١١-٢٣٥. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ٢٢٦/٥. ابن رشد الجد، البيان والتحصيل، ٨٣/٨. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ١١/٣.

٣ أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث (٣٤٨٣)، ٣٤٩/٥. ابن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث (٢٥١٢)، ١٤١/٣-١٤٢. واللفظ لأبي داود. حكم الأرناؤوط على الحديث كما جاء في سنن أبي داود: إسناده صحيح.

٤ الخطابي، معالم السنن، ١٣١/٣.

٥ الغزالي، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ه)، تحصين المآخذ، ٤٦٤/٢، تح: عبد الحميد المجلي، ط١، أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية، الكويت، ١٤٣٩ه، ٢٠١٨م.

٦ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٣١٤٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحكم...، ١٢٠٧/٣. مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٧٠)، كتاب: المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، ١٢٠٠/٣.

٧ ابن عبد البر، التمهيد، ٧٧/٦-٧٨.

ت. إن المقصد من النهي عن بيع الكلاب وإبطال تقومّه هو تحقيره وتخسيسه، وحث الناس على اجتنابه وتبعيده، والامتناع عن تموّله والمطالبة بقيمته، فكأن الشرع يراه لخسته في محل التسامح الذي لا يُبذل المال في مقابلته، وأما إقامة الوزن له فهذا مخالف لمقصد نظر الشرع في تغليظ الأمر باجتناب الكلاب[1].

وأما الفقهاء الذين أجازوا بيع الكلب للانتفاع به فكان لهم في ذلك عدة تعليلات وتوجيهات، منها:

أ. احتج مالك أنه إذا جاز الانتفاع بالكلب وجب التصرف فيه بالإمساك والبيع وغير ذلك[2]، واستدلوا بجواز بيعه أن النبي ﷺ أجاز اقتناء الكلب للحاجة في قوله ﷺ: (مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا، إِلَّا كَلْبًا ضَارِيًا لِصَيْدٍ أَوْ كَلْبَ مَاشِيَةٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ)[3]، والاقتناء لا يكون إلا بالشراء[4].

ب. إن الشارع نهى عن اقتناء وبيع الكلب الذي لا منفعة فيه، فالاقتناء المنهي عنه مقصور على ما يقتنى إعجابًا بصورته واستئناساً بمخالطته، فهذا الغرض حرّمه الشرع فالتحق بالمعدوم وبطلت ماليته[5]. وقد استثنى أبو حنيفة كلب الصيد والماشية من عموم النهي، وخصص هذه الكلاب قياساً على سائر السباع والأموال، والجامع: أن الكلاب مال منتفع به، فجاز بيعه كسائر الأموال، فإذا حرمنا اقتناء هذه الكلاب نكون قد أبطلنا الغرض المتعلق بها أي منفعتها[6].

إن الحديث الذي فيه النهي عن ثمن الكلب، كان في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك الحكم، وأبيح الاصطياد به، لقوله تعالى ﷻ:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ[7] تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾[8]، لأنه لمّا حلّ الانتفاع به، حلّ بيعه وأكل ثمنه،

---

١ الغزالي، تحصين المآخذ، ٢/٤٦٦-٤٦٧.

٢ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٦٣.

٣ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (٥١٦٤)، كتاب الذبائح والصيد، باب: من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد أو ماشية، ٥/٢٠٨٨. مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (١٥٧٤)، كتاب: المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، ٣/١٢٠١. والضارية: هو الكلب المعلم الصيد. مسلم، صحيح مسلم، ٣/١٢٠١.

٤ ابن رشد الجد، البيان والتحصيل، ٨/٨٣.

٥ الغزالي، تحصين المآخذ، ٢/٤٦٦.

٦ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ه)، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، ٩٣-٩٤، تح: حمد الكبيسي، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠ه، ١٩٧١م.

٧ من الجوارح مكلبين: أي الجوارح المؤدبة والمعلمة للصيد. الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ه)، تفسير الكشاف، ١/٦٠٦، ط٣، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م.

٨ سورة المائدة، آية ٤.

فكان كسائر الجوارح في جواز بيعه[1]. وترجم مسلم حديث النبي ﷺ الآمر بقتل الكلاب بعنوان: "الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك"[2].

ت. ونقل ابن بطال عن المهلب بن أحمد بن أبي صفرة -وهو أحد شراح البخاري-أن النهي عن ثمن الكلب مكروه تنزهاً عن رذائل المكاسب[3].

المطلب السابع: استدلال العلماء في النهي عن بيع السنّور

انفرد مسلم برواية النهي عن ثمن السنور، واختلف العلماء في حكم بيعه على قولين:

الأول: جواز بيعه وصحته، وقال بذلك جمهور أهل العلم[4]، وحملوا النهي على غير حقيقته من التحريم، لمعارضته أحاديث صحيحة تدل على أنه طاهر[5] يباح اقتناؤه والانتفاع به[6].

الثاني: لا يجوز بيعه، ووجّهوا حديث أبي الزبير ﷺ المذكور في المطلب السابق، إلى ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: حمل النهي على السنور غير المملوك أو ما لا نفع فيه؛ لأن البيع شُرع للتوصل إلى المنافع المباحة ولقضاء حاجة الناس، فيباح أن ينتفع المالك بما في يده مما يباح الانتفاع به، فجاز له أخذ عوضها، كما أبيح لغيره شراء هذا السنور وبذل ماله فيه، ليتوصل إلى تلك المنفعة ودفعاً لحاجته بها[7]. وقال ذلك ابن قدامة وغيره من العلماء[8].

الوجه الثاني: المراد بالسنور المنهي عنه في الحديث هو الهرة الوحشية التي لا تستقر في بيت، ويصعب ربطها وحبسها؛ وبالتالي لا ينتفع بها.

---

١ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٦٣-٣٦٤. ابن عبد البر، الاستذكار، ٦/٤٣١.

٢ مسلم، صحيح مسلم، ٣/١٢٠٠.

٣ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٦/٣٦٤.

٤ وممن قال بذلك: ابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وحمّاد، والثوري، ومالك، والشافعي، وأصحاب الرأي. ابن أبي عمر، الشرح الكبير، ١١/٢٩. ابن قدامة، المغني، ٦/٣٦٠.

٥ استدلوا بحديث النبي ﷺ: (إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ، أَوِ الطَّوَّافَاتِ)، ﷺ: أخرجه: ابو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث (٧٥)، ١/٥٦. الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩ه)، سنن الترمذي، رقم الحديث (٩٢)، ١/١٥٣، تح: أحمد شاكر وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ه، ١٩٧٥م. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

٦ ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ٥/٢٢٧. الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٣/١١. النووي، المجموع، ٩/٢٢٩. ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز (ت: ٩٧٢ه)، معونة أولي النهى شرح المنتهى (المعروف بشرح منتهى الإرادات)، ٥/١١، تح: عبد الملك دهيش، ط٥، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.

٧ ابن قدامة، المغني، ٦/٣٥٩-٣٦٠.

٨ ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد (ت: ٥٩٥ه)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٣/١٤٧، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

الوجه الثالث: حمل النهي على التنزيه[1]، لما تقتضيه العادة بتسامح الناس فيه وتعاوره عادة[2].

وذكر الخطابي هذين التعليلين، فقال: "النهي عن بيع السنور متأول على أنه إنما **كُرِه** من أجل أحد معنيين: إما لأنه كالوحشي.. وذلك لأنه ينتاب الناس في دورهم ويطوف عليهم فيها ثم يكاد ينقطع عنهم، وليس كالدواب التي تربط... وقد يتوحش بعد الأنوسة... فإن صاب[3] المشتري له إلى أن يحبسه في بيته أو يشده في خيط أو سلسلة لم ينتفع به. والمعنى الآخر: أن يكون إنما نهى عن بيعه لئلا يتمانع الناس فيه، وليتعاوروا ما يكون منه في دورهم فيرتفقوا به ما أقام عندهم، ولا يتنازعوه إذا انتقل عنهم إلى غيرهم تنازع المُلّاك"[4].

وقريب من هذا القول، ما ذكره أبو بكر بن العربي فحمل النهي على المصلحة والحاجة، وربط الحكم بمقصده، فمراد النبي ﷺ من النهي عن بيع السنور أن تكون السنانير مسترسلة على المنازل لحمايتها من الفئران[5].

وقد رد الشوكاني على من قال إن النهي في الحديث يحمل على كراهة التنزيه: أن هذا إخراج للنهي عن معناه الحقيقي بلا مقتض[6].

المبحث الثالث: مقاصد منهيات البيوع لعدم مالية المبيع

إن الهدف من تتبع أقوال العلماء واستدلالاتهم وتعليلاتهم للبيوع المنهي عنها هو الوصول إلى مقاصد الشريعة الخاصة والعامة التي تختص بهذا الباب، فمن فوائد تعليل الأحكام الجزئية هو التمكين من استقراء مقاصد الشريعة. يقول الشاطبي: "اعتبار علل الأمر والنهي، ولماذا أمر بهذا الفعل؟ ولماذا نهي عن هذا الآخر؟ والعلة إما أن تكون معلومة أو لا، فإن كانت معلومة اتُّبِعت؛ فحيث وُجدت وُجد مقتضى الأمر والنهي من القصد أو عدمه؛ كالنكاح لمصلحة التناسل، والبيع لمصلحة الانتفاع بالمعقود عليه، والحدود لمصلحة الازدجار"[7].

---

١ وممن قال بذلك: أبو هريرة، وطاووس، ومجاهد، وجابر بن زيد، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن العربي. ابن أبي عمر، الشرح الكبير، ٢٩/١١. ابن قدامة، المغني، ٣٦٠/٦.

٢ الخطابي، معالم السنن، ١٣٠/٣. النووي، يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٢٣٣/١٠، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ. المجموع، ٢٣٠/٩.

٣ صاب: أراد أو قصد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوب)، ٥٣٦/١.

٤ الخطابي، معالم السنن، ١٣٠/٣.

٥ ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت: ٥٤٣هـ)، المسالك في شرح موطأ مالك، ٣٩/٦، تح: محمد السليماني وعائشة السليماني، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٦ الشوكاني، نيل الأوطار، ١٧٢/٥.

٧ الشاطبي، إبراهيم بن موسى (٧٩٠هـ)، الموافقات، ١٣٥/٣، تح: مشهور آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

وبعد تتبع استدلالات الفقهاء والبحث في الفروع الفقهية المتعلقة بالمبيعات المنهي عنها، يمكن استنباط المقاصد الشرعية الآتية:

أولًا: مقصد صيانة التوحيد وسد وسائل الشرك

ومن المنهيات التي تحقق هذا المقصد: النهي عن بيع الأصنام، لأن بيعها يعتبر وسيلة تعين على الكفر، وذريعة للإشراك بالله تعالى. يقول ابن القيم: "وَالشَّارِعُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَرَّمَ مِنْ تَعَاطِي ذَلِكَ مَا مَضَرَّتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَنْفَعَتِه، أَوْ مَا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، أَوْ مَا يُخْشَى عَلَى صَاحِبِهِ أَنْ يَجُرَّهُ إِلَى الشِّرْكِ، وَحَرَّمَ بَذْلَ الْمَالِ فِي ذَلِكَ، وَحَرَّمَ أَخْذَهُ بِهِ؛ صِيَانَةً لِلْأُمَّةِ عَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْهَا الْإِيمَانَ أَوْ يَخْدِشُهُ"[1].

ثانيًا: مقصد اجتناب النجاسات

إذا حكم الشرع بنجاسة شيء أمرَ باجتنابه؛ لأنه مستقذر فوجب تجنب مخالطته؛ ففي الإقدام على بيعه ومقابلته بالمال، إقامة وزن له يناقض ما علم من تنجيس الشرع إياه[2]. فالبيع وسيلة إلى الاقتراب من هذه النجاسات فمُنعت[3]. وهذا المقصد يعتبر من المقاصد التحسينية؛ إذ لا يتعلق بالمنع من بيعه حاجة ولا ضرورة، ولكن الإقدام على بيعه، بعد تنجيس الشرع له، ما يناقض محاسن العادات، وهذا الأمر يقاس على سائر النجاسات[4].

ويلاحظ أن الشافعية رجّحوا هذا المقصد على المقصد التالي وهو مقصد الانتفاع، فكان من ضوابطهم "أن جواز بيع الأعيان يتبع الطهارة"، فما كان طاهراً جاز بيعه عندهم، وحجتهم أن النجس واجب الاجتناب ومنهي عن الاقتراب منه، والبيع وسيلة للاقتراب منه فنهي عنه[5]؛ لأن أخذ العوض عن النجس الذي لا تحصل به منفعة هو أكل لأموال الناس بالباطل.

وقد رجّح الشافعية مقصد اجتناب النجاسة على مقصد الانتفاع، فكل نجس عندهم لا يجوز بيعه، ولهذا حرّموا بيع الكلب لنجاسته. ومن أمثلة هذا المقصد: تحريم بيع الميتة والخنزير.

---

١ ابن القيم، زاد المعاد، ٥/٦٩٩.

٢ الغزالي، شفاء الغليل، ١٧٣.

٣ الزنجاني، محمود بن أحمد بن محمود (ت: ٥٦٥هـ)، تخريج الفروع على الأصول، ١٨٩، تح: محمد أديب صالح، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.

٤ الغزالي، شفاء الغليل، ١٧٣.

٥ الزنجاني، تخريج الفروع، ١٨٩.

ثالثًا: مقصد الانتفاع بالمباحات

المنافع التي أبيحت هي المنافع التي أباحها الشرع، لا ما يحددها المكلف، فالمكلف قد يشتهي المحرمات، ولا منفعة فيها شرعًا، كالخمر.

وقصد الشارع تيسير الانتفاع بكل ما يباح الانتفاع به، فأجاز الوسائل المباحة التي توصل إلى تلك المنافع، ومن تلك الوسائل: البيع. كما أجاز الشارع بيع كل ما حُرّم أكله وأبيح الانتفاع به، ومثاله: بيع السباع، والحمر الأهلية.

وقد وضع الفقهاء ضابطًا لهذا المقصد فذكروا أن: ما لا يجوز أكله وشربه، وحُرِّم الانتفاع به، فلا يجوز بيعه[١]، ومثّل الفقهاء لذلك: النهي عن بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام والحشرات وسباع البهائم التي لا تصلح للاصطياد، فكل هذا لا يجوز بيعه؛ لأنه لا نفع فيه، وأخذ ثمنه أكل مال بالباطل[٢].

ويلاحظ توسّع الحنفية في صور البيوع المباحة، فمن ضوابطهم "أن جواز بيع الأعيان يتبع الانتفاع"، فكل ما كان منتفعًا به جاز بيعه، ولهذا جوّزوا بيع الكلب للانتفاع به واعتبار ماليته، وأيضًا جوّزوا جعل الخمر مالًا عن طريق تخللها وتخليلها ومن ثم الانتفاع بها، ويمثل الحنفية لذلك أيضًا: بجواز بيع السرقين[٣]، فلا يجوز بيعه عند الشافعية لنجاسته، ويجوز عند الحنفية لأنه منتفع به في تسميد الأرض وغيره[٤].

رابعًا: سد الذرائع[٥]

نصّت الشريعة على تحريم الوسائل إلى تؤدي إلى المحرم، فإذا حرّم الله ﷻ على عباده شيئًا، وله طرقًا ووسائل تفضي إليه فإنه يحرّمها جميعها سدًا للذريعة وتحقيقًا لتحريمه[٦]. ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم وإغراء للنفوس به[٧]، فمن القواعد المقررة

---

١ ابن عبد البر، التمهيد، ٢٤١/٣.

٢ ابن قدامة، المغني، ٣٥٨/٦.

٣ السرقين: هو ما تُدمل به الأرض وهو الزبل، ويقال له سرجين. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرقن)، ٢٠٨/١٣.

٤ الزنجاني، تخريج الفروع، ١٩٠-١٩١.

٥ سد الذرائع في الاصطلاح: "حسم مادة وسائل الفساد، دفعًا لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة مُنع من ذلك الفعل". القرافي، الفروق، ٣٢/٢.

٦ ابن العطار، العدة في شرح العمدة، ١١٤٢/٢.

٧ ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١ه)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٠٨/٣-١٠٩، تح: محمد إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ه، ١٩٩١م.

عند الشاطبي وغيره أن "الوسائل تبع للمقاصد في الأحكام"[1]. ومثال ذلك: تحريم بيع شحوم الميتة مع ما فيه من منفعة للناس، إلا أنه حرّم لئلا يكون ذريعة للانتفاع بالميتة، لأن في إباحة بيع شحوم الميتة فتح لباب استباحة الميتة وإغراء النفوس في الانتفاع بها[2].

خامسًا: مقصد التشوّف للحرية

إن من مقاصد الشريعة الكبرى التشوّف للحرية[3] وتحرير العباد من الرق والاستعباد. ولهذا نهى الشارع عن بيع الحر، ففي بيعه إذلال له وظلم كبير، كما لا يجوز بيع أم الولد لأنه استقر لها حق الحرية، فلا يجوز إسقاط هذا الحق ببيعها، فقد تشوّفت الشريعة إلى تجفيف منابع الرق والاستعباد وتحرير العباد منها.

سادسًا: مراعاة الحاجة والمصلحة

ذكر سابقًا أن بيع الميتة حرام شرعًا لنجاسة عينها، وترتب على ذلك تحريم ثمنها والانتفاع بها، إلا أنه قد خرج عن هذا الأصل جواز بيع الجلود المدبوغة، وذلك تحقيقًا لمنافع العباد، ورفعًا للحرج عنهم حيث إنه يعود بالنفع عليهم.

وذكر فيما مضى أن بعض الفقهاء أباحوا بيع الكلب الذي ينتفع به في الصيد وغيره، وأباحوا بيع السنور وذلك لأجل المصلحة ولحاجة الناس للانتفاع بهم في البيوت وخارجها.

وقال ميارة في شرحه: "مِنْ شَرْطِ الْمَعْقُودِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا، فَلِذَلِكَ امْتَنَعَ بَيْعُ مَا هُوَ نَجَسٌ، كَالزِّبْلِ، لَكِنَّهُمْ رَخَّصُوا فِي بَيْعِهِ لِلْحَاجَةِ إِلَى الِانْتِفَاعِ بِهِ"[4].

سابعًا: دفع الضرر والأذى

شرع الشارع أموراً لدفع الضرر عن المكلف، ولهذا نهى عن بيع بعض المبيعات للوقاية من الأضرار والأذى، خاصة تلك التي تضر ببدن الإنسان وماله، مثل: النهي عن بيع الخمر حماية للعقل من ضرر الإسكار، والنهي عن بيع الخنزير حماية للنفس والبدن.

كما رخّص بعض الفقهاء في بعض المنهيات لمقصد دفع الضرر والأذى كإباحة بيع الكلب للحراسة والماشية، لأن الإنسان ينتفع بالكلب في حماية نفسه وماله وماشيته.

---

١ الشاطبي، الموافقات، ٢/٣٤-٣٥.

٢ الشوكاني، نيل الأوطار، ٥/١٦٩.

٣ ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٢/١٣٠، تح: محمد ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٤ ميارة، محمد بن أحمد الفاسي (ت: ١٠٧٢هـ)، الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام، ١/٢٨٣، دار المعرفة (بدون طبعة وسنة نشر).

وقد تقرر عند العلماء أن العقود ما شرعت إلا للنفع، وكل بيع فيه ضرر من غير نفع راجح لا يجوز[1]، ولذلك حرّم المتأخرون بيع الحشيشة والكوكايين ونحوهما؛ لأنها أخطر من المسكرات، كما حرّموا بيع الأفلام الخليعة وكتب أهل البدع والروايات الماجنة وغير ذلك؛ لأنها تسبب فساد العقول والأبدان والمال[2].

ثامنًا: حفظ الأموال

وهذا مقصد كلي، ويتحقق مقصد حفظ المال من جانب الوجود بصيانته وتنميته وادخاره وحسن تدبيره، وأما من جنب العدم فيكون بمنع الاعتداء عليه، ولهذا نُهي عن الإسراف والتبذير، كما نُهي عن أخذ أموال الآخرين بغير حق[3].

ويظهر مقصد حفظ المال في المنهيات المذكورة في المبحث السابق في عدة صور، منها:

١. النهي عن بيع الحر: فمقصود العقود التملك وحرية التصرف فيما تملكه صاحب المال بدون الإضرار بالغير ضرراً معتبراً، وأما تملك الحر والتصرف فيه فغير جائز شرعًا، وكل عقد لا يحصل المقصود منه فهو باطل[4].

٢. النهي عن بيع الخنزير والخمر والميتة والأصنام: فحفظ الأموال يتحقق بعدم إنفاقها في الوجوه المحرمة شرعًا، وحفظها من التلف، ولهذا بيع ما لا يُتقوّم وما لا نفع فيه هو إتلاف للمال في أغراض غير صالحة للإنسان، بل هي مضرة له كبيع الخنزير والخمر والميتة والأصنام.

الخاتمة

إن من أهم **النتائج** التي توصلت إليها الباحثة ما يلي:

١. وردت نصوص شرعية من القرآن والسنة تنهى عن بيع بعض الأعيان، وقد استنبط العلماء منها اشتراط أن يكون المبيع مالًا متقومًا، أي يباح الانتفاع به.

٢. من الأعيان التي ورد النهي عن بيعها لعدم ماليتها: الأصنام والميتة والخمر والخنزير والحر والكلب والسنور، وقد ذكر العلماء عللًا متعددة لهذه المنهيات.

---

١ الدبيان، دبيان محمد، المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٤/٤٠١-٤٠٢، ط٢، ١٤٣٢هـ.

٢ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٣/٢٣٨.

٣ الشاطبي، الموافقات، ٣/٤٨٥.

٤ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٣/٤٨٧.

٣. ومن العلل التي ذكرها الفقهاء لهذه المنهيات: النجاسة، وعدم الانتفاع منها، واتخاذها ذريعة للشرك

٤. وقد استنبطت الباحثة من تعليلات الفقهاء وشروحهم عدة مقاصد شرعية للنهي عن هذه البيوع منها: حفظ المال، وسد وسائل الشرك، واجتناب النجاسات، والقصد إلى الانتفاع بالمباحات، وتحرير العباد من الرق والاستعباد، ومراعاة الحاجة والمصلحة، ودفع الضرر والأذى، ومقصد التملك والتصرف بالمبيع.

٥. تعليلات الفقهاء للبيوع المنهي عنها تبيّن المقصد من تشريع العقود وهو الانتفاع منها، فكل بيع فيه ضرر من غير نفع راجع لا يجوز، ولهذا حرّم بيع الأصنام مخافة الوقوع بالشرك، وحرّم بيع الحر لعدم تحقيق التملك وحصول الانتفاع به، وحرّم بيع الخمر لأن ضرره أعظم من نفعه.

٦. اختلف الفقهاء في بعض صور المنهيات لاختلافهم في المقصد، ومن صور ذلك بيع الكلب، فالحنفية غلّبوا مقصد الانتفاع، وتوسعوا في صور البيوع المباحة فكل ما كان منتفعاً به جاز بيعه، فجوّزوا بيع الكلب وجوّزوا جعل الخمر مالًا والانتفاع بها. وأما الشافعية فغلّبوا مقصد اجتناب النجاسات على مقصد الانتفاع، فكل نجس عندهم لا يجوز بيعه، ولهذا حرّموا بيع الكلب.

وأما التوصيات:

توصي الباحثة بعمل دراسة تطبيقية تربط بين المقاصد الشرعية للنهي عن البيوع لعدم ماليتها وبين البيوع المعاصرة، مع مراعاة المقاصد الشرعية والمتغيرات الاقتصادية الحديثة ووضع ضوابط واضحة لهذه البيوع.

فهرس المصادر والمراجع

ابن أبي عمر، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة، الشرح الكبير على المقنع، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ١٤١٥ه، ١٩٩٥م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله، المسالك في شرح موطأ مالك، تح: محمد السليماني وعائشة السليماني، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.

ابن العطار، علي بن إبراهيم بن داود، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ه، ١٩٩١م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م.

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد، التوضيح شرح الجامع الصحيح، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، دار النوادر، دمشق، سوريا، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.

ابن المنذر، محمد بن إبراهيم، الإجماع، تح: فؤاد أحمد، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز (ت: ٩٧٢ه)، معونة أولي النهى شرح المنتهى (المعروف بشرح منتهى الإرادات)، ١١/٥، تح: عبد الملك دهيش، ط٥، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.

ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، ط١، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩ه، ١٩٧٠م.

ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تح: ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة رشد، السعودية، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، القوانين الفقهية، (بدون طبعة وسنة نشر).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، ط١، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٨٠ه.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، مسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ه، ٢٠٠١م.

ابن دقيق، تقي الدين ابن دقيق العيد، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م.

ابن رشد الجد، محمد بن أحمد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تح: محمد حجي وآخرون، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م.

ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار (المعروف بـــ حاشية ابن عابدين)، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٦ه، ١٩٦٦م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تح: محمد ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستذكار، ط١، تح: سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: بشار عواد وآخرون، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٩ه، ٢٠١٧م.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تح: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤ه.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ه، ٢٠٠٩م.

الأسمندي، محمد بن عبد الحميد، طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، تح: محمد زكي عبد البر، ط٢، مكتبة دار التراث، مصر، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، ط٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.

بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى، البناية شرح الهداية، تح: أيمن صالح شعبان، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.

البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، دقائق أولي النهي لشرح منتهى الإرادات، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر وآخرون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ه، ١٩٧٥م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي، أحكام القرآن، تح: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م.

الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط٣، دار الفكر، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م.

الحكمي، علي بن عباس، البيوع المنهي عنها نصاً في الشريعة الإسلامية وأثر النهي فيها من حيث الحرمة والبطلان، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن، ط١، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ١٣٥١ه، ١٩٣٢م.

الدبيان، دبيان محمد، المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ط٢، ١٤٣٢ه.

الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر (بدون طبعة وسنة نشر).

الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، ط٣، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م.

الزنجاني، محمود بن أحمد بن محمود، تخريج الفروع على الأصول، تح: محمد أديب صالح، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ه.

الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر، ١٣١٤ه.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، مطبعة السعادة، مصر (بدون سنة نشر).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تح: مشهور آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.

الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.

الشربيني، محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م.

الشلبي، شهاب الدين أحمد بن محمد، حاشية الشلبي على تبيين الحقائق، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣١٤ه.

الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تح: عصام الدمياطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧ه، ٢٠١٣م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تح: حمد الكبيسي، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠ه، ١٩٧١م.

الغزالي، محمد بن محمد، تحصين المآخذ، تح: عبد الحميد المجلي، ط١، أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية، الكويت، ١٤٣٩ه، ٢٠١٨م.

القدوري، أحمد بن محمد بن جعفر، التجريد، تح: محمد سراج وعلي جمعة، ط٢، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

القرافي، أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق (المعروف بالفروق)، عالم الكتب (بدون طبعة وسنة نشر).

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٣٧٤ه، ١٩٥٥م.

ميارة، محمد بن أحمد الفاسي، الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام، دار المعرفة.

النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٤ه.

النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه.

القرآنيون وحجية السنة النبوية دراسة أصولية فقهية

The Quranists and the Authenticity of the Sunnah: A Fundamentalist Jurisprudential Study

د . مروان إبراهيم طلب ابجيص

دكتوراه الفقه وأصوله

marwan.hbheas@gmail.com

تاريخ استلام البحث للتحكيم والنشر ٢٠٢٥/٨/٥م

تاريخ إجازة البحث للنشر ٢٠٢٥/٨/٢٨م

القرآنيون وحجية السنة النبوية دراسة أصولية فقهية

د . مروان إبراهيم طلب الجيص

دكتوراه الفقه وأصوله

المستخلص:

تناول هذا البحث موضوع القرآنيون وحجية السنة النبوية دراسة أصولية فقهية، وهدف إلى بيان مفهوم أهل القرآن، والرد على أهم شبهاتهم حول السنة وحجيتها، وذلك باستخدام المنهج الوصفي، مع الاستعانة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، واحتوى البحث على مفهوم أهل القرآن، وتاريخهم، وأهم أفكارهم، كما واعتنى ببيان حجية السنة ثباتها ودلالتها، مع ذكر أمثلة فقهية على الأحكام الواردة في السنة استقلالاً، وتم الرد على أهم شبه أهل القرآن، ومن النتائج التي خلص إليها البحث:

- السنة حجة ومصدر أصيل في تفسير الأحكام الشرعية التي أُجملت في القرآن الكريم، أو تخصيص لعمومها، أو المنشئة لبعض الأحكام في التشريع الإسلامي التي لم تذكر في القرآن، وهي بذلك شارحة ومفصلة لآيات القرآن الكريم.
- الهدف من إثارة الشبهات هدم الإسلام الصحيح الجامع المترابط بين القرآن والسنة.

ويوصي الباحث:

- المعاهد والكليات الشرعية بتخصيص مساقات دراسية تعتني ببناء شخصية علمية من الدعاة وطلبة العلم قادرة على تفنيد شبه أهل القرآن والرد عليها.
- القيام بعمل إحصائي استقرائي عن طريق متخصصين في العلم الشرعي؛ للتعرف على الشبه الجديدة التي يثيرها أهل القرآن، والرد عليها.

الكلمات المفتاحية:

القرآنيون، حجية السنة، شبه أهل القرآن.

Abstract

This research addressed the topic of Quranists and the authority of the Prophetic Sunnah, an Usuli-Fiqhi study. It aimed to clarify the concept of the People of the Quran and refute their main misconceptions regarding the Sunnah and its authority, using the descriptive method, with assistance from the inductive and deductive methods. The research included the concept of the People of the Quran, their history, and their main ideas. It also focused on clarifying the authority of the Sunnah, its stability, and its implications, along with mentioning fiqhi examples of rulings found independently in the Sunnah. The main misconceptions of the People of the Quran were refuted. Among the conclusions reached by the research are:

- The Sunnah is an authoritative and original source for interpreting legal rulings that were summarized in the Holy Quran, or for specifying their generality, or for establishing some rulings in Islamic legislation not mentioned in the Quran. Thus, it explains and elaborates on the verses of the Holy Quran.

- The goal of raising misconceptions is to demolish true Islam, which is comprehensive and interconnected between the Quran and the Sunnah.

The researcher recommends:

- Islamic institutes and colleges allocate academic courses that focus on building a scholarly personality among preachers and students of knowledge capable of refuting and responding to the misconceptions of the People of the Quran.

-Conducting an inductive statistical study by specialists in Islamic law to identify new misconceptions raised by the People of the Quran and respond to them.

Keywords: Quranists, the authority of the Sunnah, the doubts of the People of the Quran.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، اللهم ارزقنا نور الفهم وأخرجنا من ظلمات الوهم وافتح علينا مغلق هذا العلم وارزقنا الإخلاص في السر والعلن، أما بعد:

فإن علم أصول الفقه من العلوم الشرعية المهمة، والذي به تستنبط الأحكام من الأدلة؛ ولأن موضوعه الأدلة والمصادر المعتبرة وعلى رأسها القرآن والسنة، والسنة مصدر من مصادر التشريع التي تُبنى عليها الكثير من الأحكام الشرعية، ونقضها يؤدي إلى إسقاط كثير من الأحكام.

وهذا البحث والموسوم بـــ: **" القرآنيون وحجية السنة النبوية دراسة أصولية فقهية"** والذي من خلاله سيتم بيان: منهج القرآنيين، وعرض حجية السنة، وطرح أبرز شبهات القرآنين والرد عليها.

أسباب الاختيار

- خدمة المكتبة الإسلامية.
- توسيع المدارك من خلال معرفه شبهات القرآنيين.
- الرغبة في عمل دراسة أصولية فقهية للدفاع عن السنة.

أهمية الموضوع

- تعتبر هذه الدراسة كباقي الدراسات التي عملت على رد شبهات المغرضين.
- إثبات قيمة السنة النبوية.
- بحفظ السنة تحفظ الكثير من الأحكام الشرعية.

الدراسات السابقة

فإنه –حسب اطلاعي–لم أجد بحثاً بهذا العنوان أو تحت هذا المسمى، لكن وجدت بعض الدراسات تحت عنوان: **حجية السنة، وشبهات القرآنيين**، وهي في مجموعتين:

الأولى: حجية السنة:

- وجدت كتاباً بعنوان: **"حجية السنة"؛** لعبد الغني عبد الخالق (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، منشور ضمن سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، وجاء في مقدمتين وثلاثة أبواب:

المقدمة الأولى: تحدث فيها عن معاني السنة.

المقدمة الثانية: تحدث عن عصمة الأنبياء.

الباب الأول: بيان أن حجية السنة ضرورة دينية، وأنه لم يقع فيها خلاف بين المسلمين قاطبة.

الباب الثاني: في بيان أدلة حجية السنة وهي سبعة.

الباب الثالث: في بيان الشبه التي أوردها بعض من ينكر حجية السنة والرد عليها.

أما الخاتمة: تحدث فيها عن بعض مباحث تتعلق حجية السنة.

- كذلك وجدت كتاباً بعنوان: **"السنة ومكانتها في التشريع"؛** للدكتور مصطفى السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: دار الوراق، وهو عمل ضخم عمل صاحبه على أهمية السنة ومكانتها والرد على شبهات المنكرين بطريقة علمية رصينة، وهو في ثلاثة أبواب:

الأول: السنة في التشريع الإسلامي.

الثاني: في الشبه الواردة على السنة.

الثالث: مرتبة السنة في التشريع.

- أيضاً: **"اتجاهات في دراسات السنة قديماً وحديثًا"؛** للأستاذ الدكتور: محمد أبو الليث الخير أبادي، ط٣، الناشر: دار الشاكر-ماليزيا، ١٤٣٢هـ، وهو في فصلين:

الفصل الأول: اتجاهات قديمة في دراسات السنة.

الفصل الثاني: اتجاهات حديثة في دراسة السنة.

الثانية: شبهات القرآنيين:

- كتاب بعنوان: **" دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديماً وحديثًا وردها رداً علمياً"؛** للدكتور محمد أبو شهبة، الناشر: مكتبة السنة، وهو في ثلاثة أقسام:

الأول: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين.

الثاني: بعض الشبه الواردة على السنة قديماً وحديثًا وردها رداً علمياً صحيحاً.

الثالث: بيان الشبه التي أوردها بعض من ينكر حجية السنة والرد عليها؛ للدكتور عبد الخالق عبد الغني.

- وأيضاً: "**شبهات القرآنيين**"؛ لعثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وهو في فصلين:

الأول: ضرورة اعتماد السنة لسلامة فهم القرآن.

الثاني: ذكر فيه ثمان شبهات.

- أيضاً: "**القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير–دراسة نقدية–**"؛ للدكتور جمال محمد بن أحمد هاجر، ط١، الناشر: دار التفسير–جدة، ١٤٣٦ه، وهو في ثلاثة أبواب:

الأول: طائفة القرآنيون.

الثاني: القرآنيون والتفسير.

الثالث: جناية القرآنيين على التفسير.

- كذلك: "**القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**"؛ لخادم حسين إلهي بخش، ط٢، الناشر: مكتبة الصديق–الطائف، ١٤٢١ه، وهو في بابين:

الأول: تاريخ القرآنيين.

الثاني: آراء القرآنيين والرد عليها.

- كذلك دراسة: "**الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض**"؛ للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعن، ط١، ١٤٢٠ه، الناشر: مكتبه وهبة القاهرة حيث ذكر جميع الشبهات والرد عليها.

ما يميز هذا البحث عن غيره:

- دراسة أصولية فقهية.
- جامعه لجميع المفردات.
- تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي، مع الاستعانة بالمنهج الاستنباطي والاستقرائي، كما تم الالتزام بما يلي:

- عزو الآيات القرآنية إلى مكانها في المصحف.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، والحكم على الحديث إذا كان من غير الصحيحين.
- الرجوع إلى الكتب المعتبرة في المذاهب الفقهية؛ لتوثيق أقوال الفقهاء.
- عمل فهارس للآيات والأحاديث والآثار وكذلك للمصادر والموضوعات.
- إظهار النتائج التي توصل إليها الباحث في نهاية البحث.
- أما التوثيق يعتمد على التوثيق بالكامل إذا ذكر المصدر أول مرة، بعدها يقتصر على ذكر المؤلف، والكتاب، والجزء، والصفحة.

مشكلة البحث:

ظهور جماعة ينسبون أنفسهم للقرآن الكريم ولا يقبلون بالسنة النبوية، فهم يكتفون بنصوص القرآن الكريم، وهذا بدوره أظهر مشكلة كبيرة وهي: الأحكام الفقهية التي تستنبط من السنة، ككيفية الصلاة؟ والزكاة؟ والحج؟ وغيرها من العبادات؟ والأحوال الشخصية؟ والجنايات؟

وسيجيب هذ البحث عن الأسئلة التالية:

١. من هم القرآنيون؟
٢. هل السنة النبوية حجة؟
٣. ما هي شبهات القرآنين؟
٤. كيف يؤثر إنكار السنة على الأحكام الفقهية؟

أهداف البحث:

١. التعرف مفهوم القرآنيين، ومذهبهم، وأسباب ظهورهم، وأهدافهم.
٢. التمييز بين الأدلة وحجيتها.
٣. إظهار شبهات القرآنيين والرد عليها.
٤. بيان أمثلة على الأحكام الفقهية الواردة في السنة استقلالًا.
٥. دلالات الأحكام بين القطعية والظنية.

خطه البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة تضمنت: عنوان البحث، أسباب الاختيار، أهمية البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، أسئلة البحث، أهداف البحث، ومحتوى البحث.

المبحث الأول: القرآنيون تاريخهم وأهم أفكارهم وهو في مطلبين:

المطلب الأول: القرآنيون، وتاريخ نشأتهم، وهو في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم القرآنيين (أهل القرآن):

الفرع الثاني: تاريخ نشأتهم:

المطلب الثاني: منهجهم وأهم أفكارهم:

المبحث الثاني: حجية السنة ودلالتها على الأحكام مع بيان أمثلة على الأحكام الفقهية الواردة في السنة استقلالا وهو في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى السنة لغة واصطلاحاً:

المطلب الثاني: حجية السنة ودلالتها على الأحكام:

المطلب الثالث: أمثلة على الأحكام الفقهية المتعلقة بإنكار السنة:

المبحث الثالث: شبهات القرآنيين والرد عليها:

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: القرآنيون تاريخهم وأهم أفكارهم وهو في مطلبين:

بما أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلا يستطيع الباحث الحديث عن فرقة دون معرفة سيرتهم وأفكارهم وتاريخهم.

المطلب الأول: القرآنيون، وتاريخ نشأتهم، وهو في فرعين:

الفرع الأول: مفهوم القرآنيين (أهل القرآن):

القرآني: هو كل من اكتفى بالقرآن وحده مصدراً للتشريع، وهو بذلك يرفض السنة وباقي مصادر التشريع.[1]

---

١ هاجر، جمال بن محمد، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ط١، الناشر: دار التفسير–السعودية، ١٤٣٦ه، ص١٩.

ومسمى أهل القرآن كما ارتضاه أصحاب هذا الفكر لأنفسهم.[١]

والقرآنيون: " هم مذهب فكري معاد للإسلام، يسعون لحمل الناس على رفض السنة النبوية، وإبعادها عن حياتهم، كخطوة أولى تمكنهم من الوصول إلى القرآن الكريم والعبث في تفسيره والأحكام الشرعية الواردة فيه".[٢]

وفي الحقيقة هذا المصطلح "القرآنيون" شاع عنهم في الفترة الأخيرة ولا يدل على تمسكهم بالقرآن أو احترامه، بل أطلقوه؛ لأهداف عدة رسمت لهم:

١. إيهام الناس بأنهم ملتزمون بالقرآن.

٢. اعتبار باقي المسلمين مشتغلين بالسنة ويتركون القرآن.

٣. من يعارضهم ويرد عليهم يظن أنه يعادي القرآن.[٣]

وقد يظن البعض أن هذا المسمى مدح لهم وهو في الحقيقة ذم كما يفهم من كلام ابن قيم الجوزية:

"ولو أوْجَبَ تبديلُ الأسماء والصور تبدُّلَ الأحكام والحقائق لفسدت الديانات، وبُدِّلت الشرائع، واضمحل الإسلام، وأي شيء نَفَعَ المشركين تسميتهم أصنامَهم آلهةً وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها؟".[٤]

ويؤكد هذا المعنى عثمان بن معلم[٥]، وأطلق بعض العلماء عليهم "المخالفون للقرآن" أو " المتبعون للهوى".[٦]

---

١ بخش، مساعد خادم، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ط٢، الناشر: مكتبة الصديق-الطائف، ١٤٢١هـ، ص٩.

٢ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٢٦.

٣ مزروعة، محمود محمد، التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها، ط١، الناشر: دار الكتب المصرية، ١٤٣٦هـ، ص٩٣.

٤ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٥٦.

٥ ابن شيخ علي، عثمان بن معلم محمود، شبهات القرآنيين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٤.

٦ الجامي، محمد أمان، منزلة السنة في التشريع الإسلامي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، ص٣٣.

الفرع الثاني: تاريخ نشأتهم:

مر إنكار السنة في مراحل تاريخية مختلفة على مستوى الأفراد، ثم تطور إلى جماعات وهو كما يلي:

أولاً: القرن الهجري الأول (زمن الرسولﷺ)[1]: وكان الإنكار في زمان النبي ﷺ مقترناً بإنكار الرسالة المحمدية من قبل اليهود والنصارى والمنافقين ومشركي العرب[2]،

حيث بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيحصل الطعن في السنة: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه).[3]

على شكل أفراد: وكانت البداية من البصرة في العراق كما أثبت ذلك الأعظمي.[4]

حيث جاء عن عمران بن الحصين أنه قال لرجل: (إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعا، لا تجهر فيها بالقراءة، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسرا، إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك ".[5]

وأيضاً: (بينما عمران بن حصين يحدث، عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل: يا أبا نجيد، حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: "أنت وأصحابك يقرأون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدت

---

١ الغوري، سيد عبد الماجد، وممتاز الدين، خديجة فاطمة بنت سيد، وبن ناصر، محمد نورزي، **منكرو السنة واتجاهاتهم وشبهاتهم وجهود العلماء في مقاومتهم عرض تاريخي علمي**، معهد دراسات الحديث النبوي "إنهاد"، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية (كويس) سلانجور-ماليزيا، ص٣.

٢ هاجر، **القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"**، ص٣٥-٣٦.

٣ أبو داود، سليمان بن الأشعث (المتوفى: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط١، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ه، ج٧، ص١٣، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦٠٤، وعلق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح، حكم عليه في كتاب **مشكاة المصابيح**، للتبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٥م، ج١، ص٥٧، باب: الاعتصام بالكتاب والسنة، حديث رقم: ١٦٣.

٤ الأعظمي، محمد مصطفى، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤٠٠ه، ج١، ص٢٢.

٥ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ه، ج٢، ص١١٩٢، باب: موضع السنة من الكتاب وبيانها له، رقم: ٢٣٤٨.

وغبت أنت»، ثم قال: «فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا" وقال الرجل: أحييتني أحياك الله. قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين).[1]

وفي هذه الشواهد بيان للحال الحاصل في تلك الفترة، وأن ذلك على سبيل الأفراد فقد تكون نيته سليمة وليس قصده الطعن في السنة، لكن مع ذلك وجدوا من يوجههم للصواب.

ثانيًا: القرن الثاني والثالث (وكان على شكل جماعات)[2]:

- **الخوارج:**[3] كان الخوارج من أنصار علي ﷺ، وبعد التحكيم أنكروه أن يحكم الرجال في كتاب الله لا حكم إلا لله، ثم اعتبروا التحكيم معصية وكفرا، حتى توزعوا في ٢٠ فرقة، ومنهم الإباضية كما ذكر ذلك ابن حزم في كتابه الملل والنحل[4]، واستثنوا من ذلك الإباضية الذين يروون عن الصحابة كعلي وعثمان وعائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك ﷺ.
- **الشيعة:** هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.[5]
- **المعتزلة:** نشأت على يد واصل بن عطاء عام: (١٣١هـ)، في العهد الأموي وازدهرت في العهد العباسي، وهذا المسلك فكري أكثر من أنه سياسي حيث تأثر أصحابه باليونان وفلسفتها، ونسب إليهم إنكار السنة بمجملها وهذا غير صحيح، بل ينسب ذلك للنظام من المعتزلة.[6]

---

١ أخرجه الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ه، ج١، ص١٩٢، كتاب: العلم، رقم: ٣٧٢، علق عليه الذهبي: عقبة بن خالد الشيخ من ثقات البصريين وعبادهم، وهو عزيز الحديث.

٢ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٥٥.

٣ أحمد، صلاح الدين مقبول، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا، ط١، الناشر: مجمع البحوث العلمية الإسلامية نيودلهي-الهند، ١٤١١ه، ص٤١-٤٢.

٤ ابن حزم، علي بن أحمد (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ج٤، ص١٤٤.

٥ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، ج١، ص١٤٦.

٦ ينظر: الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٤، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع-الرياض، ١٤٢٠ه، ج١، ص٦٤، والأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ص٢٣ وما بعدها، والسباعي، د. مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، دار الوراق، ص٢٠ وما بعدها.

وكان يتصدى أئمة المذاهب الأربعة لهم ويدافعون عن السنة، فهذا أبو حنيفة يوبخ من يكتفي بالقرآن دون السنة[١]، وهذا الشافعي يذب مدافعاً عن سنة النبي ﷺ[٢]، وكذا الأمام أحمد يقف كالأسد شامخاً أمام فتنة خلق القرآن.[٣]

ثالثاً: القرن الرابع الهجري وما بعده:[٤] ولقد عرض في هذا القرن الكثير من الاعتراضات على السنة، حيث عقد الإمام الآجري في كتابه:" الشريعة" باباً: بعنوان:" باب التحذير من طوائف يعارضون سنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى وشدة الإنكار على هذه الطبقة"[٥]، وسار على طريقه ابن بطة في كتابه " الإبانة الكبرى" تحت عنوان: " باب ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ والتحذير من طوائف يعارضون سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن".[٦]

رابعاً: القرن الخامس الهجري:[٧] وهو ما ذكره الإمام البزدوي في أصوله " كنز الوصول إلى معرفة الأصول".[٨]

خامساً: القرن الثامن الهجري:[٩] وفي هذا العصر ظهرت طائفة تستغني بالقرآن عن السنة، كما ذكر ذلك الإمام الشاطبي حيث ذكر في كتابه "الموافقات" أن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة.[١٠]

---

١ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ص٥٢.

٢ الشافعي، محمد بن إدريس (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **جماع العلم**، ط١، الناشر: دار الأثار، ١٤٢٣ه، ص٤.

٣ صالح بن الإمام أحمد، بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٦٥هـ)، **سيرة الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط٢، الناشر: دار الدعوة – الإسكندرية، ١٤٠٤ه، ص٤٩.

٤ هاجر، **القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"**، ص٦٩.

٥ الآجري، محمد بن الحسين (المتوفى: ٣٦٠هـ)، **الشريعة**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، الناشر: دار الوطن – الرياض-السعودية، ١٤٢٠ه، ج١، ص٤١٠.

٦ ابن بطة، عبيد الله بن محمد (المتوفى: ٣٨٧هـ)، **الإبانة الكبرى**، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط٢، ١٤١٥ه، ج١، ص٢٢٣.

٧ هاجر، **القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"**، ص٧٣.

٨ البزدوي، فخر الإسلام علي بن محمد (المتوفى: ٣٨٢ه)، **أصول البزدوي (كتر الوصول إلى معرفة علم الأصول)**، ص١٥٠.

٩ هاجر، **القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"**، ص٧٤.

١٠ الشاطبي، إبراهيم بن موسى (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧ه، ج٤، ص٣٢٥-٣٢٦.

سادساً: القرن التاسع الهجري:[1] ظهر الطعن في اليمن، فرد ابن الوزير في كتاب أسماه: "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم"[2]، وكذا الإمام السيوطي في كتابه: " مِفْتَاح الْجنَّة فِي الاحتجاج بِالسنةِ"[3]

سابعاً: جذورهم في العصر الحاضر: شن المستشرقون حملة تنقيب في كتب الفرق الضالة وتاريخهم فوجدوا ضالتهم، فتمسكوا بهذه الشبهات حتى يفسدوا هذا الدين العظيم، وتتلمذ على أيديهم للأسف مسلمين تم استخدامهم في محاولة هدم جدار الدين والتعرض لمصدر الدين الثاني للتفرد بفهم القرآن حتى يخرج عن فهمه الصحيح، فيكون بذلك الدين ألعوبة بيد المبطلين، ولم يقصروا في بث أفكارهم المسمومة هنا وهناك عبر كل وسيلة متاحة.[4]

- **تأسيس نواتهم في الهند:** وكان ذلك عندما مهد الاستعمار الانجليزي لسقوط الهند اقتصادياً على يد "شركة الهند الشرقية" التي انخرط **أحمد خان**(المتوفى:١٨٩٧م)، المؤسس الحقيقي للجماعة للعمل فيها، فأغدق عليه الانجليز بالمال مقابل تنفيذه لمخططاتهم، وبعد ذلك احتل الإنجليز الهند (١٨٥٧م) وساعدهم في إحلال الثقافة الغربية وهدم قواعد الدين.[5]

المولوي جراغ علي (المتوفى:١٨٩٥م): وهو التلميذ الأول لأحمد خان حيث حمل فكره ودافع عنه وروج له، وقام بنشره، وأظهر عدائه للسنة.[6]

عبد الله جكرالوي (المتوفى:١٩١٤م): باكستاني النشأة، وكان يتقن اللغة العربية والأوردية، والذي أدى لانحرافه بعد سيره الصحيح مناظرته لأحد أقاربه الذي ملأ رأسه بالشبهات حول السنة فانقلب على عقبيه.[7]

---

١ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٧٥.

٢ ابن الوزير، محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٨٤٠هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ه، ج١، ص٣٢٧.

٣ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط٣، الناشر: الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، ١٤٠٩ه، ص٥.

٤ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٧٩.

٥مزروعة، محمود محمد، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٢٩، وبخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٩، وهاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٧٩-٨٠.

٦ بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٠٦.

٧ مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٣٣، وبخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٥ وما بعدها.

أحمد الدِّين الأَمْرِتْسرِي (المتوفى:١٩٣٦م): تبنى أفكار أحمد خان لكنه لم يظهر ذلك للعيان، بل استخدم طرقًا ملتوية للترويج لذات الفكر، وأسس هو وجركرالوي " الأمة المسلمة أهل الذكر والقرآن".[١]

الحافظ أسلم جراجبوري (المتوفى: ١٩٥٥م): وكانت صلته بالأمرتيسي، حيث تأثر بفكره، والذي جعله ينحى هذا المنحى إشكال مسألة في الميراث عليه فلم يجد ما يتوافق مع فكره، فزعم وجودها في القرآن فحارب كل ما هو دونه.[٢]

غلام أحمد برويز (المتوفى: ١٩٥٨): تأثر بفكر أحمد خان وعبد الله جكرالوي، واعتمده وروج له، وهو صاحب حركة "ظهور الإسلام".[٣]

- **في البلاد العربية: (مصر، وسوريا، وليبيا):** وكانت نواة البداية في المطلع القرن الرابع عشر الهجري، وذلك بعد التقاء الحضارات الإسلامية بالمسيحية، وحملات المستشرقين وفضول بعض باحثين العرب الذين ذهبوا للتعرف على حضارة الغير والذي أدى لاستخدامهم في مهاجمة حضارتهم ومحاربتها.[٤]

الطبيب محمد توفيق صدقي (المتوفى:١٩٢٠م): وكانت مجلة المنار التي أسسها محمد رشيد رضا تستقبل كتابات من هذه النوعية، فكتب صدقي " الإسلام هو القرآن وحده"، فبين أن القرآن ستغن عن السنة وهو ليس بحاجة لها.[٥]

إسماعيل أدهم (المتوفى: ١٩٤٠م): حيث تغذى من أفكار المستشرقين وكتب رسالة بعنوان: "من مصادر التاريخ الإسلامي"، حيث طعن فيها بالسنة والأحاديث والصحابة.[٦]

الدكتور أحمد زكي أبو شادي (المتوفى: ١٩٥٥م): اشتهر عنه الطعن بالسنة والسخرية من جامعيها، والدعوة للاكتفاء بالقرآن.[٧]

---

١ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٩٠.

٢ بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٤٢.

٣ مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٤٥، وبخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٤٧ وما بعدها.

٤ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٩٦.

٥ المرجع نفسه، ص٩٩ وما بعدها.

٦ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص١٠٤.

٧ المرجع نفسه، ص١٠٦.

محمود أبو رية (المتوفى: ١٩٧٠م): تأثر من سابقيه ومن المستشرقين وأظهر معارضته للسنة في كتاب أساه: "أضواء على السنة المحمدية".[١]

محمود أبو زيد الدمنهوري: بدأ الطعن في السنة معتبر لها " أنها نكبة على الأمة".[٢]

وكذلك مجموعة كبيرة منهم: السيد صالح أبو بكر، المهندس الزراعي رشاد خليفة (المتوفى:١٩٩٠م)، الدكتور إسماعيل منصور، أحمد صبحي منصور في كتابه: " القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي"، وجمال البنا، وهؤلاء كلهم في **مصر.**[٣]

أما سوريا: المهندس محمد شحرور، سامر إسلامبولي، نيازي عز الدين، المهندس عدنان الرفاعي.[٤]

أما ليبيا: معمر القذافي، ومصطفى كمال المهداوي.[٥]

ولقد توزع هذا الفكر وانتشر في بلادنا العربية على وجه العموم، وفلسطين على وجه الخصوص في بعض مدنها.

المطلب الثاني: منهجهم وأهم أفكارهم:

أولاً: منهج القرآنيين: منهج عقلي يعتمد على فهم القرآن بالقرآن يرفضون كلمة تفسير القرآن، التفسير يكون عندهم الشيء الغامض والمعقد، بينما القرآن ميسر للفهم والتدبر كما يرفض القرآنيون روايات أسباب النزول أو التفسيرات المذكورة في كتب التراث ويعتبرونها تخص ذلك الزمان، ولا يمكن قياسها على زماننا الحالي؛ لذلك ينكرون الكثير من الأحكام الشرعية بهذه الحجة، ويعملون على جعل النصوص عبارة عن نصوص فارغة المحتوى بعيدة المعاني تفسر على حسب أهوائهم وما يتوافق مع حضارة أسيادهم.[٦]

---

١ المرجع نفسه، ص١٠٨.

٢ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية" ، ص١١٢.

٣ المرجع نفسه، ص١١٤-١٢٤.

٤ المرجع فسه، ص١٢٥-١٣٤.

٥ المرجع نفسه، ص١٣٤-١٣٩، بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص١٩٧.

٦ نصر الله، وفاء، القرآنيون وأهم شبهاتهم، بإشراف: د. علي أحمد ناصح، الناشر: الأدب العربي، العدد: ١، السنة السادسة، ١٤٣٥ه، ص١٩٩.

ثانياً: أهم أفكار القرآنيين:[1]

١. الحديث ليس مصدراً للتشريع، فكلام النبي صلى الله عليه وسلم ليس وحياً ثان، فهو غير ملزم للمسلمين.

٢. عدم صحة عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فهو بشر يصيب ويخطئ والعصمة فقط في كتاب الله.

٣. لا يؤمنون في عدالة الصحابة مجرد الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم لا تكسبهم العدالة.

٤. لا يعتقد القرآنيون بأن النسخ في القرآن بمعنى الحذف والإلغاء وإنما الإثبات والكتابة؛ لأن الحذف يتعارض مع كون الآيات محكمة.

٥. القرآن جامع لكل ما يحتاج إليه البشر؛ لقوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾.[2]

٦. عدم حاجة القرآن؛ لأن التفسير يكون فقط للغامض.

٧. نفي الأمور الغيبية والمعجزات.

٨. لا معجزة للنبي ﷺ سوى القرآن.

٩. الطعن في بعض الحدود كالرجم.

١٠. نفي حجاب المرأة.

١١. التشكيك في عبادات المسلمين، كعدد ركعات الصلاة، والصيام كما عند شحرور اختياري، وكذلك شككوا في لباس الإحرام، وكذا في مقدار الزكاة.

---

١ هاجر، القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"، ص٦٧٧-٧١١، ونصر الله، القرآنيون وأهم شبهاتهم، ص١٩٩-٢٠٠.

٢ سورة الأنعام، آية: ٣٨.

المبحث الثاني: حجية السنة ثبوتها ودلالتها مع بيان أمثلة على الأحكام الفقهية الواردة في السنة استقلالا. وهو في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: معنى السنة لغة واصطلاحاً:

وفيه معنى السنة لغة وفي اصطلاح الفقهاء والمحدثين والأصوليين، وكذلك الأدلة على حجيتها من القرآن.

السنة (لغة): الطريقة والسيرة[١]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها).[٢]

في الاصطلاح اللغوي: هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب.[٣]

في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها.[٤] **وفي اصطلاح الأصوليين:** ما صدر من الرسول ﷺ من الأقوال، والأفعال والتقرير[٥]، وبعضهم يعرفها: ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال التي ليست للإعجاز، ويدخل التقرير في الأفعال.[٦]

---

١ ابن منظور، محمد بن مكرم (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٤١٤ه، ج١٣، ص٢٢٥، حرف النون، فصل: السين المهملة، والفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ه، ج٥، ٢١٣٨، مادة: سنن.

٢ مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٢، ص٧٠٤، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث رقم: ١٠١٧.

٣ الجرجاني، علي بن محمد (المتوفى: ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣ه، ص١٢٢، باب: السين، والكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش –محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ص٤٩٧، فصل: السين.

٤ السمعوني، طاهر بن صالح (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤١٦ه، ج١، ص٤٠، والقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ص٦٢.

٥ الزركشي، بدر الدين محمد (المتوفى: ٧٩٤هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط١، ١٤١٤ه، ج٦، ص٦، الشوكاني، محمد بن علي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق –كفر بطنا، ط١، الناشر: دار الكتاب العربي–بيروت، ١٤١٩ه، ج١، ص٩٥.

٦ السبكي، علي بن عبد الكافي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ)، **الإبهاج في شرح المنهاج**، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٦ه، ج٢، ص٢٦٣، والإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن (المتوفى: ٧٧٢هـ)، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ١٤٢٠ه، ص٢٤٩.

في اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة[1]، أو هي ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.[2]

ومما سبق يتبين ما يلي:

١. في الاصطلاحات الثلاثة ما أثر وما نقل وما ثبت كلها تدل على تأكيد صدورها عن النبي ﷺ.

٢. أيضا هناك مصدر والنبي ﷺ يجيب بلفظه عما يعرض له في السؤال بخصوص التشريع.

٣. وفي هذا المصدر هناك من نقل أو تتبع الحوادث وهم الصحابة رضي الله عنهم.

٤. وفي اصطلاح الاصوليين أخرجوا الصفات الخُلقية والخلقية والأمور التي لا يبنى عليها حكم تشريعي حتى تتميز عن الأمور البشرية.

المطلب الثاني: حجية السنة ثبوتها ودلالتها، وفيه فرعان:

الفرع الأول: حجية السنة:

للسنة مكانة عظيمة في الإسلام فهي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن، والأصل أن هذه المكانة محفوظة ومستقرة في نفوس الناس، لكن لما ظهرت بعض الفرق التي نالت من السنة حاولت عزل القرآن لتتفرد بتفسيره وتفرغه من محتواه، كان لزاماً على كل باحث وطالب علم شرعي التصدي لهم وبيان أهمية السنة وحجيتها.

وقد اتفق أهل العلم ممن يعتد بهم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام[3]؛ لقوله ﷺ: (ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه).[4]

بل حجية السنة بمنزلة البديهي؛ لتقرره في الكلام وشهرته بين الأنام كما ذكر ذلك صاحب التلويح.[5]

وفي الحقيقة علماء الأصول لما كانوا يذكرون موضوع السنة كانوا يؤكدون على موضوع العصمة وأهميته، وكأنهم يتحدثون ضمناً عن إثبات الحجية لمن ثبت لديه عصمة النبي ﷺ، وقد عقد الآمدي

---

١ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج١، ص٩٥، والسباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٦٦.

٢ الرحيباني، مصطفى بن سعد (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ط٢، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤١٥ه، ج١، ص٩٢.

٣ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج١، ص٩٦.

٤ سبق تخريجه، ص٢.

٥ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩٣هـ)، شرح التلويح على التوضيح، الناشر: مكتبة صبيح بمصر، ج١، ص٣٨.

عند حديثه عن الأصل الثاني السنة الحديث في مقدمة عن عصمة الأنبياء، حيث ذكر الخلاف الواقع في عصمتهم قبل النبوة، أما بعدها فالاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى.[1]

وفيما يلي أسوق أدلة مجملة تبين حجية السنة وأهميتها في الإسلام:

أولاً: من القرآن:

١. **قال تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.**[2]

وجه الاستدلال: الرسول ﷺ مبين عن الله عز وجل مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك مما لم يفصله.[3]

٢. **قال تعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} ﴾.**[4]

وجه الاستدلال: ما يقول قولا عن هوى وغرض إن هو إلا وحي يوحى أي إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.[5]

٣. **قال تعالى:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.**[6]

وجه الاستدلال: فرض علينا أن نقول نهانا الله تعالى ورسوله ﷺ.[7]

٤. **وقال تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.**[8]

وجه الاستدلال: طاعة الله اتباع كتابه، وطاعة الرسول اتباع سنته.[9]

---

١ الآمدي، علي بن أبي علي (المتوفى: ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق-لبنان، ج١، ص١٦٩-١٧٠.

٢ سورة النحل، آية: ٤٤.

٣ القرطبي، محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤ه، ج١٠، ص١٠٩.

٤ سورة النجم، آية: ٣-٤.

٥ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩ه، ج٧، ص٤١١.

٦ سورة الحشر، آية: ٧.

٧ ابن حزم، علي بن أحمد (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج١، ص١٣٢.

٨ سورة الأنفال، آية: ١.

٩ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤٢١ه، ج١، ص١٢٦.

٥. قال تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، وقوله: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾.[٢]

وجه الاستدلال: نزلت هذه الآية في رجل خاصم "الزبير" في أرض، فقضى النبي بها "للزبير" وهذا القضاء سنة من رسول الله، لا حكم منصوص في القرآن.[٣]

٦. وقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾.[٤]

وجه الاستدلال: نفى الله تعالى ثبوت الخيرة في أمر النبي ﷺ وانتفاء الخيرة نص في التحتيم والايجاب.[٥]

٧. قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.[٦]

وجه الاستدلال: فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ورسوله، فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدا، حتى يؤمن برسوله معه.[٧]

٨. وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾.[٨]

وجه الاستدلال: فأعلم الله الناس في هذه الآية، أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكم بينهم: دعاء إلى حكم الله، لأن الحاكم بينهم رسول الله، وإذا سلموا لحكم رسول الله، فإنما سلموا لحكمه بفرض الله.[٩]

والأدلة التي تؤكد حجية السنة من القرآن كثيرة لا يمكن حصرها.

---

١ سورة النور، آية: ٦٣.

٢ سورة النساء، آية: ٦٥.

٣ الشافعي، محمد بن إدريس (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨ه، ج١، ص٨٢.

٤ سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

٥ السمعاني، منصور بن محمد (المتوفى: ٤٨٩هـ)، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه، ج١، ص٥٦.

٦ سورة النور، آية: ٦٢.

٧ الشافعي، الرسالة، ج١، ص٧٣.

٨ سورة النور، آية: ٤٨.

٩ الشافعي، الرسالة، ج١، ص٨٤.

والآيات بمجموعها تدل على أمور:

١- فرض الإيمان بالنبي ﷺ.

٢- وجوب طاعته وأنه مبين للكتاب وشارح له.

٣- وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه.

٤- الله كلفه باتباع ما يوحى إليه متلواً وغير متلو، وتبليغ جميع ما أنزل إليه.

٥- حظر مخالفة أمره.[١]

ثانيًا: من السنة:

والأحاديث الدلة على حجية السنة من السنة كثيرة سيقتصر الباحث على ذكر بعضها:

١. قوله ﷺ: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه).[٢]

٢. وقوله ﷺ: (أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن يقول: إن الله لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني – والله – قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء، إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم، إذا أعطوكم الذي عليهم).[٣]

٣. وقال ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني....).[٤]

وجه الاستدلال: من أطاعني فقد أطاع الله هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾[٥] أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره ويحتمل أن يكون المعنى لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي.[٦]

---

١ القاضي عياض، بن موسى بن عياض (المتوفى: ٥٤٤هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ط٢، الناشر: دار الفيحاء – عمان، ١٤٠٧ه، ج٢، ص٩، وأبو الكمال –أو أبو الحسن –عبد الغني بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى المصري القاهري (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، **حجية السنة**، الناشر: مطابع الوفاء–المنصورة–مصر، ٢٩١–٣٠٨.

٢ سبق تخريجه، ص٢.

٣ أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، ج٤، ص٦٥٦، كتاب: الخراج والفيء والإمارة، باب: تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم: ٣٠٥٠، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

٤ البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦ه)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، الناشر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ه، ج٤، ص٥٠، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، حديث رقم: ٢٩٥٧.

٥ سورة النساء، آية: ٨٠.

٦ ابن حجر، أحمد بن علي (المتوفى: ٨٥٢ه)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه، ج١٣، ص١١٢.

وأيضاً: فيها إخبار النبي ﷺ أن الله أوحى إليه القرآن، وأن ما بينه وشرعه من الأحكام هو تشريع من عند الله.[١]

٤. قال ﷺ: (ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه).[٢]

٥. وجاء في الحديث عنه ﷺ : (...فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء، المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ).[٣]

وجه الاستدلال: الحديث الأول: من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام، وتدل بمجموعها على أمر النبي ﷺ بالتمسك بالسنة والنهي عن إفراد القرآن بالأخذ بما فيه فقط.[٤]

٦. وجاء في الحديث :(بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار)[٥]، وفيه الأمر بحفظ الحديث واستماعه، وتبليغه، وعدم وضعه.[٦]

٧. وكذلك قوله ﷺ: (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع).[٧]

وجه الاستدلال: فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها، والمرء واحد: دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدى عنه حلال وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا.[٨]

---

١ أبو الكمال، حجية السنة، ص٣٠٨ وما بعدها.

٢ رواه الشيخان، البخاري ومسلم، البخاري، صحيح البخاري، ج٩، ص٩٤، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم:٧٢٨٨، ومسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٩٧٥، كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم: ١٣٣٧، واللفظ لمسلم.

٣ أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، ج٧، ص١٦، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم: ٤٦٠٧، قال الأرناؤوط: حديث صحيح، وأخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، ج٤، ص٣٤١، أبواب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم: ٢٦٧٦، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

٤ النووي، يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢ه، ج٩، ص١٠٢، وأبو الكمال، حجية السنة، ص٣١٧ وما بعدها.

٥ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٧٠، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٦١.

٦ أبو الكمال، حجية السنة، ص٣١٩.

٧ أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٣٣١، أبواب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم: ٢٦٥٧، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

٨ الشافعي، الرسالة، ج١، ٤٠١.

والحقيقة يتعذر العمل بالقرآن وحده دون الرجوع للسنة، كيف لا وعلى صاحب السنة ﷺ نزل القرآن، فهو الذي يعلم الفهم الصحيح، وعند النظر في الصلاة والزكاة والحج وكثير من تفصيلات العبادات وكذلك المعاملات، التي جاءت مجملة في القرآن بينها النبي ﷺ في السنة فكانت شارحة وموضحة للقرآن.[1]

ثالثًا: من آثار الصحابة ﷺ:

١. قال أبو بكر ﷺ: (أيُّ أرضٍ تُقِلني، وأيُّ سماء تُظِلني إن قلت في آيةٍ من كتاب اللَّه برأيي، أو بما لا أعلم).[2]

٢. عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (إياكم وأصحابَ الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتْهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلّوا وأضلّوا).[3]

٣. عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (أتى علينا حين ولسنا نقضي، ولسنا هنالك، وإن الله عز وجل قدر أن بلغنا ما ترون، فمن عرض له قضاء بعد اليوم، فليقض فيه بما في كتاب الله، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، فليقض بما قضى به نبيه، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولم يقض به نبيه صلى الله عليه وسلم، فليقض بما قضى به الصالحون).[4]

٤. عن ميمون بن مهران ﷺ، قال: (إن هذا القرآن قد أخلق في صدور كثير من الناس فالتمسوا ما سواه من الأحاديث...) قال أبو عمر: " معنى قوله: إن هذا القرآن قد أخلق، والله أعلم، أي أخلق علم تأويله من تلاوته إلا بالأحاديث عن السلف العالمين به، فبالأحاديث الصحاح عنهم يوقف على ذلك لا بما سولته النفوس وتنازعته الآراء كما صنعته أهل الأهواء.[5]

---

١ أبو الكمال، حجية السنة، ص٣٢٣.

٢ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٢، ص٩٩-١٠٠.

٣ البيهقي، أحمد بن الحسين ٣٨٤ هـ -٤٥٨ هـ)، المدخل إلى علم السنن، اعتنى به وخرَّجَ نقُولَه: محمد عوامة، ط١، الناشر: دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة -جمهورية مصر العربية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٣٧ه، ج٢، ص٦٢٠، باب: ما يذكر من الرأي وتكلف القياس في موضع النص، حديث رقم: ١٣٤٦.

٤ النسائي، أحمد بن شعيب (المتوفى: ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ه، ج٨، ص٢٣٠، كتاب: آداب القضاة، باب: الحكم باتفاق أهل العلم، حديث رقم: ٥٣٩٨، قال الألباني: صحيح لغيره.

٥ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص١٢٠٣، باب: فيمن تأول القرآن وتدبره وهو جاهل بالسنة قال أبو عمر: «أهل البدع أجمع أضربوا عن السنة وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا، حديث رقم: ٢٣٦٦.

رابعًا: الإجماع:

- قال الشافعي –قدس اللَّه تعالى روحه–: "أجمع المسلمون على أن مَنْ استبانت له سنةُ رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم–؛ لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحدٍ من الناس".[1]
- وقال أيضًا: ولا أعلم من الصحابة ولا التابعين أحدا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبل خبره وانتهى إليه وأثبت ذلك سنة.[2]
- قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة يتعمد مخالفة الرسول ﷺ في شيء من سنته".[3]
- وقال الشوكاني –رحمه الله–: "اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام".[4]

الفرع الثاني: السنة ثبوتها ودلالتها وخبر الواحد:

مصادر التشريع الإسلامي كالقرآن والسنة لا بد من معرفة حكمها من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة[5]:

أولاً: القرآن الكريم قطعي الثبوت، أما في الدلالة فمنه القطعي كالآيات المحكمة، ومنه الظني كبعض آيات الأحكام.

ثانياً: أما السنة فمنها قطعي الثبوت وقطعي الدلالة كالمتواتر.

ثالثاً: ومن السنة ما هو ظني الثبوت قطعي الدلالة، كأخبار الآحاد ذات المفهوم القطعي.

رابعاً: ومنها ما هو ظني الثبوت والدلالة، كأخبار الآحاد التي مفهومها ظني.

---

١ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٢، ص١١.

٢ السيوطي، مفتاح الجنة، ص٣٤.

٣ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ)، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض –المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ، ص٥-٦.

٤ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج١، ص٩٦.

٥ البخاري، عبد العزيز، (المتوفى:٧٣٠هـ)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ج١ القطان، مناع بن خليل، (المتوفى:١٤٢٠هـ)، تاريخ التشريع الإسلامي، ط٥، مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ، ص٨١، الأشقر، محمد سليمان، أَفْعَالُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلَالَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، ط٦، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص١٦٥.

فإذن السنة ليست كلها في المرتبة على السواء في الثبوت والدلالة، فمنها القطعي ومنها الظني في، أما مرتبتها مع القرآن من حيث المصدرية:

اتفق العلماء على حجية السنة واختلفوا في ترتيبها ومنزلتها مع القرآن[١]:

فذهب الحنفية[٢]، والمالكية[٣]، وابن حزم[٤] إلى أن القرآن والسنة في المرتبة سواء، إلا أن الحنفية والمالكية يشترطون أن يكون الحديث متواتراً حتى ينسخ القرآن، بخلاف ابن حزم فإن المتواتر والآحاد عنده في نسخ القرآن سواء.

وذهب الشافعي[٥]، وأحمد[٦] إلى أن السنة في المرتبة الثانية، ولا يمكن لها نسخ القرآن الكريم بل جل ما يحصل أن الآية قد تكون منسوخة بآية أخرى، أو أن السنة منسوخة أو ضعيفة، أو يكون وجه الاستدلال ضعيفا في الآية أو الحديث.

مما سبق يتبين للباحث أن السنة حجة ومصدر أصيل في تفسير الأحكام الشرعية التي أُجملت في القرآن الكريم، أو تخصيص لعمومها، والمنشئة لبعض الأحكام في التشريع الإسلامي التي لم تذكر في القرآن، وهي بذلك شارحة ومفصلة لآيات القرآن الكريم.

وعلماء الأصول بينوا أن دلالة السنة الزائدة على القرآن لا تخرج عن على ثلاثة أقسام:

الأول: السنة المبينة له.

الثاني: المنشئة لحكم لم يتعرض له القرآن، وهذه متفق عليها بين العلماء.

الثالث: المغيرة لحكم القرآن الكريم، وهذه الزيادة على النص.

كما نص على ذلك الإمام الشافعي[٧]، وابن قيم الجوزية[٨].

المطلب الثالث: أمثلة على الأحكام الفقهية المتعلقة بإنكار السنة:

---

١ الترتوري، حسين مطاوع، مباحث السنة عند الأصوليين، مجلة البحوث الإسلامية، عدد: ٢٠، ١٩٨٧م، ص٢٣٨-٢٤٠.

٢ السرخسي، محمد بن أحمد (المتوفى: ٤٨٣ هـ)، أصول السرخسي، حققه: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ج٢، ص٦٧.

٣ القرافي، أحمد بن إدريس (المتوفى: ٦٨٤هـ)، شرح تنقيح الفصول، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٣٩٣هـ، ص٣١١.

٤ ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج٤، ص١٠٧.

٥ الشافعي، الرسالة، ج١، ص١٠٦.

٦ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، (المتوفى: ٦٢٠هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر، ط٢، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٢٢٤.

٧ الشافعي، الرسالة، ج٢، ص٢٢١.

٨ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١، ص٣٨.

سيتم ذكر أهم الأمثلة على الأحكام الفقهية التي تتعارض مع الاكتفاء بالقرآن دون الأخذ بالسنة.

المثال الأول: في العبادات:

الصلاة فالله تعالى أمرنا بالصلاة في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)[1]، ولكن هذا الأمر عند التنفيذ يحتاج لطريقة معينة أرادها الله تعالى، وهذه الطريقة إذا بحثت في القرآن الكريم لن تجدها، فلذلك كان لا بد من مبين فجاءت السنة النبوية لتبين لنا الطريقة الصحيحة لتنفيذ هذا الأمر الرباني، يظهر ذلك في فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[2].

المثال الثاني: في الأحوال الشخصية:

لولا دلالة السنة لم يكن ميراث إلا بعد الوصية والدين، لكن تحديدها بالثلث حفظ الميراث من الضياع[3]، وكذلك ميراث الجدة الذي لم ينص عليه القرآن الكريم، والجمع في الزواج بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها.

المثال الثالث: في الجنايات:

جاءت السنة النبوية شارحة ومفصلة ومبينة لأحكام الجنايات التي وردت في القرآن الكريم على سبيل الإجمال، فبينت حكم شارب الخمر، وبينت كيفية القصاص، وبينت دية الجنين وهي الغرة، وهذه التفاصيل لا تجدها في القرآن استقلالاً، فلو أننا جدلاً قلنا نأخذ فقط في القرآن فكيف سنتعامل مع هذه الجنايات؟

المبحث الثالث: شبهات القرآنيين والرد عليها:

يُرجع بعض الباحثين أن كل الذين حملوا لواء الشبهات ضد السنة النبوية قد اعتمدوا على مصدر أساسي وهو من تأليف اليهودي "جولد سيير أو زيهر" في كتابه: "العقيدة والشريعة في الإسلام"، حيث تُرجم وطبع بتوجيه الدكتور طه حسين الذي كان مشرفًا على دار الكاتب المصري اليهودية.[4]

وفي هذا المبحث الأخير سيذكر الباحث أهم الشبه التي أثارها القرآنيون والرد عليها وهي كما يلي:

الشبهة الأولى: القرآن وحده يكفي:

---

١ سورة البقرة، آية: ١١٠.

٢ البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص١٢٨، كتاب: الأذان، باب: الْأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً وَالْإِقَامَةِ وَكَذَلِكَ بِعَرَفَةَ وَجَمْعٍ، حديث رقم: ٦٣١.

٣ الشافعي، الرسالة، ج١، ص٦٤.

٤ الجندي، أنور، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، الناشر: دار الأنصار-القاهرة، ص٧.

لقوله تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2]، إن القرآن الكريم كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، وإن القرآن قد اشتمل على الدين كله، بجملته وتفصيله، بكلياته وجزئياته، وأنه يحتوي جميع الأحكام التشريعية بتفصيلاتها، ما ترك شيئاً ولا فرط في شيء. ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة لمصدر ثان للتشريع. فالسنة لا حاجة إليها، ولا مكان لها.[3]

الرد على هذه الشبهة: إن القول بهذه الشبهة يدل على جهل بالقرآن المجيد، وعدم فهم لآياته، بل يدل على سوء قصد لدى القائلين بها، فالأمة مجمعة على أن القرآن العظيم قد اشتمل الدين مجملاً في كثير من جوانبه وأحكامه، ومفصلاً في جوانب أخرى، وقد جاءت السنة النبوية المطهرة فبينت المجمل وفصلته، والنبي – ﷺ– وهو يبين ويفصل إنما ينفذ أمر الله – تعالى – ويؤدي ما وكله الله – تعالى – إليه من بيان القرآن المنزل على الخلق، تطبيقاً واستجابة لأمر الله – عز وجل – في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، ومعنى الآية كما بينها الطبري في تفسيره، أن ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم.[5]

الشبهة الثانية: النهي النبوي عن تدوين السنة:

يستندون على رواية مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺأن رسول ﷺ قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[6].

فلو كانت السنة حجة لما نهى النبي ﷺ عن كتابتها وتدوينها، ولأمر بكتابتها.[7]

الرد على هذه الشبهة: تمسكهم بهذا الحديث يدل على عدم اطلاعهم وعلمهم، وأنهم يبحثون عما يدعم موقفهم دون جمع كل الأدلة والنظر فيها، فالأحاديث التي جاءت في الإذن بالكتابة غابت عنهم وهي أكثر من أن تتحصر، منها:

---

١ سورة النحل، آية: ٨٩.

٢ سورة الأنعام، آية: ٣٨.

٣ ينظر: مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٤٩، والغوري، منكرو السنة واتجاهاتهم وشبهاتهم وجهود العلماء في مقاومتهم عرض تاريخي علمي، ص١٢.

٤ سورة النحل، آية: ٤٤.

٥ الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج١، ص٧٤.

٦ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٩٨، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حديث رقم، ٣٠٠٤.

٧ السلفي، شميم أحمد، شبهات حول حجية السنة، المجلد: ١٩، العدد: ٢، الناشر: الجامعة السلفية –إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، ١٩٨٧، ص٤٦.

- عن وهب بن منبه، عن أخيه، قال: سمعت أبا هريرةﷺ، يقول: (ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب).[1]
- عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: (لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر).[2]
- وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ(...فقام أبو شاه – رجل من أهل اليمن – فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبي شاه، قال الوليد: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ).[3]
- أن عبد الله بن عمرو، حدثهم أنه قال: (يا رسول الله، أكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم» قلت عند الغضب وعند الرضا؟ قال: "نعم، إنه لا ينبغي لي أن أقول إلا حقا" رجل من الأنصار الذي كان يسمع الحديث ويعجبه وينساه فقال النبي ﷺ يمينك).[4]

وهذه الأحاديث تدل بمجموعها على الإذن بالكتابة، وجمع العلماء بين حديث النهي وأحاديث الكتابة، بأن النهي سابق والإذن لاحق، والنهي كان لسبب وهو: اختلاط القرآن بالسنة.[5]

الشبهة الثالثة: السنة ليست وحياً من الله –عز وجل–:

اعتبروها اجتهاداً أو تصرفاً عن النبي ﷺ وحده، بمقتضى بشريته، وأنهم يدعون لو سلمنا بصدورها عن النبي ﷺ فإنها ليست وحياً فلا تُلزم بالأخذ بها.

واستدلوا بمسألة تأبير النخل، ومسألة نزول الجيش في غزوة بدر، ومسألة أسرى بدر، وكذلك زعمهم أن الصحابة يعلمون أنها ليست وحيًا؛ لذلك خالفوا في صلح الحديبية.[6]

---

١ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٣٤، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، حديث رقم: ١١٣.

٢ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص٦٩، كتاب: الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير، حديث رقم: ٣٠٤٧.

٣ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص٩٨٨، كتاب: الحج، باب: باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، حديث رقم: ١٣٥٥.

٤ أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٨٧، كتاب: العلم، حديث رقم: ٣٥٨، وقال: إذا جاء الحديث عن عمرو بن شعيب، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو فإنه صحيح

٥ المطعني، عبد العظيم إبراهيم، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ط١، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ، ص٢٠.

٦ ينظر: الخير آبادي، أ.د محمد أبو الليث، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، ط٣، الناشر: دار شاكر–ماليزيا، ١٤٣٢هـ، ص١٢٤، وبخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢١٣ وما بعدها، والمطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ص٧٧ وما بعدها، ومزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٥٥.

الرد على هذه الشبهة: يمكن الرد من ذات القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[1]، فهذه الآية تبين صدق ما يبلغه النبي ﷺ وأن الافتراء على الله غير وارد، فلو وجد لكان عقوبة ذلك أخذه ﷺ[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[3]، وهذه الآية تبين أن النبي لا يتكلم بالباطل فكل ما يصدر عنه وحيٌ رباني[4]ﷺ؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[5]، لا إيمان إلا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذمن ذلك التحاكم إلى سنته[6]، وأيضا إجماع الأمة كلها على أن السنة وحي من الله تعالى.[7]

أما زعم برويز تقسيم اليهود للوحي إلى خفيه وجليب مستعار من اليهود فهي دعوة مردود؛ لأنها مجردة عن الدليل[8]، واستدلوا بحديث (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه).[9]

الشبهة الرابعة: كفالة الله بحفظ القرآن دون غيره:

احتج القائلون بهذه الشبهة بقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[10]، والسنة غير مشمولة في هذا الحفظ، فهي عرضة للضياع والاختلاط.[11]

الرد على هذه الشبهة: السنة من الوحي، وكما أن الله عز وجل أوحى لنبيه ﷺ بالقرآن فكذلك أوحى له ببيانه[12]؛ لقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[13].

---

١ سورة الحاقة، آية: ٤٤.

٢ الطوفي، سليمان بن عبد القوي، (المتوفى:٧١٦هـ)، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، حققه: محمد حسن إسماعيل، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص٦٥٥.

٣ سورة النجم، آية: ٣-٤.

٤ البغوي، الحسين بن مسعود (المتوفى:٥١٠هـ)، تفسير البغوي، حققه: محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، ط٤، الناشر: دار طيبة، ١٤١٧هـ، ج٧، ص٤٠٠.

٥ سورة النساء، آية: ٦٥.

٦ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (المتوفى:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، حققه: علي عبد الباري عطية، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ج٣، ص٨١.

٧ مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٥٧ وما بعدها.

٨ بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢١٨.

٩ سبق تخريجه، ص٢.

١٠ سورة الحجر، آية: ٩.

١١ ينظر، الغوري، منكرو السنة واتجاهاتهم وشبهاتهم وجهود العلماء في مقاومتهم عرض تاريخي علمي، ص١٣، والسيد، أحمد بن يوسف، تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين، ط١، الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر-السعودية، ١٤٣٨ه، ص٩١.

١٢ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص٧٤، الغوري، منكرو السنة واتجاهاتهم وشبهاتهم وجهود العلماء في مقاومتهم عرض تاريخي علمي، ص١٣.

١٣ سورة النحل، آية: ٤٤.

الشبهة الخامسة: زعم النهي القرآني عن الإيمان بالسنة والعمل بها:

وهي من كلام المعاصرين، وفيها استخفاف بعقول الناس؛ لأنها تنم عن عدم فهم وعلم كافي بالموضوع، بل هي رجم بالجهل، واستدلوا بقوله تعالى:﴿ **اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]،

وهذا الأمر يؤكد أنهم لا يعترفون بتفاسير القرآن الصحيحة والتي توضح المعنى الحقيقي، وأنهم يقفون على المعنى الذي يتوافق مع منطقهم المختل.[3]

الرد على هذه الشبهة: الرد يكون من خلال الفهم الصحيح لمعنى هذه الآيات، وهذه الآيات جاءت لتثبيت المؤمنين على ما بعث الله به محمداً ﷺ وتثبيتهم عليه.[4]

الشبهة السادسة: القضاء بالسنة فيه اشراك في الحكم:

والقرآن نهى عن إشراك الحكم في قوله تعالى:﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾[5]، ويذكر كبير القرآنيين الجكرالوي أنه كفر وشرك.[6]

الرد على هذه الشبهة: الحكم بالسنة تطبيق لأحكام القرآن، قال تعالى:﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[7]، فلا يؤمن من لم يرض بقضائك يا محمد ﷺ، وبعد وفاته يتم التحاكم لسنته.[8]

الشبهة السابعة: منع الخلفاء رواية الحديث وترديده:

يتمسكون بهذه الشبهة بآثار مروية عن الصديق والفاروق ﷺ تدل على كراهتهم لرواية الحديث، وكذلك استدلوا بروايات أخرى لم تثبت، لأنها تخدم فكرهم وهدفهم.[9]

الرد على هذه الشبهة: كراهة رواية الحديث المنسوب للصديق والفاروق ﷺ ليست في مجمل الحديث، بل في روايات الرخص التي تدعو للتواكل، لذلك ينهون عن أحاديث العزائم، أيضاً

---

١ سورة الأعراف، آية: ٣.

٢ سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

٣ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ص٢٣.

٤ المرجع نفسه، ص٢٤.

٥ سورة الأنعام، آية: ٥٧.

٦ ينظر: بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢١٩، والخير آبادي، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، ص١٢٥ وما بعدها.

٧ سورة النساء، آية: ٦٥.

٨ ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٨١، بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٢٠، والخير آبادي، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، ص١٢٦.

٩ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ص٢٧.

إعمالهم لسنة النبي ﷺ والأخذ بها عند عدم وجود الحكم في القرآن[1]، ولهذا شواهد من آثار الصحابة:

- **ميراث الجدة في عهد أبي بكر ﷺ :** عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: (جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله من شيء، وما علمنا لك في سنة رسول الله ﷺ شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، قال: فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس، فقال: هل معك غيرك؟ فقال: محمد بن مسلمة: فقال مثل ذلك. فأنفذه لها أبو بكر).[2]
- **وحديث الاستئذان ثلاثًا لأبي موسى الأشعري ﷺ في عهد عمر ﷺ.**[3]

الشبهة الثامنة: القرآن عمل على الوحدة والسنة فرقت:

حيث يذكر كبار أصحاب هذا الاتجاه أن القرآن جاء في التأكيد على وحدة الأمة، وأن السنة تُفرق وتهدم الوحدة التي بناها القرآن، ولا يمكن العودة للوحدة التي عمل القرآن عليها إلا بنفي السنة؛ لأن السنة على حد زعمهم فيها نصوص ظنية الدلالة وهذا يؤدي للاختلاف في الفهم الذي يفرق المسلمين.[4]

الرد على هذه الشبهة: لو كانت السنة مفرقة كما يزعمون لماذا تفرق القرآنيون في فهم القرآن مع تمسكهم كما يزعمون بالقرآن؟

والسبب في الاختلاف الواقع في النصوص ظنية الدلالة سواء كانت قرآن أو سنة يرجع للاختلاف في الفهم الي يحتمله النص وهذا ليس عيب في النص ولا يقلل الوحدة بين المسلمين، بل هو من سمات هذه الشريعة وهي الشمولية والصلاحية لكل زمان ومكان، فالنصوص ثابتة والأفهام مختلفة.[5]

---

١ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض ص٢٨.

٢ الشوكاني، نيل الأوطار، ج٦، ص٧١، كتاب: الفرائض، باب: الأخوات مع البنات عصبة، حديث رقم: ٢٥٤٩.

٣ أخرجه مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١٦٩٤، كتاب: الآداب، باب: الاستئذان، حديث رقم: ٢١٥٣، وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ه، ج٨، ص٤٧٤، كتاب: الاستئذان، باب: الاستئذان، والطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: ٣٢١هـ)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ه، ج٤، ص٢٤٦، باب: بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستئذان كم هو من مرة، حديث رقم: ١٥٨١.

٤ ينظر: بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٣٨، والخير آبادي، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، ص١٣٢.

٥ الخير آبادي، اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها، ص١٣٢.

الشبهة التاسعة: حرق كتب الحديث:

راجت هذه الشبهة بكثرة في المجلات والصحف التابعة للقرآنيين، وزادوا التهويل بادعائهم حرقها في عصور مهمة:

عصر النبي ﷺ وعصر الصديق والفاروق ﷺ وبهذا الاستدلال يريدون إيهام العامة بأن السنة بدعة وأنها ليست من الدين.[١]

الرد على هذه الشبهة: أشهر هذه الروايات المذكورة[٢] عن عائشة: (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيرا قالت: فغمني فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنا فحرقها فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك)

علق الذهبي بقوله: فهذا لا يصح والله أعلم.[٣]

فالصديق ﷺ لم يشكك في الصحابة أو يطعن بهم، بل خاف من النسيان وعدم الضبط من راو واحد، فتورع عن أخذها؛ لدقة تثبته وتحريه ألا ينقل عنه ما فيه ريب.[٤]

الشبهة العاشرة: الحكم على السنة متناً وسنداً يسقط حجيتها:

يظن القرآنيون أن الحكم على رجال السند والحكم على المتن يضعف حجتها بدخول حكم الرجال عليها، ويعتبرون الصحيح منها جعل الإسلام محطاً للتهمة والتشويه.[٥]

الرد على هذه الشبهة: علم الجرح والتعديل يرد عليهم وعدالة الصحابة الذين سمعوا حديث: (من كذب على متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)[٦]، فكان الهدف من هذا العلم هو حفظ السنة من المبتدعين والفرق الظاهرة بعد الفتنة، فكان هذا العلم كالميزان في حفظ السنة؛ لينقيها من الموضوعات والدسائس.[٧]

والهدف من هذه الشبهات التي غزت واجتاحت عقول الكثيرين من أبناء الأمة هو: هدم الإسلام الصحيح الجامع المترابط بين القرآن والسنة.

---

١ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ص٣٥.

٢ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض ص٣٧.

٣ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٤١٩ه، ج١، ص١١.

٤ المطعني، هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض، ص٣٧.

٥ بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٣٣.

٦ سبق تخريجه، ص١٥.

٧ بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، ص٢٣٤.

الخاتمة:

اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث من خلال البحث:

النتائج:

١. القرآنيون مذهب فكري هدفهم: حمل الناس على رفض السنة وإنكارها.

٢. مصطلح القرآنيون له أهداف مبطنة يقصد منها خلاف ما يظهر للعوام.

٣. مسمى القرآنيون ليس من باب المدح، بل الذم، والسبب في إطلاقه، شيوعه واشتهاره.

٤. مر إنكار السنة بمراحل تاريخية بدأت بالأفراد وانتهت بالجماعات، وكانت البداية من البصرة.

٥. في بداية ظهور الفكرة لم تكن ذات نيات سيئة، بل كانت تنم عن جهل وعدم إلمام.

٦. تصدى الصحابة ﷺ ومن تبعهم لهذه الشبهات وفندوها بردود علمية موضوعية.

٧. في العصر الحديث ظهر إنكار السنة في كل من: القارة الهندية، ومصر، وسوريا، وليبيا.

٨. السنة عند أهل القرآن ليست مصدراً للتشريع، ولا عصمة للأنبياء ولا عدالة للصحابة.

٩. يتفق العلماء باختلاف تخصصاتهم على مصدرية السنة وأنها تشريع ووحي.

١٠. السنة ليست كلها في المرتبة على السواء في الثبوت والدلالة، فمنها القطعي ومنها الظني.

١١. السنة حجة ومصدر أصيل في تفسير الأحكام الشرعية التي أُجملت في القرآن الكريم، أو تخصيص لعمومها، والمنشئة لبعض الأحكام في التشريع الإسلامي التي لم تذكر في القرآن، وهي بذلك شارحة ومفصلة لآيات القرآن الكريم.

١٢. الهدف من إثارة الشبهات هدم الإسلام الصحيح الجامع المترابط بين القرآن والسنة.

التوصيات:

- أوصي المعاهد والكليات الشرعية بتخصيص مساقات دراسية تعتني ببناء شخصية علمية من الدعاة وطلبة العلم قادرة على تفنيد شبه أهل القرآن والرد عليها.
- أوصي بعمل إحصائي استقرائي عن طريق متخصصين في العلم الشرعي؛ للتعرف على الشبه الجديدة التي يثيرها أهل القرآن، والرد عليها.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، **الإبانة الكبرى**، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط٢، ١٤١٥ه.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **رفع الملام عن الأئمة**

الأعلام، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض –المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣.

ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢ه)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ه.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ه.

ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، أبو محمد، (المتوفى: ٦٢٠هـ)، **روضة الناظر وجنة المناظر**، ط٢، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: ٧٥١ هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع–المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ه.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩ه.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٤١٤ه.

ابن وزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ)، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ.

أبو الكمال -أو أبو الحسن -عبد الغني بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى المصري القاهري (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، **حجية السنة**، الناشر: مطابع الوفاء-المنصورة-مصر.

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محمَّد كامِل قره بللي، ط١، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ه.

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، **الشريعة**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، الناشر: دار الوطن - الرياض-السعودية، ١٤٢٠ه.

أحمد، صلاح الدين مقبول، **زوابع في وجه السنة قديما وحديثا**، ط١، الناشر: مجمع البحوث العلمية الإسلامية نيودلهي-الهند، ١٤١١ه.

الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ١٤٢٠ه.

الأشقر، محمد سليمان، **أَفْعَالُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلَالَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ**، ط٦، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ.

الأعظمي، د. محمد مصطفى، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤٠٠ه.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (المتوفى:١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، حققه: علي عبد الباري عطية، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق-لبنان.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ه)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، الناشر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ه.

بخش، أ. مساعد خادم حسين إلهي، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ط٢، الناشر: مكتبة الصديق-الطائف، ١٤٢١.

البزدوي، فخر الإسلام علي بن محمد الحنفي (المتوفى: ٣٨٢ه)، **أصول البزدوي (كنز الوصول إلى معرفة علم الأصول)**.

البغوي، الحسين بن مسعود، أبو محمد، (المتوفى:٥١٠هـ)، **تفسير البغوي**، حققه: محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، ط٤، الناشر: دار طيبة، ١٤١٧هـ.

بن شيخ علي، عثمان بن معلم محمود، **شبهات القرآنيين**، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (المتوفى:٤٥٨ هـ)، **المدخل إلى علم السنن**، اعتنى به وخرَّجَ نقُولَه: محمد عوامة، ط١، الناشر: دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٣٧ه.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، (المتوفى: ٧٤١هـ)، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ١٩٨٥م.

الترتوري، حسين مطاوع، **مباحث السنة عند الأصوليين**، مجلة البحوث الإسلامية، عدد: ٢٠، ١٩٨٧م، ص٢٣٨-٢٤٠.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩٣هـ)، **شرح التلويح على التوضيح**، الناشر: مكتبة صبيح بمصر.

الجامي، محمد أمان، **منزلة السنة في التشريع الإسلامي**، من مطبوعات الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٤٠٣ه.

الجندي، أنور، **السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق**، الناشر: دار الأنصار-القاهرة.

الجهني، د. مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط٤، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع-الرياض، ١٤٢٠ه.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ه.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤٢١ه.

الخير آبادي، أ.د محمد أبو الليث، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ط٣، الناشر: دار شاكر-ماليزيا، ١٤٣٢ه.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **تذكرة الحفاظ**، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ١٤١٩ه.

الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، ط٢، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤١٥ه.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط١، ١٤١٤ه.

السباعي، د. مصطفى، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، دار الوراق.

السبكي، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ)، **الإبهاج في شرح المنهاج**، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٦ه.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر، (المتوفى: ٤٨٣ هـ)، **أصول السرخسي**، حققه: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

السلفي، شميم أحمد، **شبهات حول حجية السنة**، المجلد: ١٩، العدد: ٢، الناشر: الجامعة السلفية -إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، ١٩٨٧م.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، **قواطع الأدلة في الأصول**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه.

السمعوني، طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، الجزائري، ثم الدمشقيّ (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤١٦ه.

السيد، أحمد بن يوسف، **تثبيت حجية السنة ونقض أصول المنكرين**، ط١، الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر–السعودية، ١٤٣٨ه.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة**، ط٣، الناشر: الجامعة الإسلامية–المدينة المنورة، ١٤٠٩ه.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧ه.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **جماع العلم**، ط١، الناشر: دار الأثار، ١٤٢٣ه.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨ه.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (المتوفى: ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، الناشر: مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق –كفر بطنا، ط١، الناشر: دار الكتاب العربي–بيروت، ١٤١٩ه.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، الناشر: دار الحديث، مصر، ١٤١٣ه.

صالح بن الإمام أحمد، بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، أبو الفضل (المتوفى: ٢٦٥هـ)، **سيرة الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط٢، الناشر: دار الدعوة – الإسكندرية، ١٤٠٤ه.

الطبري محمد بن جرير، أبو جعفر، (المتوفى: ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الناشر: دار التربية والتراث، مكة المكرمة

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: ٣٢١هـ)، **شرح مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ه.

الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي، (المتوفى:٧١٦هـ)، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، حققه: محمد حسن إسماعيل، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

عبد العزيز البخاري، أحمد بن محمد، علاء الدين، (المتوفى:٧٣٠هـ)، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ج١.

الغوري، سيد عبد الماجد، وممتاز الدين، خديجة فاطمة بنت سيد، وبن ناصر، محمد نورزي، **منكرو السنة واتجاهاتهم وشبهاتهم وجهود العلماء في مقاومتهم عرض تاريخي علمي، معهد دراسات الحديث النبوي "إنهاد"**، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية (كويس) سلانجور-ماليزيا.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧ه.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.

القاضي عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ط٢، الناشر: دار الفيحاء - عمان، ١٤٠٧ه.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، (المتوفى: ٦٨٤هـ)، **شرح تنقيح الفصول**، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٣٩٣هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤ه.

القطان، مناع بن خليل، (المتوفى:١٤٢٠هـ)، **تاريخ التشريع الإسلامي**، ط٥، مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش –محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

مزروعة، د. محمود محمد، **شبهات القرآنيين حول السنة النبوية**، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

مزروعة، محمود محمد، **التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها**، ط١، الناشر: دار الكتب المصرية، ١٤٣٦ه.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المطعني، د. عبد العظيم إبراهيم، **هذا بيان للناس الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض. تفنيد. نقض**، ط١، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٢٠.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: ٣٠٣هـ)، **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦ه.

نصر الله، وفاء، **القرآنيون وأهم شبهاتهم**، بإشراف: د. علي أحمد ناصح، الناشر: الأدب العربي، العدد: ١، السنة السادسة، ١٤٣٥ه.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢ه.

هاجر، د. جمال بن محمد بن أحمد، **القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير "دراسة نقدية"**، ط١، الناشر: دار التفسير–السعودية، ١٤٣٦هـ.

أثر إدارة الجودة الشاملة في تسويق الخدمات المصرفية
تطبيقا على قطاع المصارف السودانية (٢٠١٤_٢٠٢٤م)

The Impact of Total Quality Management on Marketing Banking Services
(2014–2024) Applied to the Sudanese Banking Sector

دكتور فهد عبد الوهاب محمد أحمد

مدير جودة بشركة عبر الوديعة للنقليات بمدينة جدة

مدرس بجامعة خاتم المرسلين العالمية

Mudhishco@hotmail.com

تاريخ استلام البحث للتحكيم والنشر ٢٠٢٥/٨/٥م

تاريخ إجازة البحث للنشر ٢٠٢٥/٨/٢٥

أثر إدارة الجودة الشاملة في تسويق الخدمات المصرفية
تطبيقا على قطاع المصارف السودانية (٢٠١٤_٢٠٢٤م)

دكتور فهد عبد الوهاب محمد أحمد

مدير جودة بشركة عبر الوديعة للتقليات بمدينة جدة /مدرس بجامعة خاتم المرسلين العالمية

المستخلص

مشكلة البحث ما هو واقع تبنى أهم مبادئ إدارة الجودة الشاملة حسب وجهة نظر البحث في المصارف السودانية؟ وما علاقتها بتسويق الخدمات المصرفية؟ وهدفت الدراسة إلى الإحاطة بالأفكار الأساسية لإدارة الجودة الشاملة في الإطار النظري من حيث مفهومها، نشأتها وتطورها التاريخي، أهم مبادئها وأدواتها ومعايير الجودة الشاملة – وأساليب أداء المنظمات وتسويق الخدمات ومفهومها وأنواعها وخصائصها – والعلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وتسويق الخدمات وأهداف المصارف ومقومات المصارف والدراسة الميدانية والتحليل الإحصائي، ويستمد البحث أهميته من أنه يوفر بيانات ومعلومات وأفكار يمكن أن تساعد القياديين ومتخذي القرار في المصارف بوضع الخطط والسياسات وبلورة توجهاتها نحو تطبيق منهجية الجودة الشاملة في سبيل تطوير هذه المصارف وترقية أداء تقديم الخدمة. وسعت الدراسة لاختبار الفرضيات هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تبني برامج إدارة الجودة الشاملة ورفع كفاءة تسويف الخدمات المصرفية، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التحسين المستمر والارتقاء بكفاءة تسويق خدمات المصارف، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدريب وتطوير الموارد البشرية وتحسين كفاءة تسويق خدمات المصارف، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رضا المستفيدين وكفاءة تسويق خدمات المصارف، هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التميز في الأداء الإداري ورفع كفاءة تسويق خدمات المصارف. من أهم النتائج: أن لدي الإدارة العليا رؤية واضحة عن ماهية إدارة الجودة الشاملة وكيفية تحقيقها ووجود وحدة لإدارة الجودة الشاملة وحرصها على نشر ثقافة الجودة وتفويض السلطة المسئولية للموظفين لتحسين الجودة وتبادل المعلومات بصورة صحيحة وسريعة لتطوير الأداء وهناك آليات لتطبيق مراقبة الجودة – حث الموظفين على التحسين المستمر من خلال عمليات الإبداع والابتكار ووجود التزام مشترك بين الموظفين لتحسين الجودة والسعي على قيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين ومراقبة الإنتاج وفق معايير الجودة – وتدريب وتطوير المورد البشري على إدارة أدوات وتقنيات الجودة الشاملة وتدريب الموظفين في المؤسسة يرتكز على مساعدتهم في حل المشكلات وتحسين العمليات التي يقومون بها. من أهم التوصيات: بتركيز جهود الإدارة في تحسين وتطوير لبرامج نظام إدارة الجودة الشاملة والعمل باستمرار

بوجود آليات لتطبيق مراقبة الجودة. باعتبار مبادئ التحسين المستمر جزء اساسي من ثقافة المنظمة والعمل على زيادة الوعي أكثر لجميع العاملين وقيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين. اقتناء أفضل الوسائل والتقنيات المناسبة لبرامج تطوير وتدريب وتأهيل الموارد البشرية، وقياس العائد من هذه البرامج على العاملين وعلى مستوى الخدمات المصرفية التي يقدمونها.

Abstract

The main objective of This research is to study the impact of TQM in the marketing of banking services in the Sudanese banking sector (Faysal Islamic Bank - Bank of Khartoum - Omdurman National). The main problem of the research focused on a key question: What is the reality of adopting the most important principles of TQM - according to the point of view of research - in the Sudanese banks? And its relationship with the marketing of banking services? Based on the main objective of the research and the problem was formulated as follows: There is a statistically significant relationship between adopting TQM programs and raising the efficiency of procrastination of banking services. There is a statistically significant relationship between continuous improvement and upgrading the efficiency of the marketing of banking services. There is a statistically significant relationship between training and development of human resources and improving the efficiency of the marketing of banking services. There is a statistically significant relationship between the satisfaction of beneficiaries and the efficiency of the marketing of banking services. There is a statistically significant relationship between excellence in administrative performance and raising the efficiency of marketing of banking services. The research concluded with several results، the most important of which are: One of the most important aspects that support the management's adoption of TQM programs is that the senior management has a clear vision of what TQM is and how to achieve it، the existence of a TQM unit and its keenness to spread the culture of quality and delegate responsibility to employees to improve quality and exchange information. also to implement quality control and urge employees to continuously improve through the processes of creativity and innovation and the existence of a joint commitment between staff to improve quality and seek to establish effective relations with suppliers and vendors and control production according to Quality training، And development of human resources. Employees are well aware that quality is one of the common values identified within the organization. The training needs are evaluated according to the overall quality requirements. The staff are trained in the management

of the total quality tools and techniques and the training of the employees in the organization based on helping them solve problems and improve Operations and provide excellent service to the client and meet the institution with groups that have direct contact with customers to learn more about their needs and the organization distributes research and evaluation documents for customers to learn more about the needs of the customer and offered opportunities to improve their skills and experience through well-prepared training within the corporate social responsibility programs. Managers provide models for management and leadership، and take time to explain to employees why they are implemented Tasks in a certain way within the programs of quality assurance and the plans and procedures are renewed in the establishment، and always published and express an effective process to raise quality continuously within the programs of continuous improvement of quality.

مقدمة

يُعتبر مفهوم الجودة من المفاهيم القديمة، فقد اهتمت به كل الحضارات والمدنيات القديمة والحديثة على حدٍ سواء. تُعد الجودة من أهم سمات هذا العصر، في الأوساط العلمية والصناعية والخدمية في كافة أنحاء العالم، فقد أدى التطور التكنولوجي وثورة الاتصالات والعولمة إلى رفع المنافسة في الأسواق المحلية والإقليمية والدولية. ولذلك فقد أصبحت إدارة الجودة الشاملة ثقافة وسلوك لابد من ممارسته وتطبيقه، مما جعلها غاية تتطلع إليها كل المؤسسات. إن تبنى منهجية الجودة الشاملة وتطبيقها في النواحي الإدارية بصورة علمية، سيقود حتماً لإيجاد حلول للمشكلات التي تقف حجر عثرة أمام تقدم المؤسسات عموماً. كما يمكن أن تُقدم إدارة الجودة الشاملة إسهامات ملموسه تتمثل في دعم عمليات التخطيط الاستراتيجي، التحسين المستمر للعمليات، التي تحقيق رضا المستفيدين، وتركيز الاهتمام نحو تدريب وتطوير العنصر البشرى، وغيرها من الأهداف.

ما يميز الدراسة الحالية: التعريف الإجرائي لمتغيرات الدراسة في الجودة الشاملة.

- مفهوم إدارة الجودة الشاملة.
- إدارة الجودة الشاملة: النشأة والتطور والرواد الأوائل وإسهاماتهم في مجال الجودة والأهمية والأهداف والخصائص وأهم المبادئ.

- أدوات وأساليب إدارة الجودة الشاملة في أداء المنظمات ومراحل ومعوقات وفوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة والأخطاء الشائعة عند تطبيقها.

تسويق الخدمات المصرفية:

مفهوم تسويق الخدمات المصرفية، أنواعه وخصائصه، والمزيج وخصائص خدمات التسويق.

الدراسات السابقة:

١- دراسة ثائر عبد الغفار عبد الله جويحان ٢٠١٣م [١].

تبرز أهمية موضوع الدراسة من كون ثقافة الجودة القاسم المشترك لاهتمام المديرين والمختصين في المجالات الصناعية والخدمية فقد اعتبرت الجودة إحدى أهم أولويات اهتمام المدير المعاصر بهدف تحقيق مستويات عالية من الأداء ولا سيما بعد أن تسطرت نجاحات عديدة للمنظمات علي مستوى العالم بعد ان تبنت الفلسفة التي مفادها أن الجودة مسؤولية الجميع والتي باتت اليوم إحدى الركائز الأساسية في تطبيق ثقافة الجودة والتي تبنتها المنظمات كمبادرات لحل مشكلات الجودة وتلبية متطلبات الزبون بشكل مستمر، تتلخص مشكلة الدراسة الرئيسية بالسعي نحو استقصاء مدي تطبيق أبعاد إدارة الجودة الشاملة وأثرها علي الأداء المؤسسي للمنظمات الصناعية في مدينة سحاب الصناعية وتصلت لأهم النتائج أن واقع تطبيق أبعاد إدارة الجودة الشاملة في المنظمات محل الدراسة كان متوسطاً، وجود أثر ذو دلالة إحصائية لأبعاد إدارة الجودة الشاملة (المتغير المستقل) علي الأداء الاستراتيجي للمنظمات (المتغير التابع) وقدمت الدراسة جملة من التوصيات أهمها ضرورة ان تولي المنظمات الصناعية أهمية لغرس قيم إدارة الجودة الشاملة بجميع أبعادها والتي تقوم علي تبني تقنيات وأساليب إدارة الجودة الشاملة بهدف إحداث التغيير الثقافي السليم، واعتبار مبادئ التحسين المستمر جزء أساسي من ثقافة المنظمة والسعي نحو تطبيقها والعمل علي زيادة الوعي لدي جميع العاملين.

٢- دراسة الطيب هارون شيني ٢٠١١م [١].

تبرز أهمية موضوع الدراسة من الدور الكبير الذي نتج عن تطبيق إدارة الجودة الشاملة وأثر ذلك على أداء المبيعات باعتبار أن إدارة الجودة الشاملة تمثل الجانب الإداري والإنتاجي وتمثل المبيعات النتيجة النهائية للأداء وتحقيق ربح مناسب يمكن الشركة من الاستمرار والبقاء في السوق. بمعني آخر فإن إدارة الجودة الشاملة تمثل المتغير المستقل وتمثل المبيعات المتغير التابع فكانت مشكلة الدراسة أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة علي المبيعات في الشركات الصناعية بالسودان وقد تم اختيار مجموعة جياد الصناعية كدراسة حالة وكانت من أهم نتائجها بأن الإدارة

العليا تهتم بتطبيق بعض مبادئ إدارة الجودة الشاملة، لم تطبق الشركة مبدأ العيوب الصفرية، الثقافة التنظيمية لدى العاملين متوسطة، النمط القيادي لا يسمح بمشاركة العاملين في حل المشكلات، مبيعات الشركة في مستوى متوسط وعلى ضوء النتائج توصي الدراسة إلى الاهتمام بتطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة والتركيز علي تطبيق مبدأ العيوب الصفرية والاهتمام بالثقافة التنظيمية لجميع العاملين ووضع خطة أكثر فاعلية لزيادة المبيعات وإعادة النظر في النمط القيادي الحالي.

٣- دراسة أحمد محمد موسى داؤود ٢٠١٠م [١].

يهدف هذا البحث إلى تحليل محاور مهمة وأساسية من إدارة الجودة الشاملة للاستفادة منها عند محاولة تطبيقها في المؤسسات العامة أو الخاصة ويتضمن ذلك تحليل نماذج إدارة الجودة الشاملة، تحليل عناصر إدارة الجودة الشاملة ومبادئها، وتحليل المعوقات والصعوبات التي تحول دون نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الإدارة وكانت مشكلة الدراسة في أثر إدارة الجودة الشاملة علي تطوير الأداء بالتطبيق علي الشركة السودانية للاتصالات (سوداتل)، وتوصلت الدراسة الي بعض النتائج وهي التحسين المستمر في المؤسسات الإنتاجية السودانية يؤدي إلي تطوير الأداء، وجود العمليات التي تمكنها من المنافسة في المستوى المحلي والعالمي، تفهم العاملين لثقافة الجودة الشاملة يؤدي إلي نجاح فلسفة الجودة الشاملة بالمؤسسات الإنتاجية السودانية، تعتبر معيار الأيزو مقياساً للأداء في المؤسسات الإنتاجية ويؤكد مدي جودة الإنتاجية بها، التحفيز المادي والمهني للعاملين يرفع من مستوى الأداء بالمؤسسات الإنتاجية، القيادة الفاعلة تساعد علي تطبيق نظام الجودة الشاملة وتطوير الأداء، التدريب ضروري لرفع مستوى الأداء للعاملين ويساعد علي تطوير متطلبات الجودة الشاملة، تشجيع العاملين علي الابتكار والإبداع يؤدي إلي استمرار نجاح المؤسسة في كل الظروف ومن توصيات الدراسة استخدام استراتيجية الجودة الشاملة في المؤسسات السودانية، نشر ثقافة الجودة الشاملة وسط العاملين في المؤسسات السودانية، اتباع أسلوب التحفيز المادي والمعنوي للعاملين بالمؤسسات الإنتاجية السودانية، التدريب المتطور والمواكب في المؤسسات السودانية، تحسين بيئة العمل حتي تواكب عصر التقدم والتكنولوجيا.

٤- دراسة فتحي صالح مثني الشعيبي ٢٠١٠م [٢].

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال استيعاب ما تناوله الأدب النظري الحديث في إدارة الأعمال لاعتبارات إثرائية لهذه الدراسة من خلال تناول جانبها النظري لمبادئ إدارة الجودة الشاملة وأثرها في إدارة علاقات الزبون وتعد الدراسة في حدود اطلاع الباحث – الأولي في اليمن في

كونها محاولة تطبيقية لتحديد ودراسة أثر تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في إدارة علاقات الزبون والمساهمة المتواضعة في رفد المكتبات اليمنية بمواضيع معاصرة في إدارة الجودة الشاملة وإدارة علاقات الزبون، تتلخص مشكلة الدراسة بالإجابة علي التساؤلات ما أثر تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في إدارة علاقات الزبون في المنظمات محل الدراسة؟ هل توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات الأفراد مجتمع الدراسة حول مستوى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة تعزي للعوامل الديمغرافية (العمر، المؤهل العلمي، الخبرة)؟ وكانت أهم النتائج أظهرت تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، إلا أن مستويات هذا التطبيق كانت متفاوتة، تسعي المنظمة دوماً لتلبية الحجات والرغبات المتجددة والمتغيرة للزبون وتوفير قنوات اتصال بالزبائن لمعرفة آرائهم ومقترحاتهم حول جودة المنتجات كما إنها تعد الاحتفاظ بالزبون مسئولية شخصية لكل عامل في المنظمة وإنها تركز علي جعل مصلحة الزبون ضمن أولويات اهتمامها، تحرص المنظمة علي تطوير منتجاتها وتقديم الجديد باستمرار عن طريق فرق مزودة بالمستلزمات الضرورية مهمتها تحسين الجودة، أظهرت الدراسة أن المنظمة تحرص علي بناء علاقات طويلة الأمد مع الزبائن، وأظهرت الدراسة أن المنظمة تعمل علي تحقيق قاعدة ولاء قوية بين الزبون وعلامتها التجارية، وأظهرت الدراسة أن المنظمة تعمل علي تحقيق رضا الزبون من خلال تلبية احتياجاته ورغباته وتعد رضا الزبون هو الهدف الرئيسي لها، وأظهرت نتائج الدراسة وجود أثر ذي دلالة معنوية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارة علاقات الزبون، وتوصلت الدراسة إلي وجود فروق ذات دلالة معنوية في إجابات مجتمع الدراسة حول مستوى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة تعزي لمتغير العمر والمؤهل العلمي، بينما لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد مجتمع الدراسة لمتغير الخبرة وقدمت الدراسة جملة من التوصيات وهي التأكد من ضرورة التزام الإدارة العليا بتطبيق إدارة الجودة الشاملة والتأييد والدعم المستمر لها، إزابة كافة الحواجز التي تعيق تحقيق أعلي مشاركة العاملين وتعزيز التواصل المباشر بين الإدارة العليا والعاملين ومنحهم الثقة والتقدير اللازمين لرفع الروح المعنوية وتشجيعهم علي المشاركة الفاعلة والتركيز علي البرامج التدريبية التطويرية وتعزيز مبدأ مشاركة العاملين لما له من أهمية في نجاح فلسفة إدارة الجودة الشاملة وضرورة التركيز علي بناء استراتيجيات تأكيد علي مكافأة العاملين وتقديرهم والتأكيد علي ضرورة اعتماد منظمات الأعمال إدارة الجودة الشاملة كمنهج إداري حديث والتخلي عن الأساليب التقليدية للإدارة من أجل الوصول إلى التحسين المستمر في جميع أنشطة المنظمة، وضع استراتيجية لإدارة علاقات الزبون للمحافظة على الزبائن وبناء علاقة طويلة الأمد معهم والاهتمام بالعميل من خلال زيادة إشراكه في تصميم وتطوير خطط وبرامج الجودة والتأكيد علي ضرورة

قيام المنظمة محل الدراسة بإجراء الدراسات التي تسهم بصورة فاعلة في تعزيز العلاقة مع الزبون ويوصي الباحث بتعميم نفس الدراسة بالتطبيق علي أكثر من شركة صناعية أو القيام بتطبيقها في شركات خدمية.

٥- دراسة شادي عطا محمد عايش ٢٠٠٨م [١].

تبرز أهمية موضوع الدراسة من الدور الكبير الذي نتج عن تطبيق إدارة الجودة الشاملة وأثر ذلك علي أداء المصارف العاملة في قطاع غزة حيث بدأت تتنافس فيما بينها علي جلب عملاء جدد مع المحافظة علي العملاء الحاليين لديها كما بدأت تشرك الموظفين في دورات تدريبية تكسبهم فن التعامل مع الجمهور وكيفية الترحيب بهم والاستماع لهم في الاشياء الضرورية التي تنقصهم وتمنعهم من أداء عملهم علي أكمل وجه وكيفية زيادة كل موظف من طاقته الانتاجية في تسويق الخدمات المصرفية وخاصة ان هناك منافسون يقتنصون الفرصة في كسب زبائن جدد لأن خروج أي متعامل (زبون) يعتبر خسارة للمصرف مما جعل المصارف تسعي في تطبيق إدارة الجودة الشاملة فكانت مشكلة الدراسة بأن هذه الدراسة هدفت إلي التعرف علي أثر تطبيق المصارف الإسلامية العاملة في قطاع غزة لمفهوم إدارة الجودة الشاملة ومستويات ذلك التطبيق بالإضافة إلي التعرف علي طبيعة العلاقة بين عناصر إدارة الجودة الشاملة ودرجتها والأداء المؤسسي لتلك المصارف، وقد توصلت الدراسة إلي نتائج بأن المصارف الإسلامية تبنت ومازالت مفهوم إدارة الجودة الشاملة بكافة عناصره، إلا أن مستويات التطبيق لتلك العناصر متفاوتة، فقد ارتبط أعلي مستوى تطبيق التركيز علي العميل، يليه تلبية احتياجات العاملين، ثم التركيز علي تحسين العمليات، في حين ارتبط أقل مستوى تطبيق بالتركيز علي الاحتياجات الإدارية والتكنولوجية للمنافسة.

كما وتوصلت أيضا إلي أنه لا تختلف أبعاد الجودة الشاملة من حيث تأثرها علي تحسين الأداء المؤسسي، وأن بعد مجال التركيز علي العميل يختلف من البنك الإسلامي الفلسطيني عن البنك الإسلامي العربي، لصالح البنك الإسلامي الفلسطيني، وأوصت الدراسة بضرورة تعزيز مستوى معرفة جميع العاملين في المصارف الإسلامية العاملة في قطاع غزة بمنهج تطبيق إدارة الجودة من خلال عقد دورات تدريبية لدورها الإيجابي في تحسين الأداء المؤسسي، وقيام الإدارة العليا بتحفيز العاملين في المصارف الإسلامية العاملة في قطاع غزة من خلال إعطائهم حوافز ومكافئات مقابل الخدمات التي يتم تقديمها بسرعة وكفاءة وفعالية، مع ضرورة الاهتمام بتعزيز مستوى

تطبيق المصارف الإسلامية لإدارة الجودة الشاملة؛ لتأثيرها الإيجابي والهام علي الأداء المؤسسي، والمتمثل في الربحية والإنتاجية وكفاءة التشغيل ومستوى رضا العملاء عن الخدمات المقدمة.

٦- **خالد بن جميل مصطفي زقزوق ٢٠٠٨م [١].**

لقد أولت المملكة العربية السعودية اهتماماً وجهداً كبيراً لتطوير مؤسساتها الحكومية المدنية والعسكرية لتحقيق الأهداف التي وضعت لها هذه المؤسسات بالأخذ بأسلوب التطوير والتحديث اللذين تتطلبهما طبيعة العصر الذي نعيش فيه. ومن المؤسسات الحكومية التي أولتها الدولة اهتمامها وزارة التعليم العالي وما يتبع لها من جامعات وكليات، حيث تعتبر خدمة المجتمع احد الوظائف الثلاثة المعروفة للجامعة وهي (التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع) حيث يقوم الباحث بتقييم أداء كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ(DEMING) وما مدي توفر هذه المبادئ في البرامج والدورات التدريبية التي تقدمها الكلية، لاسيما وأن النظرة المستقبلية لمراكز وكليات خدمة المجتمع والتعليم المستمر في الجامعات تفرض عليها مسؤوليات جديدة لتلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمع مع التأكيد علي أهمية مواكبة الاتجاهات الحديثة للتعليم العالي والتي تنادي إلي ضرورة ممارسة مؤسسات التعليم العالي أدوارها المطلوبة في ضوء المتغيرات العالمية والمحلية وكانت مشكلة الدراسة التعرف علي درجة استخدام مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((DEMING في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري وكذلك التعرف علي درجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((DEMING في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري وكذلك تحديد الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد مجتمع الدراسة حول درجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر، ودرجة استخدام مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري تعزي إلي: الدرجة العلمية، سنوات الخبرة، بلد التخرج وكانت أهم النتائج أن درجة استخدام مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري الواردة في أداة هذه الدراسة كانت (متوسطة) وأن درجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القري الواردة في أداة هذه الدراسة كانت (عالية) وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة لدرجة استخدام ودرجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها

كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر تعزي للدرجة العلمية ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة لدرجة استخدام ودرجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر تعزي لسنوات الخبرة وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة لدرجة استخدام ودرجة أهمية توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة لـــ((Deming في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر تعزى لبلد التخرج وقدمت الدراسة جملة من التوصيات وهي تفعيل استخدام مبادئ إدارة الجودة الشاملة في البرامج والدورات التي تقدمها كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة أم القرى وتوفير ثقافة تنظيمية تتلاءم مع تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالتخلي عن الأساليب التقليدية والروتينية في الكلية وأن يتم وضع أهداف محددة من قبل إدارة الكلية علي أن تكون قابلة للتطبيق في ضوء مبادئ الجودة الشاملة وأن يتم الاستعانة بالخبراء من خارج الكلية للعمل علي تطوير البرامج التي تقدمها الكلية باستمرار وأن يتم توفير قاعدة معلومات جيدة من خلال الاعتماد علي نظم المعلومات الإدارية والتقنيات الحديثة وأن تتم الاستعانة بمصادر تمويل متعددة من خلال إسهام رجال الأعمال والقطاع الخاص المستفيدين من خدمات كلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر وأن تتسم إدارة كلية خدمة المجتمع بالمرونة الإدارية من خلال تفويض السلطات وأن ترتفع كلية خدمة المجتمع بمستوى الخدمات التي تقدمها من خلال التركيز علي العمل بعيداً عن الشعارات غير المجدية.

٧- حسان المتني ٢٠٠٩م [١].

لاحظ الباحث ضعف فاعلية أداء منظمات الأعمال السورية على المستوى المحلي والدولي، ويتوقع أن يكون مرد ذلك إلى قلة الاهتمام بمسائل الجودة، وعدم الوعي لمفهوم الجودة الشاملة. لذا يسعي هذا البحث إلى توضيح العلاقة بين فاعلية أداء المنظمات ومدي التزامها بتطبيق مفهوم الجودة الشاملة فكانت مشكلة الدراسة هل تلتزم المنظمات السورية بمفهوم إدارة الجودة الشاملة؟ وهل من علاقة بين التزام منظمات الأعمال بإدارة الجودة الشاملة وبين فاعلية أدائها؟ وما أثر ذلك على كل من رضا زبائنها، ورضا عامليها، وجودة منتجاتها، وأدائها الاستراتيجي (ربحيتها، نمو مبيعاتها، حصتها السوقية.....)؟، وكانت أهم النتائج إن لإدارة الجودة الشاملة أثرا كبيرا علي فاعلية أداء المنظمات من حيث زيادة رضا الزبائن ورضا العاملين، وزيادة جودة المنتجات، وارتفاع معدلات الأداء الاستراتيجي للأعمال، وهذا ما أثبتناه من خلال منهج البحث الوثائقي ودراسة الحالة وقلة المنظمات السورية الملتزمة بنظم ومعايير الجودة علي الرغم من أهميتها، وقد يعود السبب لعدم إدراك أهمية وأثر الجودة علي فاعلية أداء هذه المنظمات، أو لعدم وجود القدرة والمعرفة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة وإن التزام المنظمات السورية بنظم ومعايير إدارة

الجودة يزيد من قدراتها التنافسية علي المستوى المحلي والدولي، وتعتبر شركة مدار لسحب الألمنيوم نموذجاً يحتذي به في هذا المجال وكانت من توصياتها أن في ظل انخفاض تنافسية سورية دولياً حسبما أوردته التقارير الدولية، فإنه يتوجب علي المنظمات السورية السعي للحصول علي ميزة تنافسية من خلال التزامها بمعايير ونظم الجودة الدولية وتطبيقها لإدارة الجودة الشاملة، الأمر الذي يزيد من القدرة التنافسية لهذه المنظمات، ويزيد بالتالي من القدرة التنافسية لسورية ويقع علي عاتق الجامعات السورية مسئولية القيام بندوات لأصحاب الشركات السورية ومديريها لتبيين أثر ودور الالتزام بإدارة الجودة الشاملة في نجاح هذه المنظمات وفي ظل معاناة المواطن السوري من الخدمات المقدمة من قبل المنظمات والدوائر الحكومية، وانخفاض إنتاجية العامل في هذه المنظمات، فإن تطبيق إدارة الجودة الشاملة فيها يمثل حلاً فعالاً لهذه المشاكل. ونأمل أن تكلل محاولة مديرية مالية دمشق في الحصول علي شهادة الأيزو ٩٠٠٠ بالنجاح، وأن تكون بداية لحصول المنظمات السورية كافة لمثل هذه الشهادات.

٨- دراسة: جلاد وأبو بكر ٢٠١٠م:

تبحث هذه الدراسة عن أثر البرامج التدريبية التقنية على كفاءة العاملين في السوق المالي الفلسطيني. كما أكدت هذه الدراسة أنه توجد علاقة بين البرامج التدريبية التي تقدم للعاملين وبين رفع وزيادة كفاءتهم في العمل وبالتالي السوق المالي، وأيضاً توجد علاقة تربط بين البرامج التدريبية ورفع كفاءة الإدارات في تحقيق الأهداف المرجوة.

كما هدفت الدراسة إلى مناقشة دور التدريب التقني في تنمية العنصر البشري وأثر ذلك على زيادة الكفاءة في السوق المالي الفلسطيني، والتعرف على البرامج التدريبية التقنية في السوق المالي الفلسطيني.

وقد أتبعت هذه الدراسة المنهج التحليلي وأسلوب دراسة الحالة، وقد توصلت إلى النتائج التالية. أن التدريب التقني في السوق يؤدي إلى الاستقرار في العمل. يتم تصميم وأعداد خطة الدورة التدريبية بمشاركة وتعاون المتدربين في السوق المالي. وتوصي الدراسة بأنه لابد من الاهتمام بالبرامج التدريبية التقنية لتخريج المتخصصين والفنيين المهرة في المجالات المختلفة للعمل، وأيضاً لابد من الاهتمام بزيادة البرامج التدريبية التقنية حتى يستفيد منها لباحثون والمدربين والمتدربين.

٩- دراسة: دغلس وآخرون ٢٠١٠م [١]:

تبحث هذه الدراسة عن أثر التدريب على الكفاءة الإنتاجية لدي الموظفين في مصنع الزيوت النباتية في نابلس. وأكدت هذه الدراسة أنه توجد علاقة ذات أهمية كبيرة بين التدريب والمهارات في العمل، كما توجد علاقة قوية بين الاحتياجات التربية وتحسين جودة المنتج. وقد هدفت هذه الدراسة للتعرف على أثر التدريب على الكفاءة الإنتاجية لدى الموظفين في مصنع الزيوت النباتية، كما تهدف للتعرف على دور متغيرات الدراسة المركز الوظيفي – المؤهل العلمي –عدد الدورات التدريبية على موضوع الدراسة. وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب دراسة الحالة، وقد توصلت إلى النتائج التالية: إن التدريب يؤدي إلي تحسين جودة المنتج. إن التدريب ينمي الجوانب الفنية والمعرفية الضرورية للعمل. وتوصي الدراسة بأنه لابد من تطوير البرامج التدريبية لتحسين الكفاءة الإنتاجية، وأيضاً لابد من تحسين جودة المنتج حتى يساعد في حقل مهارات الموظفين.

المبحث الأول إدارة الجودة الشاملة

مقدمة

تواجه المنظمات في هذا العصر ضغوط وتحديات هائلة، تتمثل في ازدياد القوى الداخلية والخارجية المؤثرة على استقرارها وتطورها، مما يتطلب إحداث تغييرات في نمط الإدارة وثقافة المنظمة؛ لضمان البقاء والنمو. وتعتبر إدارة الجودة الشاملة أحد المداخل الإدارية الحديثة التي وجدت اهتماماً خاصاً من قبل العديد من المنظمات الساعية للتميز، وتحسين الأداء، والارتقاء بالإنتاجية ومن ثم إشباع حاجات العملاء. ولقد أصبح مصطلح "إدارة الجودة الشاملة" Total Quality Management حديث الساعة في كل الأنشطة والأعمال، على مستوى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية والشركات العالمية والمؤسسات الخدمية وغيرها ويتناول هذا الفصل إدارة الجودة الشاملة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم إدارة الجودة الشاملة.

المطلب الثاني: إدارة الجودة الشاملة: النشأة والتطور، الرواد الأوائل وإسهاماتهم في مجال الجودة، الأهمية والأهداف والخصائص وأهم المبادئ.

المطلب الثالث: أدوات وتقنيات إدارة الجودة الشاملة.

المطلب الرابع: مبررات ومتطلبات ومراحل ومعوقات وفوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة والأخطاء الشائعة عند تطبيقها.

المطلب الأول: مفهوم الجودة الشاملة:

يشتمل هذا المبحث على مفهوم إدارة الجودة الشاملة، تعريف إدارة الجودة الشاملة.

أولاً: مفهوم إدارة الجودة الشاملة:

يعد مفهوم إدارة الجودة الشاملة TQM من المفاهيم الإدارية التي تقوم على مجموعة من الأفكار والمبادئ التي يمكن لأي إدارة أن تتبناها؛ من أجل تحقيق أفضل أداء ممكن. كما يعتبر من المفاهيم الكفيلة بتحسين كفاءة وفاعلية المؤسسة من خلال بناء ثقافة عميقة عن الجودة الشاملة، وإيجاد قاعدة من القيم والمبادئ التي تجعل كل فرد في المؤسسة يعلم أن الجودة مسؤوليته. وبذلك يمكن تقديم أفضل الخدمات سواء كانت تعليمية أو إدارية أو بحثية أو استشارية، بأكفأ الأساليب الإدارية الحديثة؛ للحصول على رضا المستفيد الداخلي والخارجي

المطلب الثاني: إدارة الجودة الشاملة: النشأة والتطور، الرواد الأوائل وإسهاماتهم في مجال الجودة، الأهمية والأهداف والخصائص وأهم المبادئ وأدوات وتقنيات إدارة الجودة الشاملة:

أولاً: نشأة وتطور إدارة الجودة الشاملة:

يرجع تاريخ الجودة إلى عام 2000 قبل الميلاد وإلى قانون حمورابي ملك بابل؛ حيث يحتوي قانونه على أقدم قوائم عرفها الإنسان تتعلق بتكاليف ورسوم الخدمات المقدمة.

وشهدت الحضارة الفرعونية القديمة منذ عام 1450 قبل الميلاد نوعاً من أنواع الرقابة على الجودة؛ للتأكد من دقة مستوى الأداء الذي تم به تقطيع الأحجار أثناء عملية بناء الأهرامات وزخرفة المعابد والقبور.

ومن الشواهد التي تدل على وضوح مفهوم الجودة لدى قدماء المصريين ووجود المسلة الناقصة في أسوان دون استكمال؛ نظراً لاكتشاف بعض الشروخ الطبقية بها أثناء التشكيل، مما يدل على استخدامهم لأسلوب دقيق في أعمال الفحص والتفتيش لاكتشاف العيوب. كذلك من الشواهد البردية المسماة (كتاب الموتى) وهي تعتبر أول وثيقة لنظم الجودة الخاصة بإجراءات تجهيز وتحنيط جثمان الفرعون. كما يضاف لتلك الشواهد ما تناولته كتب توت Thoth في القرن الخامس قبل الميلاد عن بعض معايير الممارسات الطبية.

حاول فردريك تايلور في العام 1915م استخدم أساليب وطرق جديدة للارتقاء بمستوى أداء العمالة العادية (غير المهرة) في الشركات والمؤسسات الصناعية، وقد نقل هذه الأساليب من خلال كتابه (مبادئ أصول الإدارة) على النحو التالي:

١. المهمة اليومية: بأن يكون لكل فرد مهمة محددة وواضحة المعالم يؤديها في أسرع وقت ممكن.

٢. ظروف العمل القياسية: أن تتوفر للعامل أدوات وظروف قياسية أساسية تساعده على إنجاز المهام الموكلة له.
٣. المكافأة الشخصية مقابل النجاح: أن تكون المكافأة بسخاء.
٤. الجزاء الرادع مقابل الخطأ: أن يكون الجزء مقصوراً على المستوى الشخصي للفرد في حال الفشل فيما أوكل إليه من مهام.

وفي الفكر الإداري الحديث نشأت إدارة الجودة الشاملة مع الابتكار الياباني الذي كان يسمى بـــ(دوائر الجودة) ويشار إليه أحياناً ب (حلقات الجودة)، وكان الهدف من دوائر الجودة أن يجتمع كل الموظفين في لقاءات أسبوعية منتظمة؛ لمناقشة سبل تحسين موقع العمل وجودته، ويتم فيها تحفيز الموظفين على تحديد المشكلات المختلفة للجودة ثم مناقشة وعرض حلولهم الخاصة. وبدأت فكرة دوائر الجودة لأول مرة في اليابان في عام 1962م، وبحلول عام 1980م زاد عدد دوائر الجودة إلى أكثر من 100000 دائرة تمارس عملها في الشركات اليابانية. وانتقلت الفكرة إلى أمريكا في السبعينات، وحققت رواجاً كبيراً في الثمانينات، وفي ضوء نجاحها الواضح في اليابان انتشرت داخل الصناعة الأمريكية حتى إنها وُصفت في مجلة Business Week عام 1986م بأنها موضة الثمانينات. وبينما نجحت حلقات الجودة في الصناعات اليابانية، فإنها لم تجد إلاّ نجاحاً هامشياً في أمريكا وأحياناً كان لها تأثير سلبي على الجودة. وفي الغالب قل استخدام دوائر الجودة في أواخر الثمانينات، واختفت بنفس السرعة التي ظهرت بها.

تطور مفهوم إدارة الجودة الشاملة من خلال خمسة مراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى: الفرز Sorting: وفيها يقوم ملاحظي الإنتاج بفرز المنتج النهائي لاستبعاد الوحدات المعيبة منه.

المرحلة الثانية: الفحص Inspection: ويعني مجموعة الأنشطة الخاصة بالقياس والتفتيش والاختبار؛ للتأكد من أن الوحدات المنتجة مطابقة للمواصفات بعد الإنتاج.

المرحلة الثالثة: المراقبة الإحصائية Statistical Quality Control: تتسم هذه المرحلة ببناء أساليب إحصائية مستحدثة، يمكن من خلالها أداء أنشطة مراقبة الجودة وتوفير معلومات مفيدة في هذا الخصوص.

المرحلة الرابعة: تأكيد أو ضمان الجودة Quality Assurance: هو نظام أساسه منع وقوع الخطأ بتلافي ظهور المنتجات غير المطابقة، عن طريق التحسينات المتتالية وتوجيه الجهود التنظيمية، ويعتبر هذا المدخل أكثر إبداعاً من الفحص.

المرحلة الخامسة: إدارة الجودة الشاملة Total Quality Management: ويطلق عليها أحياناً إدارة الجودة الاستراتيجية Strategic Quality Management، وهي نتاج تطور الفكر الإداري، وتستهدف التحسين المستمر وإرضاء العميل الداخلي والخارجي.

المبحث الثاني . تسويق الخدمات المصرفية

المطلب الأول: مفهوم تسويق الخدمات.

يعتبر التفكير في تسويق الخدمات واحداً من الاتجاهات المهمة الحديثة التي عرفت توسعاً في السنوات الأخيرة، ولمختلف المجتمعات، والسبب يرجع لتزايد الدور الكبير للخدمات في الحياة المعاصرة؛ وخاصة بعد تكاملها مع المنتجات المادية في تحقيق المنفعة المطلوبة.

يختص التسويق بعملية تدفق السلع والخدمات معًا، لكن الاهتمام الأكبر لمعظم البحوث والدراسات في مجالات تسويق السلع دون النظر للخدمات من حيث أهميتها وأنواعها وعناصرها واستراتيجياتها المعتمدة لتسويقها.

تعريـــف الخدمـــة :اختلفت وجهات نظر الكتاب في تحديد تعريف للخدمة، وتعددت بناءً على ذلك التعاريف التي تناولت هذا الجانب، بسبب وجود خدمات ترتبط بشكل كامل أو جزئي مع السلع المادية (مثل إيجار العقار والخدمات الفندقية) بينما تمثل خدمات أخرى أجزاء مكملة لعملية تسويق السلع المباعة (مثل الصيانة)، وهناك أنواع من الخدمات تقدم مباشرة لا تتطلب ارتباطها بسلعة ما (مثل الخدمات الصحية، التأمين)

ويمكن تلخيص الأسباب التي تؤدي إلى صعوبة تعريف الخدمة فيما يلي:

١. من الصعب وصف الخدمة التي طبيعتها مجردة عن المنتج ونستعمل عبارة منتج لتعيين الخدمة كعبارة: " منتجات مالية "، " منتجات سياحية."
٢. لا تخص كلمة خدمة قطاع نشاط واحد، ففي يومنا هذا لا تناسب أبدا التصنيفات التقليدية المكان الذي احتلته الخدمات في الاقتصاد، وأصبحت القيمة المضافة لمصنعي مواد الإعلام الآلي، ومنتجين آخرين تشكل قسما كبيرا من الخدمات.
٣. تعتبر الخدمات نشاط إنساني من خلال شخص ينجز مهمة لحساب آخر، هذا التعريف محدود جدا، فكثير من الخدمات أصبحت تنجز بالآلات كالغسل الآلي للسيارات و الموزعين الآليـــين للحلويات ..الخ.
٤. نهاية أو نتيجة الخدمة هي شبيهة بالمنتجات المادية، بحيث نهاية كلا منهما هي تلبية حاجات المستهلكين .

هذه الخصائص المتعددة أخضعت تعريف الخدمة لتغييرات عديدة، فقد عرفتها الجمعية الأمريكية للتسويق بأنها: " الخدمة تقدم في شكل أنشطة، أو منافع تعرض في البيع أو تقدم مرتبطة مع بيع السلع".

خصائص الخدمات:

انطلاقًا من تعريف الخدمة في الجزء السالف الذكر نستنتج خصائص عديدة للخدمات، وقد اتفق معظم المؤلفين في مجال التسويق على وجود أربعة خصائص رئيسية للخدمات يمكن أن تؤثر في تصميم البرامج التسويقية وصياغة السياسات التسويقية، فيما أضاف البعض خصائص أخرى بهدف تأكيد ما تتميز به الخدمات مقابل السلع.

مفهـــــوم التسويق وخصائصها:

إن التسويق يعنى بالدرجة الأولى بحاجات ورغبات المستهلك ولا يركز على السلعة أو الخدمة التي تنتج، فهو يسعى إلى البحث عن الطريقة أو التصرف الذي بواسطتها تصل السلع إلى المستهلك.

ويهدف التسويق أساساً إلى بيع السلعة أو الخدمة، كما أن المؤسسات تهدف إلى بيع منتجاتها سواء كانت سلعاً أو خدمات ومن هنا نلاحظ أن التسويق والمؤسسة لهما نفس الهدف، لذلك يلزم وجود ترافق بينهما لتحقيق الهدف المشترك، ففي المؤسسة الخدماتية يعمل التسويق الخدماتي على تنشيط المنتوج الخدماتي.

تعريف تسويق الخدمات:

يعرف التسويق في مجال الخدمات على أنه منظمة أو منظومة من الأنشطة المتكاملة والبحوث المستمرة التي يشترك فيها كل من العاملين في المنظمة وتخص بإدارة مزيج تسويقي متكامل ومستمر من خلال البناء والحفاظ على تدعيم علاقات مستمرة ومربحة مع العملاء تهدف لتحقيق انطباع ايجابي في الأجل الطويل، تهدف إلى تحقيق المنافع والوعود المتبادلة لكل أطراف تلك العلاقات .

المطلب الثاني: أنواع ومزيج وخصائص تسويق الخدمات.

أ-أنواع تسويق الخدمات:

تعتبر الخدمات محرك النشاط الاقتصادي بما لها من أهمية بالغة في الحياة الاقتصادية، ولا معنى لإنتاج الخدمة إذ لم يرافقه نشاط تسويقي فعال، ومن أهم أنواع تسويق الخدمات ما يلي:

١. تسويق خدمات التأمين :يعمل التسويق في مجال التأمين على نشر الوعي التأميني من خلال توسيع البحوث والدراسات، ونشر مفاهيم التأمين عبر مختلف وسائل الإعلام، وكذا تشجيع

الادخار كما يحتاج تسويق خدمة التأمين إلى منافذ توزيع تسلكها في طريقها من هيئة التأمين إلى المؤمن له، وفي أغلب الأحيان يتم بيع عقود التأمين بالاتصال المباشر مع العملاء، عن طريق مندوبي مؤسسات التأمين الموزعين في جميع أنحاء الدولة أو من خلال الوكلاء في حالة المؤسسات الكبيرة.

٢. تسويق خدمات الطيران: يساعد التسويق على معرفة حاجات ورغبات الركاب الحاليين والمرتقبين، والتعرف أكثر على البيئة التسويقية التنافسية، فنجد الشركات العالمية للطيران تستخدم استراتيجيات لكل من التسعير، والترويج والتوصيل وخطوط الخدمات، فالتسويق في هذا المجال ذو أبعاد متكاملة وضرورية لتحليل الطلب والتنبؤ بالمبيعات من أجل وضع جداول زمنية للرحلات مبكراً، حيث يمكن التخطيط وتحقيق الأهداف التسويقية وهذا لا يحدث إلا بالدقة والجودة والسرعة في تقديم الخدمة.

٣. تسويق الخدمات الصحية: تحتاج المستشفيات إلى تطبيق التسويق على خدماتها الطبية، العلاجية والوقائية، ولقد تطور مفهوم التسويق في هذا القطاع من التركيز على الخدمة إلى التركيز على المريض، وهذا بدراسة أنواع المرض والحالات الاجتماعية لهم، إضافة إلى تحليل البيئة التنافسية المحيطة للتعرف على الأمراض وأسبابها وتوفير الأدوية اللازمة والمناسبة لها، من أجل تحقيق الفوائد المرجوة، كما بدأت تهتم المستشفيات بالترويج والتعريف بخدماتها لزيادة عدد المتعاملين معها.

٤. تقديم الخدمات السياسية: لم يحضا تسويق الخدمات السياسية بأهمية كبيرة من قبل الدارسين مقابلة بالأنواع الأخرى من تسويق الخدمات، وهو يخص الأحزاب السياسية التي تستعمله كوسيلة للتعريف ببرنامجها ونشاطها والتأثير على الموظفين.

٥. تسويق الخدمات السياحية: يهتم هذا النوع من تسويق الخدمات بكيفية جلب السائحين والمستثمرين لبلد معين، وهو يتضمن التعريف بالمقومات والموارد الأساسية وكذا المتغيرات الداخلية والخارجية والمتمثلة في الاستقرار السياسي، الاقتصادي، والعلاقات مع الدول.

٦. تسويق الخدمات البنكية: مع تعدد الخدمات البنكية أصبح التسويق في هذا المجال يشكل الوظيفة الأساسية في البنوك، وخاصة في ظل المنافسة المحلية والعالمية فهو يهتم بتحليل السوق الحالي والمتوقع بكل فروع البنك، وتوجيه الجهود لإرضاء العملاء وإشباع حاجاتهم بغية تحقيق أهداف البنك.

ب–مزيج تسويق الخدمات:

كون الخدمة غير ملموسة فان المزيج التسويقي لها يمتاز بصعوبة أكبر مما هو عليه بالنسبة للمنتجات المادية الملموسة، بالرغم من التماثل فيما بينهما، حيث تتجسم العناصر الأربعة وهي : المنتج، الترويج، التسعير، والتوزيع، لتشكيل المزيج التسويقي لكل من الخدمات والمنتجات المادية كما يمكن إضافة عناصر أخرى إلى المزيج التسويقي للخدمات لتزيد من سعة نطاقه، وهذه العناصر هي: العمليات، الأفراد (الناس)، الشهادات الطبيعية.

ج–خصائص تسويق الخدمات:

يلتزم من يقوم بعملية تسويق الخدمات بمجموعة من المواصفات والاشتراطات تنبثق من مشروعية الغاية ومشروعية الوسائل والسبل التي تحقق هذه الغاية، حتى يكون رجل التسويق مؤثراً وفعالاً ليس في الأمد القريب فقط بل في الأمد البعيد.

من أهم هذه الاشتراطات ما يلي:

أولاً: الالتزام بالصدق والأمانة والشفافية والموضوعية في كل ما يقول وما يعرضه للناس من بيانات ومعلومات عن خدمات ومنتجات.

ثانياً: تجنب الغرر والجهالة والتدليس والكذب في مادة التسويق، فليس الغاية تبرر الوسيلة ولكن يجب أن تكون الغاية مشروعة والوسائل المؤدية إليها مشروعة.

ثالثاً: تجنب الاعتماد على المشاعر والعواطف فقط بل على النماذج العملية من واقع.

رابعاً: تجنب التشهير والتجريح بالمنافسين، ويكون التركيز على ما تتميز به مؤسسته وتفتقر اليها المؤسسات الأخرى.

خامساً: أن يكون رجل التسويق قادراً للرد على التساؤلات ودحض الافتراءات بالحجة القوية وبالدليل الناصح مستعيناً بذلك بالأرقام والمعلومات.

سادساً: أن يتوافر في رجل التسويق: القيم الإيمانية والأخلاق الفاضلة والسلوك السوي المستقيم لأنه يمثل الواجهة التي يجب أن تكون حسنة.

سابعاً: أن يستعين رجل التسويق بأساليب التقنية الحديثة

المطلب الثالث: العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وتسويق الخدمات وأهميتها.

أسفر الاهتمام المعاصر بموضوع الجودة عن نشأة اهتمام دولي عالمي أفرز معايير دولية لها مكانتها وأهميتها:

أ- الاهتمام المعاصر بالجودة الشاملة ومداه.

١- المعيار الصناعي الياباني:

طور اليابانيون في عام 1981 مواصفة لإدارة الجودة الشاملة عرفت باسم المعيار الصناعي و قد أوضح المعيار أن السيطرة الفاعلة على الجودة تتطلب تعاون كافة العاملين في المنظمة، و هم الإدارة العليا، و المديرون، و المشرفون، و العمال في كافة محلات و أنشطة المنظمة مثل: بحوث السوق والبحوث والتطوير، والتخطيط لتصميم المنتج، والتجهيز للإنتاج والشراء والصنع والفحص، والمبيعات، وخدمة ما بعد البيع، وكذلك السيطرة المالية، و إدارة الموارد البشرية، و التدريب و التعليم.

٢- معيار الأيزو 9000 الأوروبي:

طورت الجماعة الأوروبية معيار للجودة، هو أيزو 9000 وركز هذا المعيار على إلزام منظمات الأعمال العاملة في نطاق دول الجامعة الأوروبية باتباع إجراءات ضمن إدارة منهجية للجودة، وقد تضمن المعيار ثلاثة عناصر رئيسية هي:

١. توفير دليل للسيطرة على الجودة يستوفي القواعد الإرشادية للأيزو.
٢. توثيق إجراءات الجودة.
٣. وجود تعليمات مكتوبة للعمل.

ويتعين أن يقوم مراجعون – كطرف ثالث – بمراجعة مدى توافق نظام الجودة مع مواصفة الأيزو.

وهناك عوامل عديدة تجعل من الأيزو 9000 موضوعا للاهتمام المكثف على المستوى العالمي، وتتضمن هذه العوامل ما يلي:

١. القبول العالمي لمواصفات الأيزو كنظام لمواصفات الجودة.
٢. اتجاه الاتحاد الأوروبي منذ 1993 إلى تطبيق مواصفات ومعايير جودة على المنتجات المصنعة بالدول الأعضاء أو المصدرة إليها، ومن ثم يتزايد الاهتمام بنظام جودة الأيزو والذي يساعد على تهيئة أو إفراز منتجات جيدة تتوافق وهذه المواصفات.

٣. احتياج الأسواق الذي يتوقع تزايده لأن تستوفي المنظمات المتعاملة متطلبات التوافق مع الأيزو 9000.

ب- فعاليات تطبق استراتيجية الجودة الشاملة للتسويق.

هناك العديد من الجوانب التي يجب تدعيمها من أجل تحسين الجودة، ومن ضمن هذه الجوانب:

١. إن الجودة يجب أن تدرك بواسطة المستهلك فالعميل الخاص بالجودة يجب أن يبدأ باحتياجات المستهلك وينتهي بإدراك المستهلك.
٢. يجب أن تنعكس الجودة في كافة أنشطة المؤسسة و ليس فقط في منتجاتها و من ثم فإن الجودة المطلوبة في الإعلان و التسليم و خدمة ما بعد البيع و بحوث التسويق ... إلخ .
٣. تتطلب الجودة التزام كامل من العاملين فلا يمكن تقديم جودة عالية في الأداء ما لم يتم التزام جميع العاملين بالمؤسسة بتقديم الجودة العالية وأن يتم إشارة دافعيتهم وتدريبهم لتسليم الجودة، فالعاملين يجب أن يهتموا بإرضاء عملائهم الداخلين بنفس القدر من الاهتمام بإرضاء عملائهم الخارجيين.
٤. تتطلب الجودة مشاركين أقوياء وذو جودة عالية، فتسليم جودة عالية أمر لا يتجزأ فهو يتطلب أن يقوم المشاركين الأعضاء في سلسلة القيمة وأنظمة تسليم القيمة بالالتزام بالأداء العالمي وصولاً إلى الجودة الشاملة المستهدفة وذلك فيما يتعلق بالموردين وكافة المشاركين في تلك الأنظمة.
٥. يمكن أن تتحسن الجودة الشاملة بشكل مستمر، ومن أفضل الوسائل لتحسين محاولة الوصول إلى ذلك الأداء أو التفوق عليه.
٦. إن الجودة لا تكلف كثيراً فالاعتقاد الخاطئ بأن تحقيق جودة أفضل سوف يكلف المؤسسة أكثر ويخفض من سرعة الإنتاج، يجب أن يتغير فالجودة يمكن تحسينها من خلال التعلم وأن يتم الأداء بشكل جيد من المرة الأولى.
٧. إن الجودة ضرورية ولكنها قد تكون غير كافية، لأن الجودة الأعلى قد لا تتضمن تحقيق الميزة التنافسية بسبب سعي المؤسسات المنافسة إلى تحقيق نفس المستوى من الجودة ولهذا على المؤسسات أن تعتمد على مداخل أكثر ابتكاراً في النظر إلى أسواقها من أجل تحسين مركزها التنافسي بتقديم خدماتها للمستفيدين منها.

من خلال ما تم دراسته في موضوع العلاقة بيد إدارة الجودة الشاملة وتسويق الخدمات تبين أهمية إدارة الجودة الشاملة للتسويق ووصلنا إلى أن إدارة الجودة الشاملة تعتبر البوابة التي

بإمكانها أن تحدث تغيير جذري في الثقافة التنظيمية داخل المنشأة وتحويلها من الأسلوب الإداري التقليدي للأسلوب الحديث الذي يخدم تحقيق مستوى جودة عالية للمنتج أو الخدمة.

ومن هنا تتجلى أهمية إدارة الجودة الشاملة للتسويق حيث أن هذا التغيير يشمل جل الوظائف ومجالات العمل في المنظمة، معتمداً على العمل الجماعي والتعاون والتحسين المستمر للأداء الكلي لتحقيق النجاح على المدى الطويل، من خلال إرضاء عملاء المنظمة خصوصاً.

كما نشير أيضا إلى أن نظام الجودة الدولية الذي وضعه الأيزو وأهمية كبيرة مع المنظمات التي حازت على هذه الشهادة في توريدها مستلزماتها، ورويداً رويداً ستجد المنظمات التي لم تتمكن من الحصول على هذه الشهادة نفسها خارج السوق وخارج إطار المنافسة، وستفقد زبائنها تدريجياً لأن المستهلك أصبح لديه وعياً بأن السلع والخدمات التي حازت على الأيزو هي الأفضل، وذات جودة لذلك سيقدم على طلبها وشرائها.

المبحث الثالث المصارف السودانية

المطلب الأول: بنك السودان المركزي

أولاً : خلفية تاريخية عن نشأة وتطور بنك السودان المركزي

إن المتتبع للتطور التاريخي لمسيرة بنك السودان المركزي للفترة ما قبل قيام بنك السودان وحتى الآن، يلاحظ أن تلك المسيرة قد مرت بمجموعة من الفترات والمراحل الفرعية أهمها الآتي :

أ): فترة ما قبل قيام بنك السودان:

تميزت تلك الفترة بالآتي :

١. كانت بعض وظائف البنك المركزي مقسمة بين وزارة المالية والاقتصاد، لجنة العملة السودانية وفرع البنك الأهلي المصري. فقد كانت وزارة المالية تحتفظ بجزء من الأرصدة الأجنبية الرسمية وتديرها عن طريق حسابين للجنيه الإسترليني والدولار الأمريكي يديرهما علي التوالي البنك الأهلي المصري وبنك باركليز (دى، سى، أو). أما لجنة العملة فقد كانت تقوم بمهمة إصدار وإدارة العملة والاحتفاظ بالجزء الآخر من أرصدة البلاد بالعملة الأجنبية كغطاء للعملة. كذلك كان فرع البنك الأهلي المصري يقوم بإدارة الأعمال المصرفية للحكومة إلى جانب قيامه بمهمة العمل كمصرف للبنوك التجارية.

وقد كان فرع البنك الأهلي المصري في السودان في وضع لا يسمح له بالعمل مستشاراً للحكومة في الشئون المالية والنقدية أو للبنوك التجارية أو مراقباً لها، رغم أنه كان يقوم بدور المقرض الأخير، إلا أن وزارة المالية والاقتصاد كانت تقوم ببعض المراقبة علي قروض البنوك من البنك الأهلي المصري، كما كانت تفرض بعض القيود النوعية علي نشاط البنوك التمويلي.

٢. هيمنة فروع البنوك الأجنبية سالفة الذكر علي مجمل النشاط المصرفي بالسودان، وتوجيه التمويل لخدمة قطاع التجارة الخارجية لمصلحة الاستعمار، وذلك بالتركيز علي تمويل إنتاج المواد الخام لسد حاجات الصناعات البريطانية من قطن وخلافه.

٣. لم يكن للسودان عملة وطنية؛ حيث كانت العملتان البريطانية والمصرية هما السائدتان حتى أُنشئت لجنة العملة السودانية في عام ١٩٥٦م حيث أصدرت أول عملة وطنية عام ١٩٥٨م.

ب): فترة ما بعد الاستقلال :

في هذه الفترة برزت عدة ثوابت دعت إلى إنشاء البنك المركزي والتي تمثلت في:

١. ضرورة وجود بنك مركزي وطني لتنظيم عملية إصدار العملة الوطنية.

٢. الحاجة الملحة لتنظيم السياسات التمويلية بغرض توجيه التمويل لخدمة القطاعات الاقتصادية ذات الأولوية في الاقتصاد الوطني.

٣. ضرورة إنشاء بنك مركزي لحفظ حسابات الحكومة ويكون مستشاراً لها في الشئون المالية وتوفير النقد الأجنبي اللازم لإعادة تأهيل المشاريع التنموية القائمة آنذاك.

٤. تبنى الحكومة في تلك الفترة برامج طموحة لتحقيق التنمية الاقتصادية، وهذا تطلب وجود بنك مركزي يعمل علي جذب المدخرات لداخل الجهاز المصرفي بغرض توفير التمويل اللازم لتلك البرامج.

ج) : إنشاء بنك السودان :

مما تقدم اتضح جلياً مدى الحاجة لإنشاء بنك مركزي يعمل علي ترقية وتطوير الجهاز المصرفي بالسودان ليسهم بدوره في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وفي أواخر ديسمبر ١٩٥٦م تمّ تشكيل لجنة من ثلاثة خبراء من بنك الاحتياط الفدرالي الأمريكي وهم: Weale Oliverنائب رئيس بنك الاحتياط الفيدرالى لسان فرانسيسكو رئيساً وعضوية كل

من: Alan R-Holems و Andrew F. Primer من بنك الاحتياط الفيدرالي لنيويورك لعمل دراسة لإمكانية إنشاء بنك مركزي بالسودان وقدمت اللجنة تقريرها للسلطات المختصة في منتصف مارس ١٩٥٧م وتمت الموافقة عليه، إلا أنه تأخر صدور قانون بنك السودان حتى عام ١٩٥٩م، وقد تمّ افتتاح البنك رسمياً في يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٠م.

هذا وقد حددت المادة (٥) من قانون بنك السودان لسنة ١٩٥٩م الأغراض التي من أجلها أنشئ البنك، والتي تمثلت في تنظيم إصدار أوراق النقد والنقود المعدنية،المساعدة علي تنمية نظام مصرفي ونظام للنقد والائتمان في السودان، والعمل علي استقراره بغرض تحقيق التنمية الاقتصادية بالبلاد علي نحو منتظم ومتوازن وتدعيم الاستقرار الخارجي للعملة، وأن يكون مصرفاً للحكومة ومستشاراً لها في الشئون المالية.

واستناداً إلى قانون بنك السودان لسنة ١٩٥٩م (بتعديلاته المختلفة) فإن بنك السودان يعتبر مستقلاً عن الحكومة إذ أن إدارته أسندت إلى مجلس إدارة مسؤول عن رسم سياسة البنك وإدارة شئونه العامة وأعماله. كما أسندت إدارة شئون البنك اليومية للمحافظ ويكون مسئولاً عنها أمام المجلس. كما نص القانون علي أن بنك السودان هيئة قائمة بذاتها لها شخصية اعتبارية وصفة تعاقبية وخاتم عام ويجوز لها التقاضي باسمها بصفتها مدعية أو مدعى عليها. ومن هنا كان لابد من أن يستشعر البنك أهمية وضع الهيكل الإداري والوظيفي وفق الأغراض والأهداف التي من أجلها أنشئ البنك، وذلك لأن الهيكل الإداري والوظيفي يجب أن يكون ترجمة واقعية وتنزيلاً لتلك الأهداف لأرض الواقع لكي يتمكن البنك من الاضطلاع بدوره بالصورة المطلوبة. عليه فقد تمثل الهيكل الإداري للبنك في إيجاد إدارات تقوم بالوظائف التالية :

١. إصدار النقود.
٢. بنك الحكومة ومستشارها المالي.
٣. إدارة إحتياطيات البلاد من النقد الأجنبي.
٤. بنك البنوك وتمثل ذلك في الآتي :
   أ. الاحتفاظ بالاحتياطيات النقدية للبنوك.
   ب. المقرض الأخير للبنوك.
   ج. إجراء عمليات المقاصة والتسويات المالية بين البنوك.
   د. الإشراف علي البنوك والمؤسسات المالية الأخرى.
   ه. إصدار السياسة النقدية والتمويلية.

من الطبيعي أنه بعد إنشاء بنك السودان أن تولت الإدارة شخصيات سودانية ومن ثم تمّ إعفاء كبار موظفي البنك الأهلي المصري ذوي الجنسيات المصرية بينما تم الإبقاء علي بقية الموظفين الذين كانوا يعملون مع البنك الأهلي المصري. جدير بالذكر أن السيد/ مأمون بحيرى هو أول محافظ لبنك السودان، ونسبة للاختلاف الجوهري بين طبيعة عمل ونشاط وأغراض البنك الأهلي المصري وبنك السودان فقد ظهرت الحاجة الملحة لموظفين من حملة الشهادات الجامعية، ومن ثم تمّ تعيين عدد مقدر من حملة الشهادات الجامعية إلى جانب استيعاب عدد من الموظفين الذين كانوا يعملون في وزارة المالية، وذلك للقيام بأعباء البنك المركزي ذات الطبيعة الكلية (Macro) والتي تختلف في طبيعتها عن عمل ونشاط فرع البنك الأهلي المصري ذو الطبيعة الجزئية (Micro) .

د) فترة التغيرات المتلاحقة في مسيرة البنك:

من المعلوم بأن مهام البنك المركزي عند إنشائه قد بنيت على أساس التوصيات التي تقدم بها خبراء بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، التي جاءت متطابقة لمتطلبات النظام الرأسمالي، وظلت على ما هي عليه، حتى جاء انقلاب ٢٥-مايو ١٩٦٩ وكان وقتها بملامح اشتراكية، لذلك تبنى بنك السودان تطبيق سياسات التأميم التي أعلنتها الدولة في عام ١٩٧٠،والتى تم بموجبها تأميم كل البنوك الأجنبية بالسودان، وقد شهدت هذه الفـــترة (١٩٦٩ – ١٩٧٥) الآتي:

١. وضع سياسات تهدف إلى ربط التمويل التنموي بالخطة الإنمائية للدولة.

٢. توجيه الموارد نحو أهداف معينة تحددها الدولة.

٣. توزيع التمويل على القطاعات المختلفة وفق أولويات تضعها .

وفي أواخر عام ١٩٧٥ لاحت بادرة انتهاج سياسة أكثر انفتاحاً على العالم الاشتراكي والرأسمالي والإسلامي على السواء، لذلك انتهجت الدولة سياسة الاقتصاد المفتوح "The open-door policy" ومن ثم تمت دعوة العالم للاستثمار في السودان وتم إصدار قانون تشجيع الاستثمار لسنة ١٩٧٦. بموجب ذلك سمح بنك السودان للبنوك الأجنبية بفتح فروع لها بالسودان شريطة أن لا يقل رأس المال المدفوع عن ١٠ ملايين دولار، وانتشرت في هذه الفترة العديد من البنوك ومن ضمنها البنوك الإسلامية.

وخلال الفترة (١٩٦٠ – ١٩٨٣) ظل بنك السودان يستخدم أدوات السياسة النقدية التقليدية المتمثلة في التحكم في عرض النقود من خلال استخدام معدلات أسعار الفائدة، وتغيير نسب الاحتياطي النقدي، والتوجيه المباشر عن طريق وضع حدود قصوى للتمويل (سقوف ائتمانية).

في سبتمبر ١٩٨٣ أصدر بنك السودان منشوراً للبنوك العاملة يمنع فيه التعامل بالفائدة، ومن ثم بدأ تطبيق صيغ التمويل الإسلامية كأدوات جديدة لإدارة السياسة النقدية للبنك المركزي . وقد شهدت الفترة الأولى من إسلام الجهاز المصرفي (١٩٨٤-١٩٨٩) مرونة في تطبيق الصيغ الإسلامية، حيث سُمح للبنوك في عام ١٩٨٦ بالعمل إما وفق صيغ التمويل الإسلامية أو العائد التعويضي، واستمر الحال هكذا إلى أن تم الإعلان عن تعميق إسلام الجهاز المصرفي في عام ١٩٩٠؛ حيث تم إنشاء الهيئة العليا للرقابة الشرعية على المؤسسات المالية الإسلامية في عام ١٩٩٢ وأُلزمت المصارف بإنشاء هيئات رقابـــــة شرعية خاصة بها، وبذلك أصبح بنك السودان يشرف على نظام مصرفي إسلامي بكامله وحلك فى عام ٢٠٠٤م، وبدأ في تطوير وتنمية أدوات السياسة النقدية في ظل النظام المصرفي الإسلامي .

في عام ٢٠٠٥ وبموجب اتفاقية السلام الشامل وخـــاصة البند (١٤) من بروتوكول قسمة الثروة – الذي يركز على البنوك والعملة والسياسة النقدية والاقتراض – تم اعتماد قيام نظامين مصرفيين مختلفين (إسلامي في الشمال، وتقليدي في الجنوب)، وبذلك أصبح بنك السودان المركزي يشرف على سياسة نقدية واحدة يتم تطبيقها في ظل وجود نظامين مختلفين، لذلك تم تأسيس بنك جنوب السودان كفرع لبنك السودان المركزي لمقابلة حاجة الجنوب للخدمات المصرفية التقليدية والمسأهمة في نشر الوعي المصرفي وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالجنوب .

وفي ٩ يوليو ٢٠١١ وبعد انفصال جنوب السودان أصبح بنك جنوب السودان هو البنك المركزي لدولة جنوب السودان يتبع له كل فروع بنك السودان المركزي في الولايات الجنوبية سابقا وتم تجميد كل ما يختص بالبند (١٤) من بروتوكول قسمة الثروة المتعلقة بالسياسة النقدية والمصرفية والعملة والإقراض كما تم تعليق العمل بالفصل الخاص بسياسات النظام المصرفي التقليدي بجنوب السودان الواردة بمنشور سياسات بنك السودان المركزي وتجميد العمل بكل المنشورات المصرفية الصادرة بموجبها وتم تعديل قانون بنك السودان المركزي في سنة ٢٠١٢

تسويق الخدمات المصرفيّة تسويق الخدمات المصرفيّة (بالإنجليزيّة Marketing of Banking Services)؛ هي مجموعة من النشاطات المُتكاملة التي تُنفّذ في إطارٍ مُعيّن، وتَحرص على توجيه الخدمات الخاصّة في المصارف بكفاءة، ممّا يُسهم في توفير حاجات العملاء، وأيضاً يُعرف تسويق الخدمات المصرفيّة بأنّه نشاط يحرص على انسياب وتدفّق الخدمات الخاصّة في المصرف إلى فئة مُعيّنة من العملاء مع الحرص على تحقيق الأرباح. ويُمكن تعريف تسويق الخدمات المصرفيّة أيضاً بأنّه دِراسة خاصّة في سوق المَصارف والزبائن المُستهدفين، ممّا يسأهم

في تحديد حاجاتهم ورَغباتهم من أجل تَكيّف المؤسّسة المصرفيّة معها، وينتج عن ذلك توفير هذه الرغبات والحاجات بأكبر كميّةٍ مُمكنة. نشأة تسويق الخدمات المصرفيّة قبل منتصف خمسينيّات القرن العشرين للميلاد لم يظهر أيّ اهتمامٍ من المؤسّسات المصرفيّة في وظيفة التسويق، كما لم تكن إدارات المصارف تُدرك أهميّة التسويق المصرفيّ، ممّا أدّى إلى تجاهل الدّور المهم الخاص به؛ إذ لم يَكن الاهتمام فيه إلّا سطحياً، حيث اهتمّت المصارف في السياسات المُعتمدة على تَقديم خدمات تقليديّة، ولم تُظهر أيّ حاجةٍ لتسويق خدماتها، وفي مطلع ستينيّات القرن العشرين للميلاد ظهر مفهوم التسويق المصرفيّ للمرة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ومن ثمّ انتشر في فرنسا وكافة الدول الأوروبيّة، عندما اقتنع مديرو ومشرفو المَصارف بالأهميّة الخاصّة للتسويق. بدأت المَصارف في مُنتصف ستينيات القرن العشرين للميلاد بالاهتمام بشكلٍ تدريجيّ في تَطوير عمليّة التسويق، وأظهرت دراسة أجرتها جمعيّة المصارف الأمريكيّة عام ١٩٦٨م أنّ ما يُعادل ٥٠% من المصارف تُصنّف البحوث والإعلانات التسويقيّة من أهم أنشطة التسويق، ولكن لم يظهر التطوّر الحقيقيّ لهذه الأنشطة إلّا في الفترة الزمنيّة بين عامي ١٩٧٣م-١٩٧٤م؛ إذ أصبَح التسويق المصرفيّ يشمل العديد من الخدمات المصرفيّة الأخرى، ولم يظل يَعتمد فقط على ادخار الأفراد. ارتبط الاهتمام الحقيقيّ للمصارف بمفهومِ وآليات التسويق مع زيادة القناعة عند مُديريها بالأهميّة الخاصّة في وظيفة التسويق، والدور الذي تُقدّمه في الوصولِ إلى أهداف المصارف؛ من حيث المُساهمة في استمرارها والمُحافظة على استقرارها، وتحديداً في ظلّ المُنافسة التي ظَهرت بين المصارف؛ سواءً مع بعضها البعض أو مع المؤسّسات الماليّة المتنوعة، ونتج عن ذلك حصول التسويق على صفة قانونيّة كوظيفة رئيسيّة في الهَيكل التنظيميّ للمصارف. **تطور تسويق الخدمات المصرفيّة:**

اعتَمد تطوّر تسويق الخدمات المصرفيّة على المرور في المراحل الخمسة الآتية:

- **مرحلة تقديم الخدمات المصرفيّة والإنتاج:** هي المرحلة التي تَميّزت في زيادة الطلب على العرض؛ لأنّ الهدف المباشر والأساسيّ للمصارف كان في هذه المرحلة هو تقديم أكبر مجموعة ممكنة من الخدمات؛ من أجل المساهمة في تحقيق الطلبات، ممّا أدّى إلى تغيّر تركيزها نحو توظيف أكبر عددٍ من الموظّفين، كما حَرصت المصارف على زيادة عدد فروعها للمُساهمة في تحقيق هذا الهدف.
- **مرحلة الاهتمام بالعملاء:** هي المرحلة المُرتبطة بشدّة المُنافسة بين المصارف من أجل جذب العملاء؛ بسبب زيادة العرض المُرتبط بالخدمات الخاصّة في المصارف على حساب كميّة الطلب، وظهر هذا الشيء نتيجة توسّعات المَصارف في المرحلة الإنتاجيّة، وتَركيزها على

الاهتمامِ في تعزيز علاقتها مع العملاء، وارتَبطت هذه المرحلة بالأمور الآتية: دعم التوجّه نحو العملاء عند مُوظّفي المصرف، وخُصوصاً لدى موظّفي الخطوط الأماميّة ممّا يساهم في تدريبهم على استخدام أفضل وسائل التعامل مع العملاء.

تعزيز السرعة والدقّة في أداء الخدمات؛ من خلال تحديث وسائل العمل. مُعالجة الشكاوى الخاصة في العملاء.

- **الاهتمام بدور الإعلان والعلاقات العامة:** دعم اتّخاذ القرارات الماليّة الخاصة في العملاء؛ من خلال تقديم الخدمات الاستشاريّة لهم. تطوير مبنى المَصرف وأماكن تَقديم الخدمات المصرفيّة، ممّا يُسأهم في تعزيز شعور الترحيب والاحترام عند العملاء.
- **مرحلة مُتابعة الخدمات:** هي المرحلة التي تهتمّ بتوجيه الموارد الخاصّة في المصرف نحو دعم تطوّر الخدمات الحاليّة، ممّا يسأهم في تقديم خدمات جديدة، وينتج عن ذلك دقّة وسرعة في أداء الخدمات. مَرحلة توجيه التسويق: هي المرحلة التي تُساعد على تَرجمة موارد المصرف المتاحة؛ من أجل استِثمارها ضمن حاجات السوق، ويَعتمد تطبيق هذه المرحلة على مَجموعةٍ من النّشاطات مثل: أبحاث التسويق، ونُظم المعلومات التسويقيّة، والخُطط التسويقيّة طويلة الأجل، وتعزيز مراقبة نشاطات ونتائج التسويق.
- **مرحلة مفهوم التسويق الاجتماعيّ:** هي المَرحلة التي تساهم في دعم المراحل السابقة ودور المصرف في تنفيذها؛ عَن طريق التعامل مع المجتمع بِصفته كياناً اقتصادياً يتميّز بدوره الاقتصاديّ في اقتصاد الدولة. إستراتيجيات تسويق الخدمات المصرفيّة يَعتمد تسويق الخدمات المصرفيّة على مجموعةٍ من الإستراتيجيات التي تهدف إلى تحقيق إدارة التّسويق في المَصرف، وتُقسم هذه الاستراتيجيات إلى ثلاثة أنواع هي:

١. **استراتيجية التسويق الهجوميّ:** هي من أنواع الإستراتيجيات التسويقيّة وتعتبر أفضلها بالنسبة للمصارف التي تَهدف إلى تَعزيز مركزها، وزيادة حصّتها في السوق على حِساب المصارف المنافسة لها؛ إذ تُركّز على ظهور نقاط القوّة الخاصة بها، وزيادة تأثير نقاط ضَعف المصارف المنافسة لها، وهكذا تظهر صورة جيّدة عنها لدى العُملاء الحاليين والجُدد.

تتطلّب هذه الإستراتيجية وجود العديد من الإمكانات البشريّة، والماديّة، والتَنظيميّة حتى ينجح المصرف في تَنفيذها.

٢. **استراتيجية التسويق الدفاعيّ:** هي الإستراتيجية التي يَحرص المصرف من خلالها في المُحافظة على حصته في السوق؛ عن طريق تجنب المشاركة في صراعات تسويقيّة، أو منافسة قويّة مع المصارف الأخرى ذات المُميّزات العالية والشهرة الواسعة.

٣. **استراتيجية التسويق العقلانيّ:** هي استراتيجية تَهدف إلى تَعزيز الأرباح؛ عن طريق زِيادة الأسعار الناتجة عن تميّز خَدمات المصرف، وتَحديد طبيعة أهميّتها عند العملاء، وقد تَسعى هذه الإستراتيجية إلى تقليل التكاليف باستخدام الأجهزةِ الحديثة التي تُستخدم بَدلاً عن الموظّفين.

جاء إنشاء البنك الزراعي السوداني كأول بنك وطني بالبلاد عندما كانت كل البنوك العاملة حينها فروع لبنوك أجنبية، صدر قانون إنشاء البنك في ١٩٥٧/٦/١٧ وباشر نشاطه الفعلي في عام ١٩٥٩م، وقد تطور عمل البنك منذ ذلك التاريخ وحتى الآن (نحو ٥٧ عاماً) حتى أصبح مؤسسة مصرفية شاملة، وأحد أهم أعمدة القطاع المصرفي التي تسهم بفاعلية في دفع عجلة التنمية الزراعية ونمو الناتج المحلي الإجمالي. البنك مملوك بالكامل للدولة، وهو عضو في صندوق ضمان الودائع المصرفية ورأس ماله مسأهمة ما بين وزارة المالية الاتحادية وبنك السودان.

رأس المال المصرح به ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه سوداني.

رأس المال المدفوع ٨٥٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه سوداني.

المطلب الثاني: الهدف الاستراتيجي

النهوض بالاقتصاد القومي المعتمد على الزراعة بشقيها النباتي والحيواني بما في ذلك التصنيع الزراعي.

الأهداف العامة:

١. تقديم التسهيلات اللازمة للنهوض بالقطاع الزراعي بالسودان وتطويره وكل أوجه النشاط الأخرى سواء كانت طارئة أو إضافية أو ثانوية أو فرعية، وذلك بتقديم التمويل (عيناً أو نقداً) والخدمات والإرشاد والتدريب والتسويق والتخزين للأشخاص المعتمدين الممولين بواسطة البنك الذين يشتغلون بالقطاع الزراعي وما يتفرع منه وما يتعلق به من صناعات.

٢. تقديم الخدمات المصرفية الشاملة بما يساعد في تطوير القطاع الزراعي والنشاطات الأخرى بالبلاد وزيادة معدلات الإنتاج وتحقيق التنمية الريفية.

٣. توفير مخزون إستراتيجي من السلع لتحقيق الأمن الغذائي من خلال جمع المعلومات وإعداد الدراسات وإجراء البحوث و توفير التمويل وزيادة الأوعية التخزينية بالبلاد، والمساعدة في إنشاء مشاريع نموذجية رائدة لزيادة الإنتاج في القطـــــاع الزراعي والصناعي وفق التقانات الحديثة بالتنسيق مع الجهات المختصة.

التسهيلات التي يقدمها البنك

١. يتيح البنك التمويل في مجالات إنتاجية متعددة تتضمن تمويل عمليات الإنتاج الزراعي النباتي (المحاصيل الحقلية والبستانية) والحيواني (تسمين، ألبان، دواجن واسماك).
٢. يشجع البنك الاستثمار في مجالات التصنيع الزراعي النباتي والحيواني بتقديم التمويل الرأسمالي والتشغيلي عبر الاستثمارات المشتركة مع أعطاء اهتمام خاص للصناعات الزراعية والحيوانية الريفية.
٣. يمول البنك مستلزمات ومدخلات الإنتاج (الآليات الزراعية وملحقاتها، الأسمدة، المبيدات، التقاوي المحسنة، قوارب الصيد، السلالات المحسنة من الحيوانات، بالإضافة إلى الخدمات البيطرية.
٤. يقدم البنك خدمات الأوعية التخزينية المختلفة (تخزين جميع أنواع المحاصيل) ويتيح تمويل إنشاء الأوعية التخزينية المبردة لحفظ المنتجات البستانية والحيوانية، كما يحقق الأمن الغذائي الداخلي من خلال المخزون الاستراتيجي.
٥. يتيح البنك خدمات التسويق الداخلي والخارجي للعملاء وتصدير المحاصيل الزراعية.
٦. يقدم البنك كل الخدمات المصرفية التقليدية والإلكترونية في مجال (الودائع الجارية والاستثمارية، التحاويل الفورية، خدمات الصراف الآلي، المحافظ الإلكترونية، نقاط البيع، الدفع بالموبايل في المعاملات، خطابات الضمان والاعتمادات المستندية) عبر شبكة واسعة من الفروع المحلية وشبكة مراسلين عالمية عبر سويفت (SWIFT).
٧. يعمل البنك علي استقطاب القروض والمنح والتسهيلات من سوق المال المحلي والإقليمي والعالمي، مما مكن البنك من تنفيذ العديد من مشاريع التنمية الزراعية والريفية الشاملة.

لبنيات التحتية

يمتلك البنك بنية وأصول مهمة وهي لازمة وضرورية لتسهيل أداء مهام البنك منها:

١. المقر الرئيسي: ملك للبنك ويتكون مع عمارة من سبعة طوابق تقع في قلب العاصمة الخرطوم بمنطقة المقرن/ ش الجمهورية.
٢. عدد ١٠٦ فرعاً و ١٣ مكتباً تغطي كل ولايات السودان.

٣. عدد خمس صوامع غلال بكل من بورتسودان والقضارف وربك والدبيبات طاقتها التخزينية ٢٩٥,٠٠٠ طن.
٤. مخازن استراتيجية وريفية بكل أنحاء البلاد طاقتها التخزينية الإجمالية ٣٤٠,٨٤٥ طن .
٥. المطبعة وتقوم بطباعة المستندات التي تخص البنك وتعمل وفق أسس تجارية وتقدم خدماتها في مجال الطباعة للجميع.
٦. مركز الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية GIS الهدف من إنشائه متابعة عمليات التمويل الزراعي الذي يقدمه البنك مما يقلل المخاطر، وعمل تقديرات للإنتاج مما يسهم في توفير المعلومات مبكراً ومن ثم تحقيق الأمن الغذائي ووضع خطط للتخزين والتسويق والتصدير بناء على الإنتاج المتوقع، كما سيسهم في توفير المعلومات للجهات الأخرى ذات الصلة كشركات التأمين (المركز مازال مشروعاً في مرحلة الإنشاء وجمع المعلومات).

المبحث الرابع الدراسة الميدانية

المطلب الأول: البنوك السودانية.

أولا : بنك البركة السوداني :

تأسس بنك البركة السودان في ١٩٨٤/٠٢/٢٦ وتم افتتاحه في ١٩٨٤/٠٣/١٤، المقر الرئيسي برج البركة – شارع القصر، الخرطوم – السودان. وهو مسجل لدى مسجل عام الشركات بالسودان بالنمرة ش/٢٧٣٢ ومرخص له من قبل بنك السودان المركزي للقيام بكافة الاعمال المصرفية والاستثمارية وفق احكام الشريعة الاسلامية.

يبلغ رأسمال البنك المصدق به 500.01مليون جنيه سوداني (خمسمائة مليون جنيه وواحد قرش) والمدفوع بالكامل منه ٢٠٩,١٣ مليون جنيه سوداني (مئتان وتسعة مليون ،وثلاثة عشر جنيه سوداني) وتسأهم فية مجموعة البركة المصرفية بنسبة ٧٥,٧ % و مسأهمون سودانيون بنسبة ٢٤,٣ %.

بنك البركة السودان هو أحد وحدات مجموعة البركة المصرفية هي شركة مسأهمة بحرينية مرخصة كمصرف جملة إسلامي من مصرف البحرين المركزي، ومدرجة في بورصتي البحرين و ناسداك دبي. وتعتبر البركة من رواد العمل المصرفي الإسلامي على مستوى العالم حيث تقدم خدماتها المصرفية المميزة إلي حوالي مليار شخص في الدول التي تعمل فيها، وقد حصلت المجموعة على تصنيف ائتماني بدرجة +BBB (للالتزامات طويلة الأجل) A3/ B (للالتزامات

قصيرة الأجل) من قبل مؤسسة ستاندرد أند بورز العالمية. وتقدم بنوك البركة منتجاتها وخدماتها المصرفية والمالية وفقاً لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء في مجالات مصرفية التجزئة، والتجارة، والاستثمار بالإضافة إلى خدمات الخزينة، هذا ويبلغ رأس المال المصرح به للمجموعة ١,٥ مليار دولار أمريكي، كما يبلغ مجموع الحقوق نحو ٢,١ مليار دولار أمريكي.

وللمجموعة انتشاراً جغرافياً واسعاً ممثلاً في وحدات مصرفية تابعة ومكاتب تمثيل في خمسة عشر دولة، حيث تدير أكثر من ٧٠٠ فرع في كل من: الأردن، تونس، السودان، تركيا، البحرين، مصر، الجزائر، باكستان، جنوب أفريقيا، لبنان، سوريـــــة، العراق والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى مكتبي تمثيل في كل من اندونيسيا و ليبيا.

بنك البركة السودان منذ انطلاقه ظل يتبوأ مركز الريادة في مجال تطوير العمل المصرفي المالي والإسلامي فى السودان وهو رائد الخدمات المصرفية الالكترونية وهندسة التغيير المصرفي، أول من أدخل نظام التوقيعات الالكترونية والشيكات الممغنطة وربط فروع البنك مع بعضها البعض، يعد أول من عمل بنظام الصراف الشامل في السودان. ينتشر بنك البركة جغرافياً ليغطى العديد من مدن السودان من خلال ٢٦ فرعاً منها ثلاث فروع أنشئت من أجل تلبية متطلبات شرائح محددة فى المجتمع مثل فرع الحرفيين؛ من أجل تلبية متطلبات أصحاب الحرف، فرع المغتربين؛ من أجل تلبية متطلبات السودانيين العاملين بالخارج و فرع الزهراء؛ و هو أول فرع خاص بالنساء فى السودان. مع التوزيع المتميز لفروعه داخل السودان بالإضافة إلى إدارة فعالة للعمليات المركزية بالمركز الرئيسي وذلك لإتاحة الفرصة للفروع للتفرغ لخدمات العملاء والاستجابة لتطلعاتهم.

كما حصد بنك البركة السوداني أربعة جوائز علي التوالي كأفضل بنك إسلامي في السودان للعام ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥،٢٠١٦ حسب مجلة أخبار التمويل الإسلامي.

ثانياً : بنك الخرطوم النشاة والتطور:

تأسس بنك الخرطوم في عام ١٩١٣ من قبل النظام الإنجليزي–مصري. وفي عام ١٩٢٥، تم تغيير اسمه إلى بنك باركليز أوفرسيز، قبل أن تعاد تسميته إلى بنك باركليز في عام ١٩٥٤. وجدير بالذكر أن المعايير والممارسات الدولية التي غرسها بنك باركليز، لا تزال إلى اليوم ماثلة في ثقافة البنوك السودانية ومناهج عملها.

في عام ١٩٧٠، تم تأميم بنك الخرطوم من قبل الحكومة السودانية، وخلال الفترة ١٩٨٢–٢٠٠٢ قاد البنك جهود تدعيم القطاع المصرفي من خلال إندماج العديد من البنوك المحلية والإقليمية في بنك الخرطوم. وبحلول عام ٢٠٠١، تمت خصخصة البنك وإضفاء الطابع المؤسسي على هيكليته، والمساهم الرئيسي اليوم هو بنك دبي الإسلامي، البنك الإسلامي الرائد إقليمياً والذي يتخذ من الإمارات العربية المتحدة مقراً له، والذي قدم لبنك الخرطوم فريقاً إدارياً رفيع المستوى من ذوي الخبرة والمعرفة الواسعة في الخدمات المصرفية الدولية. وأما بقية المسأهمين في البنك فهم أيضاً من رواد الخدمات المصرفية الإسلامية الإقليمية ورجال الأعمال، ويشمل ذلك البنك الإسلامي للتنمية في جدة، وبنك أبوظبي الإسلامي، ومصرف الشارقة الإسلامي، واتصالات بدولة الإمارات العربية المتحدة.

يعد بنك الخرطوم أكبر مجموعة مصرفية في السودان من حيث رأس المال بعد اندماجه مع بنك الإمارات والسودان في عام ٢٠٠٨. ويدير البنك محفظة تقدر ب ٢ بليون دولار. ويعمل لدى بنك الخرطوم أكثر من ٢٠٠٠ موظفاً في اكثر من ١٠٠ فرعاً، وله أكبر شبكة من أجهزة الصراف الآلي وأجهزة الإيداع في السودان والتي سيتم توسيعها لتشمل أكثر من ٢٠٠ جهاز في خلال العام الجاري. ويوفر البنك أيضاً مركز اتصال يعمل على مدار ٢٤ ساعة، مع خدمة الخدمات المصرفية لكبار الشخصيات، ومجموعة كاملة من الخدمات الإلكترونية التي تشمل الخدمات المصرفية عبر الإنترنت، وخدمة التنبيه بالرسائل القصيرة، والخدمات المصرفية عبر الأجهزة المتنقلة. ويزاول بنك الخرطوم نشاطه بموجب المعايير والمبادئ المصرفية الإسلامية التي تضمن الامتثال لأحكام الشريعة الإسلامية السمحة.

"إن تاريخنا العريق الممتد إلى أكثر من ١٠٠ عام يضمن لنا القدرة على تحديد وفهم احتياجات السوق والعملاء. ومع ذلك، فإن تركيزنا ينصب بشكل دائم ورئيسي على التطلع نحو الأمام، ونحو الريادة وتوقع الاحتياجات المستقبلية، مع التفكير بشكل دائم في إحتياجات السوق والعملاء لتبنيها وتسهيل متطلباتهم؟ هذا هو ما يميزنا عن منافسينا، وهذه هي الثقافة التي نعمل على بنائها"، السيد فادي الفقيه، الرئيس التنفيذي لبنك الخرطوم.

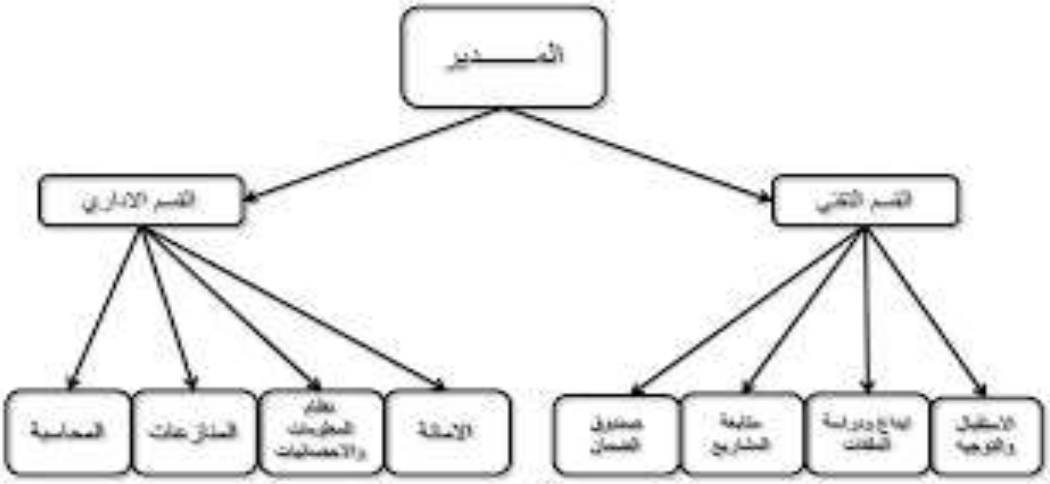

ثالثاً : بنك فيصل الإسلامي السوداني:

بدأت فكرة نشأة بنوك إسلامية في منتصف السبعينات حيث كانت البداية بإنشاء البنك الإسلامي للتنمية بجدة وهو بنك حكومات وتبع ذلك جهد شعبي وخاص نحو إنشاء بنوك إسلامية كان لسمو الأمير محمد الفيصل فيها الريادة بدعوته لإنشاء بنوك إسلامية كما قامت دار المال الإسلامي وهى شركة قابضة برأسمال قدره بليون دولار بالسعي نحو إقامة بنوك إسلامية في عدد من الأقطار

ولم يكن السودان بعيد عن تلك الجهود، بل أن فكرة إنشاء بنك إسلامي بالسودان قد برزت لأول مرة بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٦٦م إلا أن الفكرة لم تجد طريقها للتنفيذ . وفى فبراير ١٩٧٦م أفلحت جهود الأمير محمد الفيصل ونفر كريم من السودانيين في الحصول على موافقة الرئيس الأسبق جعفر محمد نميرى على قيام بنك إسلامي بالسودان وقد تم بالفعل إنشاء بنك فيصل الإسلامي السوداني بموجب الأمر المؤقت رقم ٩ لسنة ١٩٧٧م بتاريخ ١٩٧٧/٤/٤م الذي تمت إجازته من السلطة التشريعية (مجلس الشعب آنذاك) .

وفى مايو ١٩٧٧م اجتمع ستة وثمانون من المؤسسين السودانيين والسعوديين وبعض مواطني الدول الإسلامية الأخرى ووافقوا على فكرة التأسيس واكتتبوا فيما بينهم نصف رأس المال المصدق به آنذاك والبالغ ستة مليون جنيه سوداني . وفى ١٨ أغسطس ١٩٧٧م تم تسجيل بنك فيصل الإسلامي السوداني كشركة مسأهمة عامة محدودة وفق قانون الشركات لعام ١٩٢٥م . هذا وقد باشر البنك أعماله فعلياً اعتبارا من مايو 1978م

وقد حدد قانون إنشاء البنك على أن يعمل البنك وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية على تدعيم تنمية المجتمع وذلك بالقيام بجميع الأعمال المصرفية والمالية والتجارية وأعمال الاستثمار، كما يجوز له لتحقيق أغراضه إنشاء شركات تأمين تعاوني أو أي شركات أخرى، يجوز له كذلك وفق القانون الخاص المذكور المسأهمة في مناشط التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل السودان وخارجه، وقد حدد القانون أن يكون للبنك رأس مال لا يقل عن ستة ملايين جنيه سوداني، وترك لعقد التأسيس والنظام الأساسي للبنك توزيع رأس المال آلي أسهم ونسبة المسأهمة ونص صراحة أن تدفع مسأهمة الجانب غير السوداني بعملة قابلة للتحويل .

واستثني القانون الخاص المشار إليه البنك من القوانين المنظمة للخدمة وفوائد ما بعد الخدمة على ألا تقل المرتبات والأجور وفوائد ما بعد الخدمة التى يحددها البنك عن الحد الأدنى المنصوص عليه في تلك القوانين وكذلك أستثنى البنك من القوانين المنظمة للتأمين وقانون ديوان المراجع العام لسنة ١٩٧٠م أو أي قانون آخر يحل محله، كما أعفى كذلك من المواد ٣٢، ٤٤، ٤٥ من قانون بنك السودان وذلك دون المساس بسلطة بنك السودان بالإشراف على السياسة الائتمانية للبنك وتوجيهها . أما أموال البنك وأرباحه فقد أعفيت من جميع أنواع الضرائب وكذلك الأموال المودعة بالبنك للاستثمار ومرتبات وأجور ومكافآت ومعاشات جميع العاملين بالبنك ورئيس وأعضاء مجلس إدارته وهيئة الرقابة الشرعية.

بالإضافة للإعفاءات المنصوص عليها أعلاه فقد جوز القانون للبنك أن يتمتع بأي إعفاءات أو امتيازات منصوص عليها في قانون آخر، أما فيما يتعلق بمسألة الرقابة على النقد الأجنبي فقد خول القانون لمحافظ بنك السودان أن يعفى البنك من أحكام القوانين المنظمة للرقابة على النقد الأجنبي في الحدود آلتي يراها مناسبة، ونص القانون صراحة كذلك أنه لا تجوز مصادرة أموال البنك أو تأميمها أو فرض الحراسة أو الاستيلاء عليها وكذلك لا تحجز بموجب أمر قضائي .

إلا أنه وبعد انقضاء خمس سنوات من عمر البنك فإن قانون البنك تم تعديله بحيث سحبت الميزات والإعفاءات الممنوحة للبنك بموجب الأمر المؤقت الخاص بقانون بنك فيصل الإسلامي السوداني عند

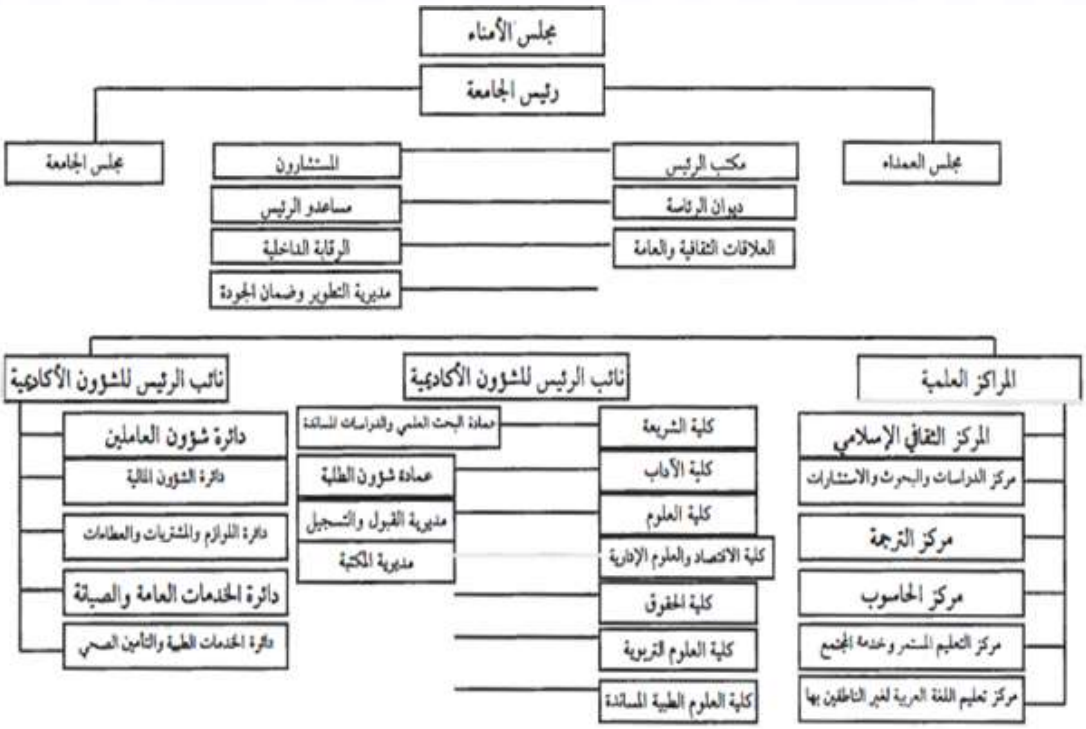

المطلب الثاني: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية.

أولاً: مجتمع وعينة الدراسة:

يُقصد بمجتمع الدراسة المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة حيث يتمثل مجتمع الدراسة في عينة من المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني)، قام الباحث بتوزيع عدد (200) استبانة على المستهدفين. وكان عدد المستجيبين (185) فرداً أي نسبة الاستبانة المُستردة بلغت (٩٢,٥%) وهذه النسبة العالية تؤدي إلى قبول نتائج الدراسة وبالتالي تعميمها على مجتمع الدراسة.

ثانياً: تصميم أداة البحث:

من أجل الحصول على المعلومات والبيانات الأولية لهذه الدراسة تم تصميم الاستبانة لدراسة (أثر إدارة الجودة الشاملة في تسويق الخدمات المصرفية بالتطبيق على قطاع المصارف السودانية في الفترة ٢٠٠٨-٢٠١٨م).

والاستبانة هي من الوسائل المعروفة لجمع المعلومات الميدانية وتتميز بإمكانية جمع المعلومات من مفردات متعددة من عينة الدراسة ويتم تحليلها للوصول للنتائج المحددة، وقد حاول الباحث في صياغة عبارات الاستبانة ومراعاة الحيادية الممكنة بالابتعاد عن المعاني التي يصعب فهمها أو يلتبس معناها.

وبناءً على ذلك تم تصميم استمارة الاستقصاء لتفي بالغرض المطلوب لمجتمع الدراسة والعينة المختارة وبعدها تم إعداد الاستبانة في صورتها النهائية واشتملت على قسمين:

القسم الأول: تضمن البيانات الأولية لأفراد العينة النوع، المؤهل العلمي، الوظيفة، سنوات الخبرة.

القسم الثاني: يحتوى على خمس فرضيات موزعة على (٣٨) عبارة.

وقد طلب من أفراد عينة الدراسة أن يحددوا إجاباتهم عن ما تصفه كل عبارة وفق المقياس المتدرج والذي يتكون من خمس مستويات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) ولقد تم توزيع هذه العبارات على محاور الدراسة. كما تم ترميز إجابات المبحوثين حتى يسهل إدخالها في جهاز الحاسوب للتحليل الإحصائي وذلك على النحو التالي:

جدول (١-٥)

مقياس ليكرت الخماسي المتدرج

العبارة	الرقم
أوافق بشدة	٥
أوافق	٤
محايد	٣
لا أوافق	٢
لا أوافق بشدة	١

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٩م.

الوسط الفرضي = مجموع الأوزان /عددها =٥+٤+٣+٢+١/٥ = ٣

والهدف من الوسط الفرضي هو مقارنته بالوسط الحسابي الفعلي للعبارة حيث إذا زاد الوسط الفعلي عن الوسط الفرضي دل ذلك على موافقة المبحوثين على العبارة أما إذا قل عن الوسط الفرضي دل ذلك على عدم موافقة المبحوثين على العبارة.

ثالثًا: الأساليب الإحصائية المستخدمة:

لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضيتها تم استخدام البرنامج الإحصائي ((SPSS والذي يشير اختصاراً إلي الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية،كما تمت الاستعانة ببرنامج الإكسل (EXCEL) لتنفيذ الرسومات البيانية المطلوبة في الدراسة. وذلك لاستخدام نتائج الأساليب الإحصائية التالية:

- التوزيع التكراري للإجابات النسب المئوية.
- المتوسط المرجح والانحراف المعياري.

رابعًا: تقييم أدوات القياس:

١. اختبارات صدق محتوى المقياس الظاهري:

تم إجراء اختبار صدق المحتوى لعبارات المقاييس من خلال تقييم صلاحية المفهوم وصلاحية أسئلته من حيث الصياغة والوضوح والتي قد ترجع إما إلى اختلاف المعاني وفقاً لثقافة المجتمع أو نتيجة لترجمة المقاييس من لغة إلى أخرى حيث قام الباحث بعرض الاستبيان على عدد من المحكمين الأكاديميين والمتخصصين بمجال الدراسة ومن مختلف المواقع الوظيفية والتخصصات العلمية لتحليل مضامين عبارات المقاييس ولتحديد مدى التوافق بين عبارات كل مقياس ثم قبول وتعديل بعض العبارات، وبعد استعادة الاستبيان من المحكمين تم إجراء التعديلات التي اقترحت عليه، فيما أشار العدد الآخر من المحكمين أن الاستبيان بشكله الحالي مستوفياً لشروط الدراسة.

٢. الثبات والصدق الذاتي:

يقصد بثبات الاختبار أن يعطي المقياس نفس النتائج إذا ما استخدم أكثر من مرة واحدة تحت ظروف مماثلة، ويعني الثبات أيضاً أنه إذا ما طبق اختبار ما على مجموعة من الأفراد. ورصدت درجات كل منهم، ثم أعيد تطبيق الاختبار نفسه على المجموعة نفسها يكون الاختبار ثابتاً تماماً. كما يعرف الثبات أيضاً بأنه مدى الدقة والاتساق للقياسات التي يتم الحصول عليها مما يقيسه الاختبار. ومن أكثر الطرق استخداماً في تقدير ثبات المقياس هي:

أ. طريقة التجزئة النصفية باستخدام معادلة سبيرمان– بروان.

ب. معادلة ألفا– كرونباخ.

ج. طريقة إعادة تطبيق الاختبار.

د. طريقة الصور المتكافئة.

أما الصدق فهو مقياس يستخدم لمعرفة درجة صدق المبحوثين من خلال إجاباتهم على مقياس معين، وبحسب الصدق بطرق عديدة أسهلها كونه يمثل الجذر التربيعي لمعامل الثبات. وتتراوح

قيمة كل من الصدق والثبات بين الصفر والواحد الصحيح، وتم إيجاد معامل ألفا– كرونباخ. لكل المحاور التي يتضمنها هذا الاستبيان، والجدول التالي يوضح نتائج هذا الإجراء:

جدول رقم (٢–٥)

الثبات والصدق Reliability Statistics

		الثبات	الصدق
عدد العبارات	٣٨	٠,٨٧	٠,٩٣

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٩م

يتضح من الجدول أعلاه أن الثبات (معامل ألفا كرونباخ) لعبارات الاستبيان بلغ٠,٨٧ صدق أي ٠,٩٣ والثبات لمحاور الدراسة وهذا يعني أن المقياس يعطي نفس النتائج إذا ما استخدم أكثر من مرة واحدة تحت ظروف مماثلة وهذا يعني صلاحية الاستبيان للقياس.

المبحث الثاني: تحليل البيانات.

يتناول هذا المبحث تحليل المعلومات الشخصية لمعرفة درجة التجانس والتباين لعينة البحث وذلك لضمان تمثيلها للمجتمع، كما يهدف لمعرفة الترابط بين البيانات الشخصية المتمثلة في النوع، المؤهل العلمي، الوظيفة، سنوات الخبرة .

جدول رقم (٣–٥) توزيع المستقصي حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة %
ذكر	130	%70.3
أنثي	55	%29.7
المجموع	185	%100

المصدر: من اعداد الباحث، من واقع الاستبيان، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (٣–٥) أعلاه يُلاحظ أن نسبة الذكور (٧٠,٣%) ونسبة الاناث (٢٩,٧%) من أفراد العينة وهذا يشير أن الذكور أعلى من الإناث بالمصارف السودانية.

جدول رقم (٤–٥)

توزيع المبحوثين حسب المؤهل العلمي.

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة %
ثانوي	20	10.8%
جامعي	96	51.9%
فوق الجامعي	69	37.3%

المجموع	185	%100

المصدر: من اعداد الباحث، من واقع الاستبيان، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (٤-٥) أعلاه يُلاحظ أن مستوى المؤهل العلمي لأفراد عينة الدراسة (١٠,٨%) من المرحلة الثانوية، ونسبة (٥١,٩%) من المرحلة الجامعية، ونسبة (٣٧,٣%) في المرحلة فوق الجامعية، مما يُشير على هنالك تأهيل علمي وسط العاملين بالمصارف السودانية.

جدول رقم (٥-٥)

توزيع المبحوثين حسب الوظيفة

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة %
مدير	26	%14.1
محاسب	26	%14.1
موظف	92	%49.7
فني	15	%8.1
أخرى	26	%14.1
المجموع	185	%100

المصدر: من اعداد الباحث، من واقع الاستبيان، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (٥-٥) أعلاه يُلاحظ أن توزيع المبحوثين حسب الوظيفة لأفراد عينة الدراسة (١٤,١%) مدراء، ونسبة (١٤,١%) محاسبين، ونسبة (٤٩,٧%) موظفين، ونسبة (٨,١%) فنيين، ونسبة (١٤,١%) أخري، مما يُشير أن هنالك عادلة في الهيكل التنظيمي للمصارف السودانية.

جدول رقم (٦-٥)

توزيع المبحوثين حسب سنوات الخبرة

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة %
أقل من 5 سنوات	49	26.5%
5-10سنوات	52	28.1%
١٠ سنوات فأكثر	84	45.4%
المجموع	185	%100

المصدر: من اعداد الباحث، من واقع الاستبيان، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (٦-٥) أعلاه يُلاحظ أن نسبة (26.5%) من أفراد العينة حسب سنوات الخبرة أقل من ٥ سنوات ونسبة (28.1%) من ٥-١٠ سنة ونسبة (45.4%) من 10سنة فأكثر، مما يُشير وجود خبرات بالمصارف ولابد من الاستفادة من هذه الخبرات لتحقيق الجودة الشاملة بالمصارف.

- **البيانات الأساسية:**

يتناول هذا القسم فرضيات البحث، ويحتوي علي عدد (٣٨) عبارة لمجموع العبارات، طُلب من أفراد العينة أن يحددوا استجابتهم علي ما تصفه كل عبارة وفق ليكرت الخماسي المتدرج الذي يتكون من خمس مستويات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة).

- **الأساليب الإحصائية المستخدمة:**

لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضياتها، تم استخدام الإحصائية التالية:

. التوزيع التكراري للإجابات.

. النسب المئوية.

- **تحليل بيانات الدراسة الأساسية:**

يشتمل هذا القسم على تحليل البيانات الأساسية للدراسة للتمكن من مناقشة فروض البحث وذلك وفقاً للخطوات التالية:

١/التوزيع التكراري النسبي لإجابات الوحدات المبحوثة على عبارات الدراسة:

وذلك من خلال تلخيص البيانات في جداول والتي توضح قيم كل متغير لتوضيح أهم المميزات الأساسية لإجابات أفراد العينة في شكل أرقام ونسب مئوية لعبارات الدراسة.

المطلب الثالث: اختبار الفرضيات ومناقشة النتائج.

يتناول الباحث في هذا الجزء مناقشة وتفسير نتائج الدراسة الميدانية وذلك من خلال المعلومات التي أسفرت عنها جداول تحليل البيانات الإحصائية وكذلك نتائج التحليل الإحصائي لاختبار فرضيات الدراسة الميدانية، والفرض بشكل عام عبارة عن تخمين ذكي وتفسير محتمل يتم بواسطة ربط الأسباب بالمسببات كتفسير مؤقت للمشكلة أو الظاهرة المدروسة وبالتالي فان الفرضية عبارة عن حدث أو تكهن يضعه الباحث كحل ممكن ومحتمل لحل مشكلة الدراسة. وقد اتبع الباحث الخطوات التالية في اختبار فرضيات الدراسة:

١. تشكيل الفرضية: في أي فرضية يكون لدينا فرضين وهما فرضان مانعان بالتبادل إما أن نرفض الفرض الأول وبالتالي نقبل الفرض الثاني أو العكس، ويعنى الأول يعطى الرمز

(HO) ويطلق علية فرض العدم ويعنى عدم وجود علاقة (ذات علاقة إحصائية) بين إحصائية العينة ومعلمة المجتمع وان وجد فان ذلك يرجع إلى الصدفة. والفرض الثاني ويعطى الرمز (H1) وهو الفرض البديل ويعنى وجود علاقة (ذات دلالة إحصائية) بين إحصائية العينة ومعلمة المجتمع لا يمكن إرجاعه إلى محض الصدفة وأن بيانات العينة تؤيد صحة هذا الفرض.

٢. الإحصاء الوصفي: يتم حساب كل من الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارات محور الدراسة ويتم مقارنة الوسط الحسابي للعبارة بالوسط الفرضي للدراسة (٣) حيث تتحقق الموافقة على الفقرات إذا كان الوسط الحسابي للعبارة اكبر من الوسط الفرضي (٣)، وتتحقق عدم الموافقة إذا كان الوسط الحسابي أقل من الوسط الفرضي.

٣. اختبار الفروق (كآي تربيع) Chi.sq: لاختبار فرضيات الدراسة تم تحديد العبارات المرتبطة بالفرضيات ثم اختبارها باستخدام اختبار كآي تربيع (Chi.sq) لمعرفة فروق ذات دلالة إحصائية بين أعداد الموافقون وغير الموافقون على عبارات الدراسة عند مستوى معنوية (٠,٠٥).

- **فرضيات الدارسة ومناقشة النتائج:**

الفرضية الأولي:

جدول رقم (١٣-٥) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الأولي
(تنبى برامج إدارة الجودة الشاملة)

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
توجد لدي الإدارة العليا رؤية واضحة عن ماهية إدارة الجودة الشاملة وكيفية تحقيقها.	3.52	1.166	أوافق
تطبيق الإدارة لإسلوب القيادة بالمشاركة لتحقيق الجودة.	3.37	1.144	محايدة
توجد لدى المؤسسة وحدة لإدارة الجودة الشاملة	3.61	1.194	أوافق
تحرص المؤسسة على نشر ثقافة الجودة	3.56	1.201	أوافق
يتم تفويض السلطة المسئولية للموظفين لتحسين الجودة	3.41	1.181	أوافق

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
يتم تبادل المعلومات بصورة صحيحة وسريعة لتطوير الأداء	3.58	1.181	أوافق
يوجد بالمؤسسة آليات ولتطبيق مراقبة الجودة	3.58	1.190	أوافق
اجمالي المحور	3.51	1.179	أوافق

المصدر: إعداد الباحث، من الدراسة الميدانية، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (١٣-٥) أعلاه يتضح ما يلى:

١. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٥٢) بانحراف معياري (١,١١٦) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (لدى الإدارة العليا رؤية واضحة عن ماهية إدارة الجودة الشاملة وكيفية تحقيقها).

٢. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٣٧) بانحراف معياري (١,١١٤) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على محايدة أفراد العينة على (الإدارة تطبق اسلوب القيادة بالمشاركة لتحقيق الجودة).

٣. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٦١) بانحراف معياري (١,١٩٤) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (وجود وحدة لإدارة الجودة الشاملة بالمصارف السودانية).

٤. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٥٦) بانحراف معياري (١,٢٠١) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تحرص المؤسسة على نشر ثقافة الجودة).

٥. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٤١) بانحراف معياري (١,١٨١) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يتم تفويض السلطة المسئولية للموظفين لتحسين الجودة).

٦. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٥٨) بانحراف معياري (١,١٨١) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يتم تبادل المعلومات بصورة صحيحة وسريعة لتطوير الأداء).

٧. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الأولي بلغ (٣,٥٨) بانحراف معياري (١,١٩٠) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يوجد بالمؤسسة آليات ولتطبيق مراقبة الجودة).

جدول رقم (١٤-٥) لاختبار الفرضية الأولي باستخدام مربع كاي (Chi.sq)

هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية التخطيط الاستراتيجي ورفع كفاءة الخدمات المصرفية

قيمة اختبار (Chi.sq)	درجات الحرية df	مستوى المعنوية SIG	القرار
١٣٧,٢٢٧	٢٧	٠,٠٠٠	قبول الفرضية

المصدر: إعداد الباحث، واقع تحليل فرضيات الدراسة برنامج SPSS، ٢٠١٩م

من نتائج الجدول رقم (١٤-٥) أعلاه:

بلغت قيمة اختبار (Chi.sq) لجميع عبارات الفرضية (١٣٧,٢٢٧) بدرجات حرية (٢٧) عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) وهي أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). مما يعني رفض الفرض الصفري (H0) وقبول الفرض البديل (H1)القائل هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين برامج إدارة الجودة الشاملة ورفع كفاءة الخدمات المصرفية.

الفرضية الثانية:

جدول (١٥-٥) الإحصاء الوصفي لعبارات الثانية
(التحسين المستمر)

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
يتم حث الموظفين على التحسين المستمر من خلال عمليات الابداع والابتكار	3.51	1.189	أوافق
يوجد التزام مشترك بين الموظفين لتحسين الجودة	3.48	1.132	أوافق

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
تسعى المؤسسة على قيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين	3.50	1.216	أوافق
تعمل المؤسسة من أجل التحسين المستمر لجودة الانتاج والخدمات المصرفية	3.77	1.069	أوافق
تهتم المؤسسة بمراقبة الانتاج وفق معايير الجودة	3.61	1.192	أوافق
اجمالي المحور	3.57	1.159	أوافق

المصدر: إعداد الباحث، من الدراسة الميدانية، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (١٥-٥) أعلاه يتضح ما يلى:-

١. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثانية بلغ (٣,٥١) بانحراف معياري (١,٨٩) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يتم حث الموظفين على التحسين المستمر من خلال عمليات الابداع والابتكار).

٢. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثانية بلغ (٣,٤٨) بانحراف معياري (١,١٣٢) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يوجد التزام مشترك بين الموظفين لتحسين الجودة).

٣. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثانية بلغ (٣,٥٠) بانحراف معياري (١,٢١٦) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تسعى المؤسسة على قيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين).

٤. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثانية بلغ (٣,٧٧) بانحراف معياري (١,٠٦٩) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تعمل المؤسسة من أجل التحسين المستمر لجودة الانتاج والخدمات المصرفية).

٥. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثانية بلغ (٣,٧٧) بانحراف معياري (١,٠٦٩) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تهتم المؤسسة بمراقبة الانتاج وفق معايير الجودة).

جدول (١٦-٥) لاختبار الفرضية الثانية باستخدام مربع كاي (Chi.sq)

قيمة اختبار (Chi.sq)	درجات الحرية df	مستوى المعنوية SIG	القرار
١٣١,٤٣	١٩	٠,٠٠٠	قبول الفرضية

هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التحسين المستمر والارتقاء بكفاءة تسويق الخدمات المصرفية

المصدر: إعداد الباحث، واقع تحليل فرضيات الدراسة برنامج SPSS، ٢٠١٩م

من نتائج الجدول (١٦-٥) أعلاه:

بلغت قيمة اختبار (Chi.sq) لجميع عبارات الفرضية (١٣١,٤٣) بدرجات حرية (١٩) عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) وهي أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). مما يعني رفض الفرض الصفري (H0) وقبول الفرض البديل (H1)القائل هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التحسين المستمر والارتقاء بكفاءة تسويق الخدمات المصرفية

الفرضية الثالثة:

جدول (١٧-٥) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الثالثة (التدريب)

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
يدرك الموظفون جيداً بأن الجودة إحدى القيم المشـــتركة المحددة داخل المنظمة.	3.44	1.267	أوافق
يتم تقييم الاحتياجات التدريبية بناءاً على متطلبات الجودة الشاملة.	3.46	1.184	أوافق
الموظفون في المؤســـســـة يدركون جيداً أن أداءهم اليومي يؤثر على جودة الانتاج أو الخدمات مما يعزز الحاجة لتطوره.	3.62	1.218	أوافق
يتم تدريب الموظفين على إدارة أدوات وتقنيات الجودة الشاملة.	3.51	1.152	أوافق
تدريب الموظفين في المؤ سـ سة يرتكز على مـ ساعدتهم في حل المشكلات وتحسين العمليات التي يقومون بها.	3.59	1.157	أوافق
اجمالي المحور	3.52	1.195	أوافق

المصدر: إعداد الباحث، من الدراسة الميدانية، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (١٧-٥) أعلاه يتضح ما يلى:-

١. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثالثة بلغ (٣,٤٤) بانحراف معياري (١,٢٦٧) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يدرك الموظفون جيداً بأن الجودة إحدى القيم المشتركة المحددة داخل المنظمة).

٢. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثالثة بلغ (٣,٤٦) بانحراف معياري (١,١٨٤) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يتم تقييم الاحتياجات التدريبية بناءاً على متطلبات الجودة الشاملة).

٣. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثالثة بلغ (٣,٦٢) بانحراف معياري (١,٢١٨) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (الموظفون في المؤسسة يدركون جيداً أن أداءهم اليومي يؤثر على جودة الانتاج أو الخدمات مما يعزز الحاجة لتطوره).

٤. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثالثة بلغ (٣,٥١) بانحراف معياري (١,١٥٢) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يتم تدريب الموظفين على إدارة أدوات وتقنيات الجودة الشاملة).

٥. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الثالثة بلغ (٣,٥٩) بانحراف معياري (١,١٥٧) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تدريب الموظفين في المؤسسة يرتكز على مساعدتهم في حل المشكلات وتحسين العمليات التي يقومون بها).

جدول رقم (١٨-٥) لاختبار الفرضية الثالثة باستخدام مربع كاي (Chi.sq)

قيمة اختبار (Chi.sq)	درجات الحرية df	مستوى المعنوية SIG	القرار
١٢١,٤٨٦	١٩	٠,٠٠١	قبول الفرضية

هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدريب وتطوير الموارد البشرية وتحسين كفاءة تسويق الخدمات المصرفية

المصدر: إعداد الباحث، واقع تحليل فرضيات الدراسة برنامج SPSS، ٢٠١٩م

من نتائج الجدول رقم (١٨-٥) أعلاه:

بلغت قيمة اختبار (Chi.sq) لجميع عبارات الفرضية (١٢١,٤٨٦) بدرجات حرية (١٩) عند مستوى معنوية (٠,٠٠١) وهي أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). مما يعني رفض الفرض

الصفري (H0) وقبول الفرض البديل (H1) القائل هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدريب وتطوير الموارد البشرية وتحسين كفاءة تسويق الخدمات المصرفية.

الفرضية الرابعة:

جدول رقم (١٩-٥) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الرابعة

(الاستجابة لرغبات العملاء ضمن برامج الجودة)

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً لتوفير خدمة ممتازة للعميل	3.55	1.192	أوافق
تهتم المؤسسة بمراقبة جودة الانتاج	3.38	1.169	أوافق
تعتمد قرارات كثيرة في المؤ سـ سة على ما تعلمه مبا شرة من العملاء	3.30	1.200	أوافق
تعلم المؤ سـ سة الموظفين الذين يت صلون مبا شرة بالعميل كيف يستمعون اليهم بفعالية أكثر	3.45	1.197	أوافق
تجتمع المؤسسة مع المجموعات التي لها اتصال مباشر مع العملاء لتتعرف أكثر على احتياجاتهم	3.42	1.191	أوافق
توزع المؤ سـسة وثائق البحث والتقييم للعملاء لكي تتعرف أكثر على احتياجات العميل	3.29	1.294	أوافق
يوجد صندوق خاص باقتراحات وشكاوى العملاء للاستفادة منه	4.07	1.129	أوافق
اجمالي المحور	3.49	1.196	أوافق

المصدر: إعداد الباحث، من الدراسة الميدانية، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (١٩-٥) أعلاه يتضح ما يلى:-

١. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٥٥) بانحراف معياري (١,١٩٢) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً لتوفير خدمة ممتازة للعميل).

٢. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٣٨) بانحراف معياري (١,١٦٩) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تهتم المؤسسة بمراقبة جودة الإنتاج).

٣. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٣٠) بانحراف معياري (١,٢٠٠)

٦. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٢٩) بانحراف معياري (١,٢٩٤) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (توزع المؤسسة وثاق البحث والتقييم للعملاء لكي تتعرف أكثر على احتياجات العميل).

٧. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٤,٠٧) بانحراف معياري (١,١٢٩) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يوجد صندوق خاص باقتراحات وشكاوى العملاء للاستفادة منه).

ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تعتمد قرارات كثيرة في المؤسسة على ما تعلمه مباشرة من العملاء).

قيمة اختبار (Chi.sq)	درجات الحرية df	مستوى المعنوية SIG	القرار
١٥٦,٣٦	٢٦	٠,٠٠٠	قبول الفرضية

٤. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٤٥) بانحراف معياري (١,١٩٧) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تعلم المؤسسة الموظفين الذين يتصلون مباشرة بالعميل كيف يستمعون اليهم بفعالية أكثر).

٥. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الرابعة بلغ (٣,٤٢) بانحراف معياري (١,١٩١) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تجتمع المؤسسة مع المجموعات التي لها اتصال مباشر مع العملاء لتتعرف أكثر على احتياجاتهم).

جدول رقم (٢٠-٥) لاختبار الفرضية الرابعة باستخدام مربع كاي (Chi.sq)

هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رضا المستفيدين وكفاءة تسويق الخدمات المصرفية

المصدر: إعداد الباحث، واقع تحليل فرضيات الدراسة برنامج SPSS، ٢٠١٩م

من نتائج الجدول رقم (٢٠-٥) أعلاه:

بلغت قيمة اختبار (Chi.sq) لجميع عبارات الفرضية (١٥٦,٣٦) بدرجات حرية (٢٦) عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) وهي أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). مما يعني رفض الفرض الصفري (H0) وقبول الفرض البديل (H1)القائل هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رضا المستفيدين وكفاءة تسويق الخدمات المصرفية

الفرضية الخامسة:

جدول رقم (٢١-٥) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الخامسة (التميز الإداري)

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
من الوا ضح لكل موظفي المؤ سـ سة أن هدف الإدارة هو بذل جهود منسقة ومنظمة لتحسين الجودة.	3.54	1.093	أوافق
تتاح للموظفين من خارج الإدارة في المؤســـســـة فرص كثيرة لتح سين كفاءتهم وخبراتهم عن طريق تدريب معد جيداً ضمن برامج المسئولية الاجتماعية للمؤسسة.	3.45	1.215	أوافق
يقدم المديرون نماذج يقتدى بها في الإدارة والقيادة	3.51	1.193	أوافق
يستغرق المديرون والمشرفون الوقت اللازم للتوضيح للموظفين لماذا يتم تنفيذ المهام بطريقة معينة ضمن برامج توكيد الجودة.	3.51	1.078	أوافق
إن الخطط والإجراءات متجددة في المؤســـســـة، وتنشـــر دائما وتعبر عن عملية فعالة لرفع الجودة باســـتمرار ضـــمن برامج التحسين المستمر للجودة	3.58	1.095	أوافق
اجمالي المحور	3.51	1.134	أوافق

المصدر: إعداد الباحث، من الدراسة الميدانية، ٢٠١٩م

من بيانات الجدول رقم (٢١-٥) أعلاه يتضح ما يلى:-

١. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الخامسة بلغ (٣,٥٤) بانحراف معياري (١,٠٩٣) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (من الواضح لكل موظفي المؤسسة أن هدف الإدارة هو بذل جهود منسقة ومنظمة لتحسين الجودة).

٢. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الخامسة بلغ (٣,٤٥) بانحراف معياري (١,٢١٥) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (تتاح للموظفين من خارج الإدارة في المؤسسة فرص كثيرة لتحسين كفاءتهم وخبراتهم عن طريق تدريب معد جيداً ضمن برامج المسئولية الاجتماعية للمؤسسة).

٣. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الخامسة بلغ (٣,٥٢) بانحراف معياري (١,١٩٣) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يقدم المديرون نماذج يقتدى بها في الإدارة والقيادة).

٤. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الخامسة بلغ (٣,٥١) بانحراف معياري (١,٠٧٨) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (يستغرق المديرون والمشرفون الوقت اللازم للتوضيح للموظفين لماذا يتم تنفيذ المهام بطريقة معينة ضمن برامج توكيد الجودة).

٥. أن الوسط الحسابي لعبارة الفرضية الخامسة بلغ (٣,٥٨) بانحراف معياري (١,٠٩٥) ويزيد عن الوسط الفرضي (٣) وهذا يشير على موافقة أفراد العينة على (إن الخطط والإجراءات متجددة في المؤسسة، وتنشر دائما وتعبر عن عملية فعالة لرفع الجودة باستمرار ضمن برامج التحسين المستمر للجودة).

جدول (٢٢-٥) لاختبار الفرضية الخامسة باستخدام مربع كاي (Chi.sq)

قيمة اختبار (Chi.sq)	درجات الحرية df	مستوى المعنوية SIG	القرار
١٣٣,٣٧	١٩	٠,٠٠٠	قبول الفرضية

هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التميز الإداري ورفع كفاءة تسويق الخدمات المصرفية

المصدر: إعداد الباحث، واقع تحليل فرضيات الدراسة برنامج SPSS، ٢٠١٩م

من نتائج الجدول رقم (٢٢-٥) أعلاه:

بلغت قيمة اختبار (Chi.sq) لجميع عبارات الفرضية (١٣٣,٣٧) بدرجات حرية (١٩) عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) وهي أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥). مما يعني رفض الفرض الصفري (H0) وقبول الفرض البديل (H1)القائل هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التميز الإداري ورفع كفاءة تسويق الخدمات المصرفية.

الخاتمة

أولا: النتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. فيما يتعلق بمدى تبني إدارة المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني) لبرامج نظام إدارة الجودة الشاملة، فقد بينت الدراسة أن من أهم الجوانب التي تدعم تبني الإدارة لبرامج نظام إدارة الجودة الشاملة تمثلت في وجود لدي الإدارة العليا رؤية واضحة عن ماهية إدارة الجودة الشاملة وكيفية تحقيقها.

٢. بينت الدراسة وجود تبني لمفهوم التحسين المستمر بدرجة كبيرة من إدارة المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني)، كما أشارت الدراسة أن من أهم العناصر التي تدعم تبني التحسين المستمر، تمثلت في حث الموظفين على التحسين المستمر من خلال عمليات الابداع والابتكار ووجود التزام مشترك بين الموظفين لتحسين الجودة وتسعى المؤسسة على قيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين وتعمل المؤسسة من أجل التحسين المستمر لجودة الانتاج والخدمات المصرفية وتهتم المؤسسة بمراقبة الانتاج وفق معايير الجودة.

٣. فيما يتعلق بتدريب وتطوير الموارد البشرية كأحد أبعاد الجودة الشاملة، فقد بينت الدراسة وجود اهتمام من إدارة المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني) بتدريب وتطوير المورد البشري، ومن أهم الجوانب التي تشير إلى توجه الإدارة نحو تدريب وتأهيل وتطوير الموارد البشرية تمثلت في إدراك الموظفون جيداً بأن الجودة إحدى القيم المشتركة المحددة داخل المنظمة ويتم تقييم الاحتياجات التدريبية بناء على متطلبات الجودة الشاملة والموظفون في المؤسسة يدركون جيداً أن أداءهم اليومي

يؤثر على جودة الانتاج أو الخدمات مما يعزز الحاجة لتطوره ويتم تدريب الموظفين على إدارة أدوات وتقنيات الجودة الشاملة وتدريب الموظفين في المؤسسة يرتكز على مساعدتهم في حل المشكلات وتحسين العمليات التي يقومون بها.

٤. بينت الدراسة وجود الاستجابة لرغبات العملاء ضمن برامج الجودة من إدارة المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني) فقد بينت الدراسة تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً لتوفير خدمة ممتازة للعميل وتهتم المؤسسة بمراقبة جودة الانتاج وتعتمد قرارات كثيرة في المؤسسة على ما تعلمه مباشرة من العملاء وتعلم المؤسسة الموظفين الذين يتصلون مباشرة بالعميل كيف يستمعون اليهم بفعالية أكثر وتجتمع المؤسسة مع المجموعات التي لها اتصال مباشر مع العملاء لتتعرف أكثر على احتياجاتهم وتوزع المؤسسة وثائق البحث والتقييم للعملاء لكي تتعرف أكثر على احتياجات العميل ويوجد صندوق خاص باقتراحات وشكاوى العملاء للاستفادة منه.

٥. فيما يتعلق بالتميز الإداري كأحد أبعاد الجودة الشاملة، فقد بينت الدراسة وجود تميز إداري من إدارة المصارف السودانية (بنك فيصل الإسلامي – بنك الخرطوم – أم درمان الوطني) وذلك من الواضح لكل موظفي المؤسسة أن هدف الإدارة هو بذل جهود منسقة ومنظمة لتحسين الجودة وتتاح للموظفين من خارج الإدارة في المؤسسة فرص كثيرة لتحسين كفاءتهم وخبراتهم عن طريق تدريب معد جيداً ضمن برامج المسئولية الاجتماعية للمؤسسة ويقدم المديرون نماذج يقتدى بها في الإدارة والقيادة ويستغرق المديرون والمشرفون الوقت اللازم للتوضيح للموظفين لماذا يتم تنفيذ المهام بطريقة معينة ضمن برامج توكيد الجودة وأن الخطط والإجراءات متجددة في المؤسسة.

٦. كما أشارت الدراسة أن وجود بعض المشكلات التي تواجه المؤسسة في تطبيق الإدارة لأسلوب القيادة بالمشاركة لتحقيق الجودة.

ثانيا: التوصيات.

بناءً على نتائج الدراسة واسترشاداً بالإطار النظري والعملي للبحث يقدم الباحث التوصيات النظرية الآتية:

١. يوصي البحث بتركيز جهود الإدارة في تحسين وتطوير لبرامج نظام إدارة الجودة الشاملة كأحد أبعاد الجودة الشاملة، حيث يجب الاهتمام بدرجة كبيرة بوحدة إدارة الجودة الشاملة

وزيادة الحرص على نشر ثقافة الجودة وتفويض السلطة والمسئولية للموظفين لتحسين الجودة وتبادل المعلومات بصورة صحيحة وسريعة لتطوير الأداء والعمل باستمرار بوجود آليات لتطبيق مراقبة الجودة.

٢. يوصي البحث باعتبار مبادئ التحسين المستمر جزء اساسي من ثقافة المنظمة والعمل على زيادة الوعي أكثر لجميع العاملين وقيام علاقات فعالة مع الموردين والبائعين من أجل التحسين المستمر لجودة الانتاج والخدمات المصرفية واهتمام المؤسسة بمراقبة الانتاج وفق معايير الجودة.

٣. يوصي البحث باقتناء أفضل الوسائل والتقنيات المناسبة لبرامج تطوير وتدريب وتأهيل الموارد البشرية، حيث أن المورد البشري يعتبر أحد رؤوس الأموال المؤثرة على مستوى كافة أنشطة الأعمال، كما هناك أهمية كبيرة لتقييم أثر برامج التدريب والتطوير بشكل فوري ودوري حتى يتم قياس العائد من هذه البرامج على العاملين وعلى مستوى الخدمات المصرفية التي يقدمونها.

٤. يوصي البحث اهتماماً أكبر بتوفير خدمة ممتازة للعميل ومراقبة جودة الانتاج بالتواصل مباشرة من العملاء وتعلم المؤسسة الموظفين الذين يتصلون مباشرة بالعميل كيف يستمعون إليهم بفعالية أكثر وتجتمع المؤسسة مع المجموعات التي لها اتصال مباشر مع العملاء لتتعرف أكثر على احتياجاتهم وتوزع المؤسسة وثائق البحث والتقييم للعملاء لكي تتعرف أكثر على احتياجات العميل ويوجد صندوق خاص باقتراحات وشكاوى العملاء للاستفادة منه.

٥. يوصي الباحث بضرورة التميز الإداري وذلك بتوفير دليل للجودة الشاملة يحدد بالتفصيل برامج التحسين المستمر التي تتبني المؤسسة تنفيذها، حتى أن الجودة لا تطبق من فراغ، فلا بد من دليل يحدد خريطة الطريق لبرامج التحسين المستمر لتسويق الخدمات المصرفية وتتاح للموظفين من خارج الإدارة في المؤسسة فرص كثيرة لتحسين كفاءتهم وخبراتهم عن طريق تدريب معد جيداً ضمن برامج المسئولية الاجتماعية للمؤسسة مكتوب وموضح في الدليل.

٦. يوصي البحث العمل على توفير المناخ الملائم المناسب في تطبيق الإدارة لأسلوب القيادة بالمشاركة يساعد في عملية التحسين المستمر لتحقيق الجودة الشاملة.

ثالثا: مقترحات ببحوث المستقبلية:

- يقترح الباحث إجراء المزيد من الدراسات حول علاقة الجودة بتسويق الخدمات المصرفية.
- يقترح الباحث إجراء المزيد من الدراسات التي تبحث في أثر تسويق الخدمات المصرفية في المنظمات المالية المختلفة.

المصادر والمراجع:

أ ب ت رجم نور الدين (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، دور سياسة الترويج في تسويق الخدمات المصرفية (دراسة جامعية)، الجزائر: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، صفحة ٣٠. بتصرّف.

ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني.

بابكر مبارك عثمان، المدخ للإدارة الجودة الشاملة.

توفيق محمد عبد المحسن، مراقبة الجودة: مدخل إدارة الجودة الشاملة وأيزو ٩٠٠٠.

جلال وأبو بكر (٢٠١٠) أثر البرامج التدريبية التقنية على كفاءة العاملين في سوق العمل المالي الفلسطيني.

جون مارش، إدارة الجودة الشاملة.

حسين شرارة، إدارة الجودة الشاملة والتحسين المستمر.

خالد سعد عبد العزيز، إدارة الجودة الشاملة: تطبيق القطاع الصحي

داؤود نظيم داؤود، إدارة الجودة الشاملة بين النظرية والتطبيق.

ديمنغور بيرت هاغستروم، إدارة الجودة الشاملة، ترجمة هند رشدي.

ربحي كريمة، تسويق الخدمات المصرفية (بحث)، الجزائر: ملتقى المنظومة المصرفية والتحولات الاقتصادية، صفحة ٣٦٦. بتصرّف.

ريتشارد ل. ويليامز، أساسيات إدارة الجودة الشاملة، ترجمة مكتبة جرير.

زكي أبو زيادة، "أثر تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة على الأداء التنظيمي

زيدان محمد، دور التسويق المصرفي في زيادة القدرة التنافسية للبنوك (بحث)، صفحة ٨. بتصرّف.

عمر أحمد عثمان المقلي وعبد الله عبد الرحيم إدريس، إدارة الجودة الشاملة.

عيشوش عبدو (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، تسويق الخدمات المصرفية في البنوك الإسلامية (بحث جامعي)، الجزائر: جامعة الحاج لخضر، صفحة ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢. بتصرّف.

ليلى بدران (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، تسويق الخدمات المصرفية (بحث جامعي)، سوريا: جامعة دمشق – كلية الاقتصاد، صفحة ١٣، ١٤. بتصرّف.

مأمون الدّرادكة وآخرون، إدارة الجودة الشاملة،

محفوظ أحمد جودة، إدارة الجودة الشاملة: مفاهيم وتطبيقات.

محمد الصيرفي، الإدارة الاستراتيجية.

محمد عبد العال ألنعيمي وآخرون، إدارة الجودة المعاصرة: مقدمة في إدارة الجودة الشاملة للإنتاج والعمليات والخدمات.

محمد يسري عثمان وآخرون، إدارة الجودة الشاملة.

النعيم حسن محمد علي وأروى عبد الحميد محمد نور، إدارة الجودة الشاملة

نهى عبد الله صديق عمر، "تطبيق نظم توكيد الجودة بالمؤسسات التعليمية.

يوسف أحمد أبو فاره، "واقع تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الفلسطينية"

يوسف حجيم الطائي وآخرون، نظم إدارة الجودة في المنظمات الإنتاجية والخدمية

Howards Gitlor and Et.al، Quality Management: Tools and Methods for Improvement

(Arthur R. Tenner and Irving J.De Toro، Quality Management: Three Steps to continuous Improvement.

(A. Rao. And Others، Total Quality Management: across function Alpers pective .

Vincent K. Omachonu، Total Quality and Productivity Management health care

Arthur R. Tenner and Irving J.De Toro، Quality Management: Three Steps to conti